

سعيد اسماعيل
الإنسان والسحر
الإنسان والأشباح
الإنسان والشيطان
الإنسان والجن
الإنسان والسحر
مكتبة مدبولي
القاهرة
دار آزال للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت

الانسان والسحر

سعيد اسماعيل

الانسان والسحر

- الإنسان والاشباح
- الإنسان والشيطان
- الإنسان والجن
- الإنسان والسحر

مكتبة مدبولي
القاهرة

دار آزال
بيروت

الطبعة الثانية
١٩٨٦

دار آزال
للطباعة والنشر والتوزيع
كورنيش المزرعة ـ مركز بيروت التجاري
هاتف : ٣٠٠١٧٦ - ٣١٨٨٥٦
ص . ب : ١٤/٦٢٩١
بيروت ـ لبنان

مكتبة مدبولي
القاهرة
٦ ميدان طلعت حرب

الإهداء :

ـ الى الذي ارتاد الفضاء .. وغاص في اعماق البحار ..
وخطا بقدمه على وجه القمر ..

ـ الى الذي حطم الذرة .. ودار حول الارض .. واستبدل
قلباً سليماً بقلب مريض ..

ـ الى الذي انطلق يبحث عن كل شيء في كل مكان ..
وانشغل بما حوله .. ونسي ذاته ..

ـ الى الانسان الذي بقي امام نفسه لغزاً غامضاً،
وسيبقى كذلك ربما لألوف السنين !!

المؤلف

نحن لا نعيش وحدنا على هذه الأرض . . يوجد بيننا وفوقنا وتحتنا ، مخلوقات أخرى لا نراها ، أهمها الجن . .

بعض الناس في وسعه أن يتصل بالجن ، والتحالف معه ، ليعاونهم على القيام بأعمال خارقة . . ولكن هذا الاتصال يتطلب قدرات معينة . . وله شروط معينة . . وطقوس معينة . .

ونحن نسمي الذين يتعاملون مع الجن سحرة . . ونسمي ما يقومون به سحراً . . وعلى صفحات هذا الكتاب نقدم كثيراً من الاجابات على كثير من الأسئلة ، التي تدور حول هذا الفن الغامض المحير المخيف أحياناً . . .

سعيد اسماعيل

مقدمة الطبعة الاولى

إن أي همسة بجانب أي انسان ، في أية لحظة ، كفيلة بأن توقظ كل حواسه . انه يلتفت بسرعة ليرى . . فاذا لم ير شيئاً ، فانه يرهف السمع ليسمع ، وإذا لم يسمع شيئاً فان حواسه ستبقى في حالة تأهب ، ولن يستريح أو يهدأ الا اذا عرف مصدر تلك الهمسة ، أو أدرك سببها .

وهذا الكتاب محاولة متواضعة ـ ولكنها جادة ـ نطرق أثناءها كل الأبواب ونحن نتنقل بين دهاليز المعرفة ، بقصد الوصول الى الحقيقة لندور حولها . . لنضع أصبعاً عليها . . . لنخترق جدارها . . لنغوص في أعماقها ونعرف مكنونها .

والحقيقة التي تعنينا هنا هي الانسان ، ذلك اللغز المحير الذي لا يزال العلم الحديث ، بكل ما لديه من وسائل الكشف والبحث والقياس المتقدمة ، يقف أمامه موقف العاجز . . .

وعندما نقول الانسان ، فاننا لا نعني هذا الجسد المادي بما فيه من أعضاء ، وأجهزة ، وغدد وخلايا . . كما أننا لا نعني أيضاً الروح التي سيظل الغموض يغلفها إلى ما لا نهاية ، رغم اجتهادات العديد من العلماء الذين حاولوا اقتحام عالمها ، وأصبحت بحوثهم علماً يدرسه الدارسون في جامعات ومعاهد أوربا وأمريكا ، بل وفي الاتحاد السوفيتي أيضاً . .

إن « الانسان » الذي نعنيه هو « النفس » . . أو « الذات » . . أو « الأنا » التي يستشعرها كل منا ، ويحس بها تملؤه في كل لحظة .

وإذا كان الجسد المادي هو الوعاء ، وكانت الروح هي الومضة ، أو

الجذوة ، أو القبس ، أو الطاقة المحركة للجسد ، فان « النفس » تكون هي صاحبة ذلك الوعاء ، ومصدر تلك الطاقة .

والنفس الانسانية تظل باقية ، في السماء أو في الأرض . . وغير بعيد عنا أو معنا حيث تكون . وليس من الضروري أن نرى نفوس من سبقونا ، أو من سيأتون بعدنا ، لنقول بيقين ، انهم هنا أو هناك . . فكم من الأشياء حولنا ولا نراها . الهواء مثلاً ، والاشعاعات ، والجاذبية الأرضية ، والتيار الكهربائي ، والمجالات المغناطيسية ، والموجات الصوتية والضوئية . . العلم يسلم بوجود كل ذلك ، ويقيم على وجوده قوانينه دون أن نراه ، والجن أيضاً موجود . . خلقه الله واتصل به الانسان وخاطبه وعايشه ، وسخره لسليمان عليه السلام ، ومع ذلك فنحن لا نراه !!

النفس اذن خالده ، ولا يهم أين ، ولكن الأهم انها باقية بكنهها . . بكل ما لها من ادراك وأحاسيس وذاكرة وقدرات . كل الكتب المقدسة ، المنزلة من عند الله ، الموجودة بين أيدينا تقول ذلك . . كل الأساطير القديمة تشير الى ذلك . . كل المخطوطات والنقوش التي خلفتها حضارات منقرضة تؤكد ذلك . . كل العلماء والباحثين الذين تطرقوا الى هذا الميدان يسلمون بذلك . .

إن بقاء « النفس » أو « الذات » أو « الأنا » وخلودها قضية محسومة لا خلاف عليها ، لكن الذي لم يحسم حتى الآن هو ما لدى النفس من قدرات ، وعند أي حد تتوقف هذه القدرات ؟

هذه « الأنا » الموجودة في داخل كل منا ، ماذا تستطيع وماذا لا تستطيع . . ؟ ولماذا تتفوق قدرات انسان ما على قدرات انسان آخر . . ؟

تلك هي القضية التي نتعرض لها في هذا الكتاب ، وحسبنا أننا نحاول لمس الحقيقة . . ويبقى الله ، دائماً ، هو العليم الحكيم . . **﴿ وما أوتيتم من العلم الا قليلاً ﴾** . .

سعيد اسماعيل

أشكر القارىء العزيز الذي أقبل عـلى الطبعـة الأولى من هذا الكتـاب فنفـدت نسخها خـلال ثلاثـة أيام . . وهـذه هي الـطبعـة الثـانيـة ، مـزيـدة ومنقحة . . ولكن هناك ايضـاح لا بد منـه بعد أن تلقيت اسئلة كثيـرة ، كلها حول الفرق بين « النفس » و« الروح » . . وعلاقة كل منهما بالجسد . .

والجـــواب ان « النفس » هي « الجـــوهـــر » . . أو « الكيـــان » . . أو « الـذات » . . وأما « الـروح » فهي الطاقـة التي تتولـد عن وجـود النفس في الجسد المادي . .

ولـو شبهنا « النفس » بـالتيار الكهـربائي ، وشبهنـا « الجسـد المـادي » بالمصباح ، فان « الروح » يمكن تشبيهها بالضوء أو الحرارة الناتجة عن سـريان التيار في سلك المصباح . .

إن « الـروح » كالضـوء أو الحـرارة . . لا وجـود لهـا مـا دامت النفس طليقة بغير جسد مادي ، وسيظل علمها عند الله سبحانه وتعالى ، فهو وحده الواسع العليم . .

(المؤلف)

مقدمة الطبعة الثانية

بعد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، تلقيت مئات الرسائل ، يسألني بعض من أرسلوها إذا كان في وسع أي انسان أن يتحول الى ساحر . . ويطلب مني بعضهم الآخر أن أقوم بعمل تعاويذ وأعمال وأحجبة ، لمساعدتهم في الشفاء من مرض أو عقم ، أو لمعاونتهم في إتمام زواج ، أو جلب حظ ، أو تحقيق نجاح ، أو التخلص من عدو !!

وأقول للبعض الأخير أنني لست بساحر ، بل مجرد كاتب أو باحث ، استهواه ما يكتب وينشر الآن ، في جميع أنحاء العالم ، من دراسات وأبحاث علمية جادة ، بهدف اعادة النظر في كل ما كان يوصف بأنه خرافات ، لعل أساليب البحث والقياس العلمية الحديثة تؤدي الى التوصل إلى تفسير مقبول لهذه الخرافات . .

ومن « الخرافات » القديمة ، السحر ، الذي شغل الانسان منذ البداية حتى هذه اللحظة . . وقد أحسست أن واجبي كصحفي يحتم عليَّ أن أقدم تلخيصاً لكل ما قرأته وحصلت عليه من معلومات على صفحات هذا الكتاب . .

والآن . . ما هو السحر ؟ . . ومن هو الساحر ؟!

السحر هو القدرة على التأثير الإرادي في الآخرين وفي الطبيعة من حولهم . . ومن السحر أيضاً الاتصال بالموتى ، وإقامة علاقات مع الجن . . وكذلك العرافة واستخدام الأسرار الكامنة في الحروف والكلمات والأرقام والرموز . .

وتاريخ الانسانية حافل بالكثيرين ، الذين استطاعوا التأثير في غيرهم أو فيما حولهم بارادتهم أمام الناس وفي وضح النهار .. وهذه القدرة قد تستيقظ عند شخص ما بشكل مفاجىء ، حين يشعر بقلق حقيقي على شيء ما ... أو باهتمام حقيقي بشيء ما .. أو برغبة حقيقية للتأثير في شيء ما .. بينما يستطيع شخص آخر إيقاظ هذه القدرة في أعماقه ، وصقلها ، ثم تدريب نفسه بعد ذلك على استخدامها استخداماً إرادياً !!

وهناك تعريفات عديدة للساحر .. منها « .. إنه الشخص الذي يملك قدرة متفوقة تتيح له الرؤية أعمق ، والسمع أبعد ، وإدراك ما يعجز أصحاب القدرات العادية عن إدراكه » ..

ومنها .. « أنه الشخص الذي يتمكن عن طريق ايقاظ القدرات والملكات المتفوقة الكامنة في أعماقه ، واستخدامها حين يشاء للتأثير في الآخرين ، أو لمس كل ما هو غير مادي وإخضاعه لمشيئته » ..

ومنها .. أنه الشخص الذي يملك القدرة التي تمكنه من التعامل مع مخلوقات أخرى ، مثل الجن ، وتسخيرها لتحقيق ما يعجز عن تحقيقه بقدراته الإنسانية المحدودة .. » .

ومنها .. « أنه إنسان عادي ، مثلي ومثلك ، لكنه استطاع أن يتحلل من أغلال جسده المادي ، ويتخطى الحواجز ، ويحلق في آفاق رحبة ، تنعدم فيها كل الأبعاد ، ليوجد الماضي والحاضر والمستقبل على خط واحد ، يمكن الانتقال بين طرفيه بسهولة ويسر !!..

ذلك هو الساحر .. ويستطيع أي انسان أن يكون ساحراً .. ولعل الصفحات التالية تقدم مزيداً من التفاصيل التي تقدم أكثر من دليل على ذلك ..

سعيد اسماعيل

« . . . وقالوا إن أفراداً عاديين في مظهرهم ، بسطاء في ثقافتهم ، كان في مقدورهم أن يروا بوضوح كامل ، أجساماً دقيقة وضعها آخرون على بعد عشرات الكيلومترات ، بقصد اختبار قدراتهم ، وأن يصفوها بدقة مذهلة . . » .

وكانت الأحجار الضخمة
ترتفع وحدها في الهواء !

نحن نتوقف من حين إلى آخر أمام بعض الناس ، ونرى فيما يفعلونه شيئاً مختلفاً . . شيئاً خارقاً لا تفسير له . . وعندئذ نشعر بالخوف ، أو الحيرة ، أو الانبهار ، أو قد نبدي إعجابنا ببراعتهم ونكتفي بذلك . .

وذات يوم ، قابلت رجلاً من هؤلاء . . كنت قادماً إلى القاهرة من سوهاج بعد رحلة مرهقة . . وكان الرجل يجلس بجانبي على المقعد المجاور لي في القطار . . لم يكن ذلك الرجل عادياً . . فقد أحسست نحوه منذ الوهلة الأولى بإحساس غريب ، كأن تياراً كهربائياً ضعيفاً مسني . . فحاولت الانشغال عنه بالنظر من خلال زجاج النافذة ، لكن الظلام الدامس في الخارج جعلني أرى خياله في الزجاج الذي بدا كمرآة ، فأسندت رأسي إلى ظهر مقعدي محاولاً النوم . .

خفف القطار من سرعته قبل الدخول إلى محطة أسيوط ، فاعتدلت في جلستي ، وأخرجت علبة سجائري ، ووضعت سيجارة بين شفتي ، ووضعت يدي في جيبي لأخرج الكبريت . . لكن الرجل أشعل ولاعته ، وقربها نحوي . . ترددت . . ثم انحنيت قليلاً إلى الأمام فأشعلت السيجارة وشكرته . .

ومرت دقائق ثقيلة ، شغلت نفسي خلالها بمتابعة حلقات دخان السيجارة وهو يتصاعد ليتلاشى . . وهدأت العجلات بالتدريج حتى توقفت . . ونظرت من زجاج النافذة فطالعتني لافتة مضيئة مكتوب عليها « أسيوط » بخط رديء . .

. . وعلى رصيف المحطة كان البعض جالساً أو نائماً على الأرض . . والبعض ينتظر أو يتأهب للركوب . . ونزل ركاب ، وصعد آخرون . . ثم دوى صوت صفارة على الرصيف ، فتحرك القطار تاركاً المحطة ، ثم المدينة كلها خلفه . . ولم تلبث العجلات أن دارت مرة أخرى بأقصى طاقتها . . وبكى طفل أفزعه ضجيج قطار مضى كالسهم في الاتجاه المعاكس . . وعلا شخير رجل سمين على مقعد مجاور ، واستغرق باقي الركاب في صمت

كئيب .. أما الرجل الجالس بجانبي فلا يزال ينظر نحوي ، أو هكذا أحسست ، رغم حرصي الشديد على تجنب النظر ناحيته ... ماذا يريد ؟ ..

إلتفت نحوه فإبتسم ، وقال بصوت هادىء عميق كأنه يتكلم من بطنه :

ـ اسمي رشاد ..

ثم صمت لحظة ، التقت عيناي خلالها بعينيه ، وعاد يقول :

ـ رشاد عبد السلام .. وأنت فلان .. وأمك فلانة !!

دهشت ... كان الاسمان صحيحين .. ونظرت ملياً إليه .. كان غريباً عليَّ ، لكن ما في عينيه كان أكثر غرابة .. بريق غامض يتدفق كأنه إشعاع مغناطيسي .. أما الوجه فأسمر نحيف ، مغضن عند الجبهة والوجنتين .. له أنف طويل مدبب ، وشعر الذقن نابت في غير انتظام .. والشفتان غليظتان مزمومتان ..

وبذلت جهداً مضيناً في محاولة تذكر إن كنت رأيته من قبل ، وأين .. ولكني فشلت .. وقبل أن أنطق بكلمة ، جاءني صوته الهادىء العميق مرة أخرى :

لا تجهد نفسك .. فأنا أراك لأول مرة ... وكذلك أنت ... ولكني استطيع أن أعرف كل شيء عنك .. وعن كثيرين غيرك .. كل من تراهم داخل هذه العربة ، حتى هذا الرجل الذي لا يكف عن الشخير !!

وحكى لي معظم أحداث حياتي ... حدثني عن الأمراض التي تعرضت لها في طفولتي .. وذكر لي أسماء المدارس التي تعلمت فيها ، والأحياء التي سكنت فيها ، والمدن التي زرتها ، والدول التي سافرت اليها .. وذكر لي اسم والدي ، وأسماء إخوتي ، الذين ماتوا والذين لا يزالون على قيد الحياة ... ثم تطرق بعد ذلك إلى أهم ما سأصادفه في المستقبل ...

وتوقف عن الكلام قليلاً ، وأرسل بصره إلى سقف العربة ، ثم قال :

ـ هذا القطار سوف يتوقف فيها بين المنيا وبني سويف مدة ست ساعات . . إ إحدى عربات قطار بضاعة ، يسير أمامنا ، سوف تخرج عن القضبان وتنقلب . . ربنا يستر !!

لم أنطق ، فلم يكن في استطاعتي أن أجد كلاماً أقوله . . أما هو فقد دفع ظهر مقعده إلى الخلف ، واستند عليه برأسه ، واستغرق في النوم ، تاركاً لي الدهشة ، والحيرة ، والخوف أيضاً . .

وعندما توقف القطار في محطة المنيا ، وغادرها متوجهاً الى مدينة بني سويف ، استبد بي قلق عنيف . . ورحت استعيد كلمات الرجل ، كلمة ، كلمة ، وأشعلت سيجارة لأداري قلقي ، ثم سيجارة ، ثم سيجارة ثالثة . . . وكل حواسي متقدة ومركزة على عجلات القطار تتابع إيقاعها المنتظم . . .

وبعد حوالي الساعة ، أبطأ القطار من سرعته ، ثم تمهل ، ثم توقف تماماً فأسرعت دقات قلبي . . هل صدق الرجل . . . ربما !! . . . غير معقول !!!

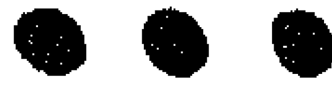
وساد صمت . . وساور القلق الركاب . . ثم أخذوا يتساءلون عن السبب ولكن لا جواب . . . وبعد قليل جاء فراش العربة فأحاطت به كل العيون والآذان . . . لكنه قال إننا على بعد نصف كيلومتراً من إحدى المحطات الصغيرة ، وأن معاون القطار ومساعده نزلا للاستفسار عن سبب إغلاق السكة . . .

وانقضى نصف ساعة كأنه نصف قرن ، ثم جاء الفراش مرة أخرى وقال إن عربة من قطار بضاعة يسير أمامنا قد انقلبت . . . وأن قطارنا سوف يظل واقفاً حتى يجيء الونش من بني سويف لرفعها !!

وثار أحد الركاب قائلاً : هذه فوضى . . وقال آخر : بل هذا إهمال جسيم . . وقال ثالث إنه التخلف . . ونظر رابع إلى ساعته وقال إنه سيقيم

الدعوى القضائية ضد هيئة السكك الحديدية ويطلب تعويضاً . . لكنهم جميعاً لم يلبثوا أن هدأوا واستسلموا للنوم أو لليأس . أما الرجل الجالس بجانبي فكان يغط في نوم عميق !!

وكان لا بد أن تمضي الساعات الست بالتمام ، قبل أن يتمكن رجال الإنقاذ من إزاحة عربة البضاعة عن القضبان ، ويستأنف قطارنا سيره !!



وليس رشاد عبد السلام وحده الذي يستطيع أن يعرف . . كثيرون غيره يستطيعون . . وكثيرون أيضاً الذين يقومون بأعمال أكثر إثارة للدهشة مثل ثني أسياخ الحديد دون لمسها ، أو تحريك الأجسام الثقيلة عن أماكنها بمجرد الإشارة إليها . . أو كسر لوح زجاجي في نافذة بمجرد النظر إليه ، أو قراءة ما يدور في رؤوس غيرهم كما لو كانوا يقرأون صفحة في كتاب . . ونحن نقول إن هؤلاء سحرة . . وأن ما يقومون به سحر . . فما هو السحر ؟

يقول العلماء والباحثون أن السحر قدرة تتوفر عند بعض الناس ، فيستطيعون بها التأثير في غيرهم ، أو فيما حولهم . . وهذا التأثير يكون مادياً في بعض الأحيان ، ووهمياً في أحيان أخرى . .

ويقول آخرون إن السحر عمل يؤدي إلى نتائج تتعارض مع قوانين الطبيعة والمنطق المألوف . .

ويقول آخرون أن السحر فن له آثار لا يمكن إنكارها ، وإن كان هو نفسه غامضاً ، لأنه يستند إلى قوانين غيبية غير قابلة للقياس أو التحليل أو التفسير . .

أما علماء النفس فيقول فريق منهم أن السحر قدرة متفوقة على الإيحاء ، يستطيع من يملكها نقل أفكاره وتصوراته إلى رؤوس الآخرين ، فيرون ما يريد لهم أن يروه . . ويقول فريق آخر أن هناك ظواهر لا يزال

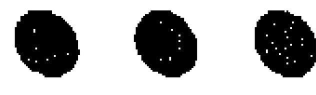
العلم عاجزاً أمامها ، لأنها فوق المستوى المادي المحسوس ، وتحتاج إلى منهج جديد للتفسير لم يتوصل إليه العلم بعد .. ومن هذه الظواهر السحر ...

ويقول أفلاطون : « إن كل ما يخدع يمكن وصفه بأنه سحر ... ولذلك فإن السحر كذبة رديئة » .

لكن أرسطو له رأي آخر في السحر ، يختلف عن رأي أفلاطون ، وقد تعلم أرسطو فنون السحر على أيدي الكهنة المصريين ، وأتقنها ، ثم نقلها بعد ذلك إلى اليونان ..

ويقول الفيلسوف العربي ابن خلدون في مقدمته ، عن السحر والطلمسات : « إنها علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثير في عالم العناصر ، إما بغير معين ، أو بمعين من الأمور السماوية .. والأول هو السحر ، والثاي هو الطلمسات » ..

ويقول ابن خلدون : « ... وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين ، وفي أهل مصر من القبط وغيرهم .. وكان فيها لهم التأليف والآثار .. ولم يترجم لنا من كتبهم فيها إلا القليل مثل الفلاحة النبطية من أوضاع أهل بابل .. فأخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيه .. ووضعت بعد ذلك الأوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندي في صورة الدرج والكواكب وغيرهم .. » .



وإذا كانت العلوم المادية قد طغت في العصر الحديث ، وسيطرت على عقول الناس ، بعد أن تحكمت في حياتهم وتفكيرهم .. فإن هذه العلوم المادية قد عجزت حتى الآن عن انتزاع الإيمان الفطري بوجود قوي خارقة قادرة على التعبير عن نفسها في بعض الأحيان .. وليس أدل على ذلك من أن الكثير من المثقفين والمتحضرين ، الذين يتعمدون القول بعدم اعتقادهم في السحر ، يتسم سلوكهم في حياتهم الخاصة ، بالخوف الشديد من الحسد ،

والنحس ، ويتفاءلون ويتشاءمون ، ويفزعون من الغموض ، ويتشككون في الغريب ، ويخافون على أولادهم من العين فيتكتمون تفوقهم ، ويرتعدون إذا عرفوا أن فلاناً له علاقة بالجن !!

والحقيقة أن رفض الإنسان للظواهر الغريبة ، أو الغامضة ، ووصفه لها بأنها خرافات أو خزعبلات ، لن يقضي على هذه الظواهر .. ومن حسن الحظ أن بني الإنسان ليسوا جميعاً من الرافضين ، فقد كان بينهم ، على مر العصور ، عدد لا بأس به من الذين يجدون في التأمل والتفكير متعة عقلية أو ذهنية ، أسفرت دائماً عن إزاحة الغموض عن كثير من ألغاز الكون وكشف مكنوناته .. وهؤلاء هم المفكرون ، أو الحكماء ، أو العلماء ..

وأي مفكر ، أو حكيم ، أو عالم ، ليس إنساناً من طراز خاص ، أو نادر .. إنه ببساطة شديدة إنسان عادي ولكنه تحرر من الخوف بعد أن أدرك أنه عدوه الأول ، الذي حال بينه وبين بلوغ الكمال العقلي على مر السنين .. ولذلك فهو لا يتسرع أبداً في قول كلمة « لاَ » قبل أن يطيل النظر ويمعن التفكير والتأمل .. إنه يزن الأمور بموازين دقيقة ومتعددة ومختلفة .. ويدور حول الظواهر الغريبة التي تصادفه ، لينظر إليها من كل النواحي ، ويتفحصها من كل الزوايا .. فإذا لم يوفق في اكتشاف أسرارها ، فإنه يحاول مرة أخرى .. ثم مرة ثالثة .. ولا يستسلم للفشل أو يلجأ الى الرفض .. وإنما يستبدل كلمة « لا » بكلمات أخرى مثل « قد » ، أو « ربما » ، أو « جائز » ، أو « محتمل » .. لأنه يعلم جيداً أن رفض الحقائق لا ينفي وجودها !!

ومن هذه الحقائق السحر .. أو بعبارة أخرى ، قدرة بعض الناس على التأثير في غيرهم وفي الطبيعة من حولهم .. ومن السحر الاتصال بالموتى ، وإقامة علاقات مع الجن ، والعرافة ، واستخدام الكلمات والرموز والأرقام لإحداث تأثيرات معينة ، في حالات معينة ، في أوقات معينة .. وقد يكون المستهدف بهذه التأثيرات إنساناً ، أو حيواناً ، أو نباتاً ، أو جماداً ..

والعلم الحديث يحاول الآن جاهداً اختراق الجدار السميك الذي يفصل العالم المادي المحسوس عن عالم السحر اللامادي اللامحسوس . . . والعلماء الذين يتصدون لهذه العملية الصعبة ، يعيدون النظر في كل ما وصفه الأولون والماديون بأنه خرافات وخزعبلات . . ومع أنهم ما زالوا يحاولون ، فإنهم تمكنوا من إزالة بعض الغموض . . .

أما الأديان السماوية فلم تنكر السحر . . صحيح أنها نهت عنه ، وكفرت من يمارسونه ، ولكنها لم تنكره . .

وفي القرآن الكريم ، جاء في الآية ١٠٢ من سورة البقرة ، قول الله تعالى :

﴿ . . وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾ .

وفي الآيات ٧٩ و٨٠ و٨١ من سورة يونس ، قال الله تعالى :

﴿ وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم ، فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما أنتم ملقون . فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين » .

وفي الآية ٦ من سورة الجن يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين :

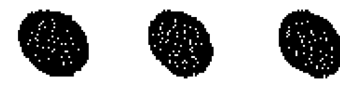
﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾ .

وفي الآية ١٢٨ من سورة الأنعام يقول سبحانه وتعالى :

﴿ ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم » .

وفي آيات سورة الفلق يقول رب العالمين :

﴿ قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ .



وجاء في الإصحاح ٢٨ من سفر صموئيل الأول ، في التوراة :

« ومات صموئيل وندبه كل إسرائيل ودفنوه في الرامة في مدينته . وكان شاول قد نفى أصحاب الجان والتوابع من الأرض . فاجتمع الفلسطينيون وجاءوا ونزلوا في شونم وجمع شاول جميع إسرائيل ونزل في جلبوع . ولما رأى شاول جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه جداً . فسأل شاول من الرب فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء . فقال شاول لعبيده فتشوا لي عن امرأة صاحبة جان فأذهب اليها وأسألها . فقل له عبيده هو ذا امرأة صاحبة جان في عين دور . فتنكر شاول ولبس ثياباً أخرى وذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى المرأة ليلاً وقال أعرفي لي بالجان وأصعدي لي من أقول لك . فقالت له المرأة هو ذا أنت تعلم ما فعل شاول كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض . فلماذا تضع شركاً لنفسي لتميتها . فحلف لها شاول بالرب قائلاً حي هو الرب إنه لا يلحقك إثم في هذا الأمر . فقالت المرأة من أصعد لك . فقال أصعدي لي صموئيل . فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم وكلمت المرأة شاول قائلة لماذا خدعتني وأنت شاول . فقال لها الملك لا تخافي. فماذا رأيت . فقالت المرأة لشاول رأيت آلهة يصعدون من الأرض . فقال لها ما هي صورته . فقالت رجل شيخ صاعد وهو مغطي بجبة . فعلم شاول أنه صموئيل فخر على وجهه الى الأرض وسجد . فقال صموئيل لشاول لماذا اقلقتني بإصعادك إياي . قال شاول قد ضاق بي الأمر جداً . الفلسطينيون يحاربونني والرب فارقني ولم يعد يجيبني لا بالأحلام ولا بالأنبياء فدعوتك لكي تعلمني ماذا أصنع . فقال صموئيل ولماذا تسألني والرب قد فارقك وصار عدوك . وقد فعل الرب لنفسه كما تكلم عن يدي وقد شق الرب المملكة من يدك وأعطاها لقريبك داود . لأنك لم تسمع

لصوت الرب ولم تفعل حمو غضبه في عماليق لذلك قد فعل الرب بك هذا الأمر اليوم . ويدفع الرب إسرائيل أيضاً معك ليد الفلسطينيين وغدا أنت وبنوك تكونون معي ويدفع الرب جيش اسرائيل أيضاً ليد الفلسطينيين . فأسرع شاول وسقط على طوله الى الأرض وخاف جداً من كلام صموئيل وأيضاً لم تكن فيه قوة لأنه لم يأكل طعاماً النهار كله والليل » .

ثم تبين الإصحاحات ٢٩ و٣٠ و٣١ من نفس السفر ، أن كل ما قالته نفس صموئيل التي استحضرتها المرأة صاحبة الجان قد تحقق بحذافيره . .

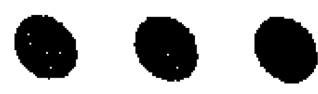
وإذا كانت التوراة قد حفلت بما يؤكد وجود السحر كقدرة حقيقية عند بعض البشر ، فإن العهد الجديد قد حفل كذلك بمثل ما حفلت به التوراة . .

فقد جاء في إنجيل مرقص :

« وكان في مجمعهم رجل به روح نجس . فصرخ قائلاً آه ما لنا ولك يا يسوع الناصري . أتيت لتهلكنا . أنا أعرفك من أنتِ قدوس الله فانتهره يسوع إخرس واخرج منه فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه فتحيروا كلهم حتى سأل بعضهم بعضاً قائلين ما هذا . ما هو هذا التعليم الجديد . لأنه بسلطانه يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه » .

وجاء في أعمال الرسل :

« وكان قبلاً في المدينة رجل اسمع سيمون يستعمل السحر ويدهش شعب السامرة قائلاً إنه شيء عظيم . وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين هذا هو قوة الله العظيمة . وكانوا يتبعونه لكونهم قد اندهشوا زماناً طويلاً لسحره . ولكن لما صدقوا فيلب وهو يبشر بالأمور المختصة بملكوت الله وباسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالاً ونساء . وسيمون أيضاً نفسه آمن . ولما اعتمد كان يلازم فيلب . وإذ رأى آيات وقوات عظيمة تجري اندهش » .



بعد هذه الإشارات السريعة لبعض ما ورد في الكتب المقدسة عن السحر لا بد أن يكون السؤال التالي مباشرة عن الساحر .. من هو ؟.. وماذا يفعل ؟. وكيف يفعل ؟..

وبكثير من الإيجاز نقول إنه واحد من بيننا .. إنسان عادي مثلي ومثلك .. وقد تكون أنت ساحراً ، وقد أكون أنا أيضاً ، ولكننا لم نفطن الى ذلك لأننا لم نكتشف أنفسنا حتى هذه اللحظة .

فنحن نعتمد في حياتنا الروتينية على حواسنا وقدراتنا العادية فقط .. ربما لأن المادية قد استحوذت علينا ، وربما لأن مطالب الحياة ترهقنا وتستولي على تفكيرنا ، وربما لأن طموحنا قد توقف بعد أن قنعنا بتفاهة العيش في القرية أو المدينة ..

ولكن ليس معنى ذلك أن قدراتنا المتفوقة قد اختفت أو تلاشت الى الأبد .. إنها تراجعت وكمنت فقط ، لكنها قد تتوهج وتنطلق في أي لحظة ..

ولأن السحر فن مثل الرسم ، والنحت ، والحفر على الخشب ، فإن ملكته تتألق عند بعض الأشخاص رغماً عنهم .. أي أنه كما يوجد رسام موهوب ، ونحات موهوب ، يوجد أيضاً ساحر موهوب ، أو ساحر بالفطرة .. لكن لا شك في أن الدراسة والممارسة تصقل هذه الموهبة وتطورها ..

ومن بين التدريبات التي يمارسها السحرة الموهوبين ، الصوم لفترات طويلة عن الطعام ، والاكتفاء بالقليل جداً منه عند إفطارهم .. كذلك الانقطاع عن الناس .. والامتناع عن الكلام .. والاعتزال في الخلاء ، أو بين القبور ... وارتداء الملابس الخشنة .. وممارسة القسوة على النفس بحرمانها من الملذات وسائر متع الحياة ..

والسحرة ثلاثة أنواع ...

الأول يمارسَ أصحابه ما يسمى بالسحر الأبيض ، وهم يعتزلون الناس

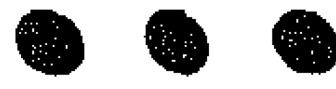
للتعبد والتأمل في أماكن قصية أو مهجورة . . . ويعذبون أجسادهم ليخلصوا أنفسهم من دنس الشهوات . بالجلوس عارياً ساعات طويلة في عز البرد ، أو فوق الثلوج . . أو بالنوم فوق حصى مدبب الأطراف ، أو فوق أسنان مسامير مثبتة في لوح من الخشب . . أو بإحداث جروح في أجسادهم وتركها تتقيح . . وهم بخلاف ذلك يترفعون فوق كل متع الحياة ، ويعزفون عن ملذاتها ، لكي تشتد عزائمهم ، وتقوى إرادتهم ، ويتحقق لهم السمو الى حالة من الشفافية تمكن نفوسهم من التحرر من اغلال أجسادهم المادية ، لكي تحلق في الآفاق الرحبة ، حيث ملكاتهم تكون أكثر توهجاً ، وأكثر قدرة على الانطلاق دون أن يعوقها عائق أو يحدها حد . . وهم بعد ذلك يمارسون السحر لتحقيق الخير للناس . .

والنوع الثاني من السحرة ، يمارس أفراده الأعمال الشريرة ، أو ما يسمى بالسحر الأسود . . وهم يؤذون الناس في غفلة منهم ، ويمارسون طقوساً غريبة ، ويأوون في بيوتهم حيوانات مكروهة أو مرعبة ، أفعى سامة مثلاً ، أو حرباء ، أو فئران . . أو حشرات سامة مثل العقارب والعناكب والديدان . . ويقيمون علاقات شاذة مع حيوانات مثل الحمير والماعز والكلاب . . ويتجنبون الاقتراب من الماء بالشهور . . فقط يشربونه ، ولكنهم يستعيضون عنه باللبن الحليب عند الاغتسال . . ويقترفون الكثير من المحرمات ، ويدوسون بأقدامهم أغلب المقدسات . . ويحفظون من الطلاسم والتعاويذ ما يمكنهم من الاتصال بالجن ، والتعامل معه ، والاستعانة به . . .

وأما النوع الثالث من السحرة ، فان أفراده يعيشون حياة عادية معظم الوقت ، ولكن قدراتهم غير العادية تتوهج في أعماقهم فجأة ، دون ارادة منهم . . . فيصبحون قادرين على السمع والرؤية أبعد وأعمق . . . ويستطيعون التأثير فيها وفيمن حولهم ، ويسببون لهم من المتاعب ما قد يقلب حياتهم رأساً على عقب !!

والساحر ، بعد كل ذلك شخص مختلف عن سائر الناس في سلوكه . . . إنه يبدو مستهيناً لا مبالياً . . . لا يتقيد بقواعد أو أصول التعامل

المتعارف عليها بين أفراد المجتمع الذي ينتمي اليه . . . يرتدي ما تقع عليه يده من ثياب ، ولا يهتم بمنظره أو مظهره . . . ولا يأبه بما يقول غيره عنه . . ربما لأنه يعلم أنه صاحب رؤية ثاقبة ، تجعله على بينة بما وراء الأقنعة الزائفة التي يخفي الناس خلفها رغباتهم المنحطة . . . وربما لأن قدرته على معرفة النتائج تجعله يدرك أن المشقة التي تبذل في السعي لتغييرها ضرباً من العبث !!



ونحن نصادف ، من آن لآخر ، أفراداً من هذه الأنواع الثلاثة في كل زمان ومكان . . وعندما تحيرنا أعمالهم الخارقة ، ونعجز عن معرفة كيف يستطيعون القيام بها ، نريح أنفسنا بالقول أنه الخداع . . . خداع البصر ، أو خداع السمع ، لذلك بقيت كلمة « كيف » بغير إجابة ، حتى جاء العصر الحديث بعلومه المتقدمة فانشغل الناس بالمادة ، وآمنوا بالسبب والنتيجة . . . وقال الماديون أن عصر الخوارق قد انتهى . . وأن الحديث عن السحر والمعجزات لا يعدو أن يكون نوعاً من التخريف ، لأن كل شيء أصبح خاضعاً للفحص والقياس . . كل شيء حتى مشاعر الإنسان وأحاسيسه !!

لكن رغم التقدم العلمي ، لم يختف أصحاب القدرات والملكات المتفوقة ، ولم يتوقف السحرة عن القيام بأعمالهم الخارقة . . ولم يكن في مقدور عدد من العلماء، الذين آمنوا بالسبب والنتيجة ، أن يتجاهلوا هذه الظواهر غير العادية أو أن يغضوا الطرف عنها باعتبارها أعمالاً شاذة . . . فقرروا أن يستخدموا وسائل الاختبار والفحص والقياس العلمية في إعادة دراسة كل ما وصفه الماديون بأنه تخريف . . وبعد جهد شاق بذلوه في دراسات جادة ، توصلوا الى عدد من الحقائق . . فماذا قالوا ؟ . .

قالوا : أن بني الإنسان يتميزون عن سائر المخلوقات التي تدب على الأرض ، بأنهم ذوي إرادة . . وأنهم يمتلكون القدرة على التصور ، والاستنتاج ، والإبداع ، والتعبير عما يدور في عقولهم بغير الصوت والحركة . .

وقـالـوا : أن بعض بني الإنسـان يملكـون . . غـير حـواس الـذوق ، والشم ، والبصـر ، والسمع ، واللمس . . حـواساً أخـرى تمكنهم من قراءة أفكار غيرهم ، وما يخفونه في سرائرهم . .

وقالوا : أن بعض الأشخاص استطاعوا التنبؤ بأحداث قبل وقـوعها ، ثم وقعت فيما بعد كما رووها تماماً . . وأن بعض الأشخـاص استطاعـوا رؤ ية ما يجري خلف الجدران . . . معتمدين عـلى قدراتهم المتفـوقة فقط . . . وأن يصفوه بمنتهى الدقة ، وكذلـك كان في استـطاعتهم رؤ ية أجسـام مدفـونة في باطن الأرض !!

وقالوا : أن أفراداً عاديـين في مظهـرهم ، بسطاء في ثقـافتهم ، كان في مقدورهم أن يروا ، بوضوح كامل ، أجساماً دقيقة وضعها آخـرون على بعـد عشرات الكيلومترات ، بقصد اختبار قدراتهم ، وأن يصفوها بدقة مذهلة . .،

وقالوا : أن بعض الأفراد ممن لا يعرفون القراءة أو الكتـابة بـأي لغة ، تمكنـوا أثنـاء اختبـارهم ، من الاتصـال بعلماء ، وملوك ، وأبـاطـرة ، وقـادة عسكـريين رحلوا عن الـدنيا منـذعشرات المئـات من السنين ، وحصلوا منهم عـلى إجابـات دقيقة لعـدد من الأسئلة التي قـدمهـا لهم العلماء الـذين قـامـوا بـاختبارهم . . وقـد تم التأكـد من صحة هـذه الإجابـات بعد الـرجـوع الى الوثائق المخطوطة بلغات قديمة ، والمحفوظة في المتاحف !!

وقالوا : أن بعض الأشخـاص كانـوا أثناء اختبـارهم ، يرددون بعض الكلمات بترتيب خـاص ، وينطقـون بعض الأرقام ، فتتحـرك كتل حجـرية ضخمة من مواضعهـا ،ويرتفـع بعضها ليصبـح معلقاً في الهـواء . . وأتاحـوا الفـرصة كـاملة للعلماء الـذين اختبـروهم لكي يتـأكـدوا من أن هـذه القـطع الحجـريـة لم تكن مشـدودة بشيء من أعـلى ، أو مستنـدة عـلى شـيء من أسفل . . وعندما طلب منهم إنزالها ، رددوا كلمات وأرقام أخرى فنزلت هذه القطع الحجرية برفق حتى استقرت في مواضعها الأولى !!

وقالوا : أيضـاً ، أن بعض الأشخاص كـانوا يمـدون أيديهم الى الهـواء

فيأتون بعملات قديمة ، أو أوراق نقدية متداولة ، أو فاكهة في غير موسمها ، أو قطع من الحلوى والشيكولاتة ، رغم أنه قد تم تفتيشهم قبل إجراء الاختبار ، ولم يسمح لهم بارتداء الا ما يستر عوراتهم من ملابس داخلية . .

ولم يكن في وسع من قاموا باجراء هذه الاختبارات في النهاية سوى أن يقبلوا على مضض ، ما أفضى به إليهم هؤلاء الأشخاص ، من أن مخلوقات أخرى غير منظورة تساعدهم في القيام بتلك الأعمال الخارقة . . ومن بين هذه المخلوقات أشباح ، وعفاريت من الجن . .

وقالوا : أن بعض هؤلاء السحرة يعتمدون على قدرات متفوقة يملكونها ، من بينها إرسالة إشعاعات غير منظورة ، تؤثر في العناصر وتغير معالمها ، أو تجعلها تندمج مع عناصر أخرى لتكون مركبات جديدة . . كذلك كان في إمكان البعض الآخر إفراز موجات كهرومغناطيسية تكون لها تأثيرات على آخرين تشل تفكيرهم وتفتت إرادتهم وتجعلهم يخضعون لهم خضوعاً كاملاً ، ويطيعونهم طاعة عمياء ، وينفذون طواعية كل ما يأمرونهم به حتى لو كان الموت . . كما سنرى على الصفحات التالية . .

« .. وإذا عـدنـا إلى النقـوش والرسوم التي تركها إنسان العصر الحجـري الأول ، سنجدهـا قـد صورت الساحر شخصاً مختلفاً .. فهـو طـويـل بـين مجمـوعـة من الأشخاص القصار .. نحيف .. قاسي الملامح .. يضع فوق رأسه جمجمة دب .. أو جمجمة أفعى ضخمـة .. أو جمجمـة طـائـر كبير !! » .

كانوا يستخدمون السحر
لإصابة أعدائهم بالشلل والعجز الجنسي !

إذا كان الدجل نوعاً من العبث الذكي بآمال ورغبات الآخرين ، فإن السحر شيء آخر . . إنه فن وعلم حقيقي . .

والسحر فن لأنه يتطلب مهارة وخبرة لدى من يمارسه . . وهو علم لأن له أصول ، ومنهج ، وقواعد مستقرة ، يتناقلها بنو الإنسان جيلاً بعد جيل .

وقواعد السحر معقدة وسرية . . ولذلك فإن عدد الذين زعموا ، ويزعمون ، أنهم سحرة كبير جداً . . وهؤلاء هم الدجالون ، الذين يمارسون الخداع والابتزاز ، ويبيعون الوهم لضحاياهم مغلفاً بالسلوفان . . ومن أشهر الدجالين في العصر الحديث ، « ويليام روى » الذي نشرت صحيفة « صانداي بكتوريال » البريطانية اعترافاته المثيرة في عام ١٩٥٨ ، وأحدث نشرها دوياً هائلاً في أوربا بأسرها . .

ومع أن « روى » قال في بداية اعترافاته أنه يستحق الشكر ، لأنه قدم الراحة والسعادة إلى العجائز والأرامل ، الباحثين عن الحب والدفء في أحضان أحبائهم الذين رحلوا عن الدنيا . . إلا أنه قال ، منذ البداية أيضاً ، أنه احترف الدجل لكي يجمع أكبر قدر من المال في أقصر وقت ممكن . .

ولعل أهم ما قاله « روى » في هذه الاعترافات هو أن الدجل فن تقليد . . والسحر فن إبداع . . والتقليد أصعب كثيراً من الابداع ، ويكلف القائم به مالاً وجهداً . . .

ويقول « روى » أنه كان يدفع مبالغ كبيرة لرجال البوليس السري الخاص ، ثمناً لمراقبتهم الدقيقة لسلوك ضحاياه في بيوتهم ، وأعمالهم ، وبيوت أصدقائهم وأقاربهم ، وفي المقاهي ، والنوادي ، والحدائق ، والمحال العامة التي يترددون عليها . . وكان يدفع رشاوى سخية منتظمة لعدد من عمال التليفونات ، ليقوموا بالتنصت على المكالمات الشخصية لهؤلاء الضحايا ، وتسجيلها له على شرائط . . كما كان يخصص أجوراً عالية لمعاونيه ، الذين كانوا يقومون باستقبال المترددين عليه ، ويقنعونهم بترك حقائبهم وأشيائهم الخاصة في غرفة خارجية ، ثم يفتشونها ويبلغون « روى »

بتفاصيل محتوياتها عن طريق جهاز لاسلكي دقيق جداً ، يثبته « روى » خلف أذنه !!

لقد استطاع « ويليام روى » أن يجمع مائة ألف جنيه استرليني خلال ثلاث سنوات ، بعد أن أدخل في روع الجميع أنه وسيط يقوم عن طريق السحر بالاتصال بنفوس الموتى ويحصل منها على حلول للمشاكل التي يعاني منها الأحياء . . إلا أنه وقع في النهاية في الفخ ، عندما أقنعه عدد من الباحثين المهتمين بعلوم السحر والروح ، بأنهم سيكتبون اسمه في سجل الوسطاء العالميين اذا اجتاز اختبار القدرة على الوساطة . . ووافق . . فأجلسوه على مقعد ، وربطوا يديه وقدميه بحبل . . ووضعوا على فمه شريطاً لاصقاً . . وبمنتهى الثقة في النفس ، طلب منهم « روى » إظلام الغرفة . . وأن يجلسوا على مسافة ثلاثة أمتار منه . . ولم يلبث أن تظاهر بالاستغراق في النوم ، ثم في الغيبوبة . . . ثم أخذ يتحدث بصوت مختلف عن صوته الحقيقي ، وهو يجيب على أسئلتهم . .

كانت غلطة قاتلة سقط فيها « روى » ، رغم حرصه الدائم وذكائه الشديد ، عندما قبل المثول لذلك الاختبار . . فقد فاجأه الباحثون بإضاءة المصابيح ، فاذا به قد نزع الشريط اللاصق من فوق فمه ، بعد أن مال برأسه الى الأمام حتى اقترب وجهه من يديه المربوطتين !!

ومثل « روى » مئات يمارسون الدجل في كل زمان ومكان . . إلا أن الفرق كبيراً جداً بين الدجل والسحر . . . ولعل كشف روى وأمثاله قد أفاد الباحثين في مجال السحر ، وجعلهم يتوخون الدقة والحذر والموضوعية ، أثناء قيامهم بدراسة الحالات والنماذج القليلة الصادقة ، التي يجرون عليها اختباراتهم . . ومن هذه النماذج من استطاعوا اجتياز كل الاختبارات الصعبة التي أجريت لهم ، وصمدوا صموداً مذهلاً أمام التحديات التي واجهتهم ، وقاموا بأداء الكثير من الأعمال الخارقة ، التي أثروا بها في غيرهم ، وفي الطبيعة من حولهم . . . وبعضهم كان في استطاعته إنزال المطر ، والاتصال بنفوس الموتى ، والتعامل مع الجن ، وقراءة ما يخفيه المستقبل !

وعهد الانسان بالسحر قديم قدم الانسانية ذاتها .. التاريخ المكتوب يقول ذلك .. والرسوم التي نقشها إنسان العصور الأولى على جدران الكهوف والمغارات قالته أيضاً .. وتحدثت عنه الأساطير المتوارثة ، والكتب المقدسة ، قبل أن يعترف به العلم الحديث . . .

فمنذ أكثر من ثمانين ألف سنة ، عاش على هذه الأرض إنسان بدائي من فصيلة « النياندرتال » ، فيما يسميه العلماء بالعصر الحجري الأول . وكانت الحياة في ذلك العصر الموغل في القدم ، سلسلة من الصراعات الرهيبة مع الطبيعة القاسية ، والأفاعي الشرسة ، والوحوش العملاقة الكاسرة ، والحشرات السامة القاتلة . . .

ولأن إنسان « النياندرتال » كان يعيش على الصيد ، فإنه تنقل بين أواسط آسيا وغربها ، ثم نزح إلى أوربا سعياً وراء الرزق ، واستقر في وسطها إلى أن هلك في ثلوج العصر الجليدي ، الذي تعرضت له الأرض منذ نحو خمسين ألف سنة .. لكنه قبل أن ينقرض ترك لنا نقوشاً حملت إلينا القليل عنه .. ومن ذلك القليل أنه سكن الكهوف والمغارات . . . وعرف النار . . وارتدى جلود الظباء ، وأن أسلحته كانت عبارة عن عصي ذات أطراف مدببة ، وقطع مشطوفة من حجر الصوان .. وأنه كان يعبد إله واحداً ، وكان يقدم له قرابين من الدببة . .

ويقول عالم الأجناس البشرية « إيفار ليسنر » في كتابه « الانسان والله والسحر » ، الذي قضى سبعة عشرة عاماً في جمع مادته العلمية ، أن الدببة كانت من أخطر مخلوقات العالم القديم ، لما كان لها من أحجام ضخمة ، وقوة هائلة ، ومخالب كأسنان الخناجر ، وسرعة فائقة عندما تنطلق في إثر فرائسها . . .

ومن المرجح أن إنسان العصر الحجري الأول ، قد اعتقد أن قوة الدب غير المحدودة ، تؤهله لأن يكون رسولاً مقبولاً عند الإله .. فخاطر بالخروج وراءه واصطياده ليقدمه قرباناً لكي يسبغ عليه الإله رحمته ، ويحفظه من

المخاطر التي تحيطبه ، ويعينه على قسوة الطبيعة المحيطة به . . .

ويقول « إيفار ليسنر » أن هذا الافتراض قد تأكد ، حين اكتشف العلماء عدداً من الكهوف في جبال سويسرا ، وأماكن أخرى قريبة منها ، وعثروا في داخلها على مئات من جماجم الدببة ، وكان بعضها لا يزال فوق مذابح منحوتة من الحجر . . . وكل ذلك يرجع تاريخه الى ما يتراوح بين سبعين وثمانية ألف سنة!!

والسؤال الآن : كيف كان يستطيع إنسان بدائي أعزل ، إلا من عصا ،وقطعة من حجر الصوان ، أن يتغلب على وحش كاسر مثل الدب ويوقع به ؟!

ـ **الجواب : بالسحر !!**

ففي ذلك العصر كان لكل واحدة من قبائل إنسان « النياندرتال » ساحر . . وكان شبان القبيلة يلجأون إليه قبل خروجهم للصيد ، فيرسم صورة الدب على الأرض ، ويدور حولها وهو يصرخ ببعض الكلمات ، ويؤدي كثيراً من الحركات الراقصة ، ثم يتوقف فجأة ليغرس طرف عصاه المدبب في عنق الدب المرسوم ، وبعدئذ ينطلق الشبان خلف الدببة ليعودوا بها صريعة !!

ويقول الكاتب الانجليزي « كولن ويلسون » في كتابه « القوى الخفية » ، أن هذا النوع من الطقوس السحرية الخاصة بالصيد ، لا يزال موجوداً حتى يومنا هذا ، عند بعض قبائل الشعوب المتأخرة في أماكن من أوربا وآسيا وأفريقيا . . وأن هذه القبائل قد توارثت تلك الطقوس وأسرارها جيلاً بعد جيل عبر عصور متناهية في القدم . . فرجال قبائل البيجمى في الكونغو ، يحرصون حتى اليوم ، على الذهاب الى ساحر القبيلة قبل خروجهم للصيد ، فيرسم على الرمال صورة الحيوان الذي يريدون صيده ، ويؤدي طقوسه وهو يدور حول الصورة ، ثم يطلق من قوسه سهماً فينغرس السهم في رأسها . . وعندما يعود الرجال من جولة الصيد مظفرين ، يأخذ الساحر

بعضاً من دم أحد الحيوانات التي اصطادوها ، وينثره فوق الصورة المرسومة قبل أن ينزع منها السهم !!

أما قبائل « الينيسي » ، في الكونغو أيضاً ، فإن سحرتها يصنعون سمكة كبيرة من الخشب ، ويكتبون عليها تعاويذهم ، ويلقون بها على ضفة النهر .. فتتدافع أفواج السمك الى الشاطىء ليقوم رجال القبيلة بجمعها بسهولة ، كما لو كانوا يجمعون ثماراً سقطت على الأرض من أغصان الشجر ..

ويقول « ويلسون » أن هذه القبائل تعيش حتى الآن بتقاليد وعادات بدائية ، وتؤمن بأن الساحر يستطيع أن يقيم نوعاً من الارتباط السحري بين الصياد وصيده ، مما يجعل الفريسة عاجزة من الإفلات أو الهرب مهما كانت قوتها أو سرعتها !

ومعنى هذا أن الساحر في وسعه ، عن طريق أداء طقوس سحرية معينة ، بطريقة معينة ، أن يحدد للحيوان قدره .. فيخرج من جحره ، أو مخبئه ، ليواجه مصيره صاغراً !!

وإذا عدنا الى النقوش والرسوم التي تركها إنسان « النياندرتال » ، سنجدها قد صورت الساحر شخصاً مختلفاً .. فهو طويل بين مجموعة من الأشخاص القصار .. نحيف .. قاسي الملامح .. يضع فوق رأسه جمجمة دب ، أو جمجمة أفعى ضخمة ، أو جمجمة طائر كبير ..

وسحرة قبائل « النياندرتال » كانوا يعيشون على الهبات والعطايا ، التي يحصلون عليها من أبناء قبائلهم .. وكانوا أيضاً يتقاسمون لحوم وجلود القرابين التي تقدم للاله ..

وعندما تزايد عدد السحرة ، وتعارضت مصالحهم ، ولم تعد لحوم القرابين وجلودها تكفي احتياجاتهم ، اخترعوا آلهة أخرى ، ودعوا الى عبادتها وتقديم القرابين لها .. وأستأثر كل ساحر بإله وأقام له مذبحاً ،

ووجد بين أفراد قبيلته من يتبعه ويؤمن بإلهه .. ربما بسبب الخوف من بطشه .. وربما بسبب الايمان بقدراته الخارقة .. وربما بسبب الاحتياج الشديد للأمان الذي يكفله الساحر لأتباعه .. وربما لكل هذه الأسباب مجتمعة اضطر إنسان « النياندرتال » إلى الانحطاط من عبادة الإله الواحد الى عبادة آلهة متعددة !!

لكن ماذا حدث بعد انقراض انسان « النياندرتال » ؟..

علماء الأجناس البشرية يقولون أن فصيلة أخرى من البشر كانت موجودة في أوربا ، هي فصيلة « كرومانيون » .. وأن قبائل هذه الفصيلة عاشت جنباً إلى جنب مع قبائل « النياندرتال » ، وتصارعت معها في عدد من المعارك بسبب النزاع على مناطق الصيد ومصادر الماء .. إلا أن قبائل فصيلة « كرومانيون » قد صمدت لأهوال العصر الجليدي ، ولم تنقرض بسببها .. ولا يوجد لذلك حتى الآن أي تفسير ..

ويقول العلماء أيضاً أن إنسان « كرومانيون » هو جد إنسان العصر الحالي ، وأنه كان يعبد آلهة متعددة ... إله للتل .. وإله للبحيرة .. وإله للجبل .. وإله للنار . وكانت له طقوسه السحرية التي تشبه الطقوس السحرية عند إنسان « النياندرتال » ، ولكن تزيد عليها طقوس أخرى خاصة بطرد القوى الغريبة التي تتسلط على أبدان الناس ، وتسبب لهم الأمراض والعلل ..

ومن هذه المعلومات الموجزة يتضح لنا أن السحر الذي نشأ في أحضان الدين منذ ثمانين ألف سنة ، امتزج بالطب بعد ذلك .. وقد تأكد علماء العصر الحديث من هذه الحقيقة عندما اكتشفوا مؤخراً نقوشاً على جدران الكهوف في مناطق متفرقة من آسيا ، تمثل أشخاصاً يقومون بأعمال سحرية وعلاجية ، وهم يرتدون جلود الظباء والثعابين ، ويخفون وجوههم خلف أقنعة تشبه رؤوس الطير ، ويمسكون في أيديهم عصى رفيعة قصيرة .. وهؤلاء الأشخاص هم « الشامانات » .. ومفرد الأسم « شامان » .. ومعناه

الساحر الطبيب ، أو الطبيب الساحر . .

ولم يكن هؤلاء الشامانات أثناء ممارستهم العلاج بالسحر ، يستخدمون العقاقير أو الأعشاب في علاج مرضاهم . . وإنما كان كل شامان يجمع مرضاه في حلقة ،ويقف في وسطها ليؤدي رقصات عنيفة على دقات الطبول الصاخبة ،وهو يردد تعاويذه بصوت أشبه بالصراخ . . ويستمر في ذلك حتى يسقط مغشياً عليه ، وعندئذ يهب المرضى ليرقصوا حوله حتى الاغماء أيضاً . . وعندما يفيق الجميع ، يكون المرضى قد تخلصوا من أمراضهم تماماً !!

وقد ظهر الشامانات في البداية في شمال سيبيريا ، ثم ظهروا بعد ذلك في الصين ، ثم في جزر اليابان ، ثم في الهند . . وكانوا أصحاب قدرات خارقة ، مثل العرافة وقراءة الأفكار ، والسير على النار ، وفهم لغة الطير ، واكتشاف اللصوص الذين لم يتركوا خلفهم أي أثر يدل عليهم . . مما جعل أبناء عصرهم يعتقدون أنهم من طينة أخرى غير طينة البشر ، أو أنهم هبطوا الى الأرض من عوالم أخرى في السماء . .

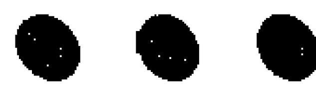
وهناك اسطورة قديمة كانت شائعة إلى عهد قريب في سيبيريا الشمالية ، تقول أن الشامانات يولدون داخل أعشاش كبيرة ، فوق شجرة عملاقة . . حيث يجيء من السماء طائر ضخم فيضع في هذه الأعشاش بيضاً من الحديد ، ويرعاه حتى يفقس . . وعندئذ يخرج من كل بيضة شامان . . ثم يهبط هؤلاء الشامانات الجدد من فوق الشجرة ليعيشوا بين الناس !!

وغير صحيح أن الشامان كان يخرج من البيضة الحديدية كما تقول هذه الأسطورة ، وإنما هو إنسان مثل سائر البشر ، ولكنه يملك الارادة القوية التي تمكنه من استثارة قدراته المتفوقة الكامنة في أعماق نفسه . .

وعندما كان الشامانات يكتشفون شخصاً من هذا الطراز ، فإنهم كانوا يتعهدونه بالرعاية ، ويدربونه على تنشيط قدراته واستخدامها . . وكانوا أيضاً يلقنونه أسرار التعاويذ ، والرموز السحرية ، ويطلعونه على خصائص

الأحجار والألوان ،ويعلمونه قراءة الخفي من أفكار الناس ومشاعرهم . . وبعد تدريب قاس ، يستمر لسنوات ، يعقد الشامانات المعلمون اختباراً للشامان الجديد . . فإذا نجح ، أقاموا له حفلاً كبيراً يحضره جميع الشامانات ، ويأذن له كبيرهم بالتطهر والاختتان ، ويسمح له بتبادل مص الدماء مع الشامانات الموجودين في الاحتفال ، بعد أن يحدث كل منهم جرحاً في ذراعه . . ثم يسميه باسم جديد غير إسمه الأول، ويأمره بالصوم عن الكلام لمدة عام كامل ، يصبح بعد كل ذلك شامانا معترفاً به !!

ومع أن العصور التي سبقت ظهور الشامانات قد شهدت ألواناً عديدة من السحر ، وعديداً من السحرة الذين كان في وسعهم التأثير في الناس والحيوانات والطبيعة بقدر معين . . إلا أن كل الدراسات الجادة التي تناولت السحر تعتبر عصر الشامانات البداية الحقيقية لمولد السحر القائم على أصول وقواعد . . ولعل السبب في ذلك أن الشامانات كانوا أصحاب إرادة فولاذية ، وكفاءة خارقة ، وكان في وسعهم إبطال السحر الذي يقوم به غيرهم ، وتخليص المرضى من عللهم وأوجاعهم بغير دواء أو جراحة . . لكن هؤلاء الشامانات لم يكتفوا بالجمع بين السحر والطب ، وإنما احترفوا بعد ذلك الكهانة ، مما جعل سطوتهم تزداد ، وبأسهم يشتد . . فسيطروا على أبدان الناس وعقولهم ،وأخضعوهم بعد ذلك لمشيئتهم . .



وإذا تركنا عصر الشامانات ، وقفزنا إلى ما قبل مولد المسيح بستة آلاف من السنين ، سنجد أن الانسان ، رغم تحضره النسبي ، قد ازداد خضوعاً لأرباب السحر ، الذين تزايد عددهم ، وتطورت قدراتهم . . ولعل أهم ما حدث هو أن الساحر أصبح قادراً على القضاء على حيوان مفترس بالموت ، عن طريق صنع تمثال مصغر له وإحراقه ، أو غرس الأشواك في مؤخرة رأسه ، أو في موضع القلب منه . .

والسحر عن طريق التماثيل إزدهر عند قدماء المصريين ، وفي الصين ،

والهند ، وعند الفرس ، والبابليين ، والرومان ، والعرب أيضاً . .

ويـذكر « سيرواليس بادج » في كتـابه « السحـر المصـري » ، أن المصريين ، وهم أصحاب أقدم حضارة معروفة حتى الآن ، قد استخدموا التماثيل في عَملياتهم السحرية ، واستشهد على ذلك بعشرات القصص التي نقلها عن البرديات والنقوش التي تركوها في مقابرهم ومعابدهم . .

وكان في وسع الساحر ، لكي يخلص الناس من شر ثعبان ضخم يثير الرعب في قلوبهم ، أن يصنع تمثالاً من الطين يشبه الثعبان تماماً . . وبعد أداء طقوسه وترديد تعاويذه ، يهوى بعصاه على رأس الثعبان الطيني فيفصلها عن جسمه . . وفي نفس اللحظة يموت الثعبان الحقيقي في جحره ، أو في مخبئه ، دون أن يمسه أحد . .

ولم يقتصر السحرة في صنع التماثيل على الطين وحده ، فقد استخدموا أيضاً الشمع ، والحجر الجيري ، والطباشير . . والصور المرسومة والمنقوشة على الحجر والخشب . .

ومن القصص التي ذكرها « سيرواليس بادج » ، أن زوجاً مصرياً استطاع ان يتخلص من عشيق زوجته ، بأن صنع تمثالاً من الشمع على شكل تمساح . . وأمر خادمه أن يأخذ التمثال وينتظر به على شاطىء النيل ، وأن يلقى به في الماء عندما ينزل العشيق للسباحة . . ونفذ الخادم أمر سيده ، فإذا بالتمساح الشمعي يتحول الى تمساح حقيقي ويلتهم العشيق . . أما الزوجة الخائنة فقد عاقبها الزوج بإحراقها !!!

ويقول « بادج » أن أرسـطو نقل أسـرار السحر بـالتماثيـل إلى اليونـان القديمة بعد أن تعلمها على أيدي الكهنة المصريين . . وأنه قدم إلى الاسكندر الأكبر صندوقاً مليئاً بتماثيل شمعية صغيرة تمثـل أعداءه جميعـاً ، لكي يتمكن من هزيمتهم وأسرهم . . ومن اليونان انتقلت أسـرار هذه التمـاثيل إلى أوربـا الغـربيـة ، وانجلتـرا ، وتـوارثهـا السحـرة الأوربيـون جيـلاً بعـد جيـل ، واستخدموها لالحاق الأذى بأعدائهم ، خاصة في العصور الوسطى !!

وبالطبع لم يكن هناك ما يمنع السحرة من استخدام هذه التماثيل لحساب من يدفع لهم ، ولذلك كان الناس يحرصون على عدم السماح بصنع تماثيل أو صور لهم . . وكان الرعب يملأ قلب أي شخص اذا عرف أن ساحراً صنع له تمثالاً . . وقد لقي السحرة مقاومة واضطهاداً لعدة سنوات ، وتعقبهم الحكام ونكلوا بهم ، مما اضطرهم إلى مزاولة أعمالهم في السر . . وكان في وسعهم دائماً أن يصيبوا أشخاصاً بالعجز الجنسي المؤقت أو الدائم ، أو أن يصيبوهم بالشلل في أرجلهم ، أو أيديهم ، أو ألسنتهم !!

وإذا كان المصريون القدامى قد برعوا في استخدام التماثيل الطينية والحجرية ، والشمعية ، في أعمال السحر كما يقول « بادج » . . فإنهم قد برعوا أيضاً في استخدام « الكلمات ذات القدرة » بعد أن اكتشفوا أسرار الحروف والأرقام ، وعرفوا أن نطق كلمة ، أو جملة ، معينة ، بطريقة معينة ، يجعل لها تأثيراً سحرياً معيناً . . وأن هذا التأثير السحري يمكن أن يستمر إذا تحولت الكلمة المسموعة إلى كلمة مكتوبة أو رمز مرسوم . .

وعن استخدام المصريين للكلمات ذات القدرة ، أورد معظم الباحثين في علوم السحر وتاريخه ، عشرات القصص التي نقلوها عن البرديات المحفوظة في متاحف أوربا . . ومنها أن الملك سنفرو استدعى ذات يوم أحد الكهنة ، ليسري عنه ببعض الأعمال السحرية . . فطلب الكاهن من الملك أن يقوم بنزهة نيلية في قاربة الملكي ، ويصطحب معه عدداً من الراقصات . . وبينما كان القارب يتهادى على صفحة النهر ، والراقصات يتمايلن على أنغام القيثارة ، طارت طرحة إحداهن وسقطت في الماء . . ولم تلبث الطرحة المحلاة بصفائح الذهب أن غاصت في جوف النهر ، تشيعها نظرات الملك ومن معه . . وهنا وقف الكاهن ، وردد بعض الكلمات ذات القدرة ، فإنشق الماء كاشفاً عن القاع حيث استقرت الطرحة . . ونزل عبد وجاء بها . . ثم ردد الكاهن كلمات أخرى فالتأمت المياه وعادت صفحة النهر الى ما كانت عليه من هدوء !!

وحكاية أخرى عن ساحر مصري متفوق اسمه « تيتا » ، عاش في عهد

الملك سنفرو ، وازدادت شهرته في عهد ابنه الملك خوفو . . وتقول الحكاية أن « تيتا » ذهب الى قصر الملك تلبية لدعوة ملكية ، وعندما أدخله أحد رجال القصر الى البهو الكبير وجد نفسه في حضرة الملك وعدد من الكهنة . . وطلب منه الملك أن يستعرض قدراته السحرية ، فخر تيتا ساجداً . . ثم جثا على ركبتيه وطلب إحضار أوزة وسكيناً ، فجاءوا اليه بهما . . وذبح « تيتا » الأوزة ، ووضع رأسها في أقصى الجانب الشرقي من البهو . . وجسمها في أقصى الجانب الغربي . . ثم وقف في الوسط وأخذ يردد كلمات بصوت خافت ، فاذا بالرأس والجسم يتحركان ، كل منهما في اتجاه الآخر ببطء شديد . . واستمرا كذلك حتى عاد الرأس الى مكانه الأول في أعلى العنق والتصق به . . وعندئذ رفرفت الاوزة بجناحيها وهي تصيح بصوتها المعروف . . . وإمعاناً في إرضاء الملك والترفيه عنه ، أعاد « تيتا » العملية مرة أخرى . . ولكنه استخدم في هذه المرة ثوراً بدلاً من الاوزة !!

وعن السحر المصري القديم ، تحدث كثيرون من المؤرخين والفلاسفة ، والعلماء . . وإن كانوا جميعاً قد اكتفوا بالسرد دون محاولة التفسير . .

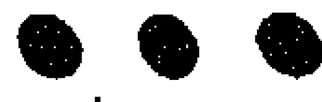
ويقول المؤرخ المسعودي أن ساحراً يهودياً ، كان تلميذاً لأحد الكهنة المصريين ، قطع رأس رجل أمام الملأ . . ثم أعاد لصقه في مكانه مرة أخرى . . . وأن نفس هذا الساحر استطاع أن يحول نفسه الى جمل ، وسار فوق حبل مشدود بين نخلتين دون ان يهتز !!

أما إبن خلدون فقد قال في مقدمته « . . وكان للسحر في مصر وبابل ، أزمان بعثة موسى عليه السلام ، أسواق نافقة . . ولهذا كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتنازعون فيه . . وبقي من آثار ذلك في البراري بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك . . » .

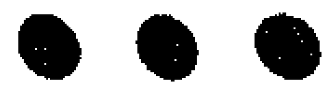
وقال إبن خلدون أيضاً : « . . وشاهدنا من المنتحلين للسحر وعمله من يشير الى كساء أو جلد ويتكلم عليه في سره ، فاذا به مقطوع منخرق .

ويشير الى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج ، فإذا أمعاؤ ها ساقطة من بطونها الى الأرض . . » !

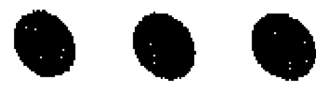
وفي كتاب الموتى المصري ، الذي يتألف من مائة وتسعين فصلاً ، وردت تعاويذ وطقوس خاصة بحماية « الروح » أثناء رحلتها المرعبة في العالم السفلي ، من أنواع كثيرة من الأفاعي ، والتماسيح ، والوحوش ، والضباع ، والخافس . . وكلها شياطين شريرة ذات أشكال حيوانية ، تسعى إلى إلحاق الأذى بروح الميت وتتربص بها !!



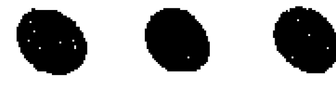
وإذا كان السحر قد ازدهر وتقدم عند المصريين ، فقد كان كذلك أيضاً عند البابليين والأشوريين . . وتؤكد الكتابات والنقوش التي عثر عليها العلماء في سهل « شينار » أن أهل بابل وأشور كانوا يستخدمون طقوساً وتعاويذ سحرية لأبعاد الأرواح الشريرة ، وإخراجها من أجساد الممسوسين . . وتفوقوا في التنبؤ بأحداث المستقبل ومعرفة أسرار الأجرام السماوية . .



وعند الفرس تألق السحر على أيدي الكهنة ، الذين تعلموا أصوله من سحرة وفدوا اليهم من بابل . . وإذا كان الفرس قد استمدوا أغلب معتقداتهم الدينية من تعاليم « زرادشت » ، وحفظوها في « الأفستا » ـ أقدم كتاب مقدس عندهم ـ فإن زرادشت نفسه يعتبر مؤسس علم السحر في بلاد فارس . . وقد تضمنت تعاليمه الكثير من الطقوس السحرية ، التي تعين الانسان على تحديد موقفه من الصراع المحتدم بين اله الخير « أهورامازاد » وإله الشر « أهوريمان » . . وقد أتقن الكهنة الفارسيون فنون السحر ، وتفوقوا في ممارسته ، مما جعل نفوذهم يشتد ، وسطوتهم تمتد فوق سطوة الأباطرة . .

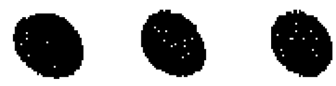


وفي اليونان القديمة ، ازدهر السحر أيضاً . . ومع أن كل الدلائل تؤكد أن السحر قد انتقل الى اليونان من مصر ، فإن هناك من يشير الى أن السحرة الفرس انتقلوا الى أثينا ، بعد غزو الاسكندر الأكبر لبلادهم ، حاملين معهم ثقافاتهم وغيبياتهم ، فانتشر السحر الفارس بين اليونانيين كما تنتشر الجراثيم في جو عاصف . . لدرجة أن ملوك الأغريق آمنوا بأن نجوم السماء تراقب سلوكهم ، وتتحكم في مستقبل حياتهم كما كان يعتقد الفرس . .



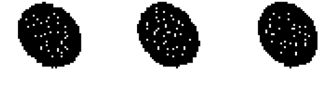
أما عندالرومان ، فقد قاوم القياصرة السحر مقاومة عنيفة . . ومع أنهم فرضوا من العقوبات الصارمة ما يكفي لحمايتهم من شروره ، إلا أن السحرة وجدوا الطريق مفتوحة أمامهم لكي يحظوا بمكانة رفيعة في المجتمع الروماني القديم ، بعد أن أثبتوا وجودهم باستعراض قدراتهم السحرية المتفوقة .

ولعل أشهر السحرة في روما القديمة ، هو السكندر دي بافلاجونيان ، الذي كان في وسعه تخليص المرضى من آلامهم وأوجاعهم ، والتنبؤ بأحداث المستقبل ، والقيام بأعمال مذهلة تتعارض مع القوانين الطبيعية ، مما جعل الامبراطور ماركوس نفسه ، يلجأ إليه ليستشيره في أدق الأمور . . وفي مقدمتها أمور الحرب !



وفي أقصى مشارق الأرض ، كان للسحر دور وشأن . . وقد امتزج السحر بالديانة الطاوية التي كانت سائدة في الصين . . وهي مثل الديانة الزرادشتية الفارسية ، تقول بوجود قوتين متصارعتين على اقتسام الكون . . الأولى خيرة ، والثانية شريرة . . . ولا تزال الديانة الطاوية موجودة في الصين حتى الآن ، ولا يزال كهنتها يمارسون ألواناً متعددة من الطقوس السحرية ، لطرد « الأرواح » النجسة التي تتسلط على أجساد بعض الناس ، وتسبب لهم أمراضاً عصبية مثل الشلل ، والروماتيزم ، والعجز ، والبلة . . ومن الغريب

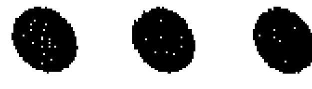
أن الوخز بالأبر الذي يطلق عليه أطباء اليوم « الابر الصينية » ، كان معروفاً عند سحرة الصين القدامى ، وكان يعتبر أحد الفنون التي يجيدها السحرة .



وفي الهند كان كهنة جميع الأديان الموجودة فيها ، يمارسون أعمالهم السحرية في حفلات ليلية مهيبة ، يعبق جوها بدخان الأعشاب ورائحة البخور . . وكان الكهنة الهنود يرددون تعاويذهم ويؤدون طقوسهم على أنغام المزمار ، ويستخدمون المراهم ، وعظام الموتى ، والمساحيق ذات الألوان المتعددة ، وسموم الأفاعي ، في تخليص المرضى من عللهم المستعصية ، وعلاج العقم عندالنساء . . .

ولا يزال الكهنة الهنود يمارسون السحر حتى يومنا هذا لجلب الحظ ، وإنزال المطر ، ومعرفة نوع الجنين ، وطرد الأرواح النجسة ، ومقاومة الأوبئة ، والسيطرة على الأفاعي الشرسة ، والاتصال بالجن وتسخيره . .

وقد عرف السحرة الهنود التماثيل الشمعية ، والحجرية ، والخشبية ، واستخدموها ببراعة مذهلة على نطاق واسع . . أما الميلاد ، والزواج والموت ، فقد كانت لها عندهم تعاويذ وطقوس سحرية خاصة بها . .



إن السحر وفنونه لم يكن وقفاً على شعب دون آخر . . فهو عبر كل الأزمنة ، كان ، وبقي موجوداً . . . وإذا كانت هذه الفنون الغامضة قد ظلت متخلفة عند بعض الشعوب بسبب الجهل والفقر ، فإنها قد ازدهرت وتطورت عند شعوب أخرى ، كما سنرى !!

« وعندما شعر بالآلام المبرحة تمزق أحشاءه ، قال لقاتليه أنه لن يموت .. وأنه سيقاوم تأثير السم بإرادته وحدها ... واستطاع !! » .

ثم سقط سقف الحمام
فوق رأسها .. وماتت !

سيظل الانسان ، إلى ألوف مقبلة من السنين ، اللغز المحير ، أو المعجزة الحية التي تأكل وتشرب وتسير على قدمين . . وستظل طاقته الجبارة التي نسميها « الارادة » لغزاً هي الأخرى ربما لملايين السنين . .

وليس صحيحاً على الاطلاق أن هناك إرادة ضعيفة ، وإرادة قوية . . ولكن الصحيح هو أن هناك إنسان يحرص على تنشيط إرادته واستخدامها ، وإنسان آخر يهمل إرادته فتنطفىء جذوتها ، ويصبح خاضعاً أو تابعاً لإرادة غيره . .

وتنشيط الانسان لارادته يتطلب منه تدريباً طويلاً ، لكن التدريب وحده لا يكون كافياً إذا لم يرافقه الاصرار ، والعناد ، والرغبة الحقيقية في الاستزادة من المعلومات في كل الجوانب المحيطة بالانسان .

لقد استطاع كثيرون من البشر تنشيط ما لديهم من إرادة ، فكانوا بعد ذلك قادرين على القيام بأعمال ، أقل ما نستطيع أن نصفها به هو أنها خارقة . . ومن هؤلاء راسبوتين . . ذلك القسيس الفذ الذي تمكن من فرض إرادته على بيت قيصر روسيا ومعظم نبلائها ، بعد أن بهرهم بقدراته المتفوقة . .

ولعل أوضح صور قدرة راسبوتين على استخدام إرادته ، هي تلك التي جلت في رفضه الاستسلام للموت ، حين وضعوا له السم في الخمر . فعندما شعر بالآلام المبرحة تمزق أحشاءه قال لقاتليه أنه لن يموت ، وأنه سيقاوم تأثير السم بإراداته وحدها . . واستطاع !!

وليس راسبوتين وحده الذي استطاع مقاومة السم . . عشرات غيره قاوموا سموم الأفاعي والعقارب بإرادتهم فقط . . وآخرون صاموا عن الطعام والشراب لفترات زادت على الأربعين يوماً ، وبقوا على قيد الحياة لأنهم أرادوا ذلك . . ولكن يتفوق على أولئك جميعاً من يمتد تأثير إرادتهم الى غيرهم . . وهؤلاء من إصطلح الباحثون على تسميتهم بـ « السحرة » .

وتقول الباحثة « مايا ديرين » أن الفرق بين السحر والشعوذة دقيق

جداً . . فبينما السحر علم وفن ، فإن الشعوذة مجموعة من العقائد الدينية القائمة على السحر . . وأنه إذا لم يكن ضرورياً أن يكون الساحر كاهناً ، فإن المشعوذ لا بد أن يكون ساحراً وكاهناً في وقت واحد . .

أما عالم السكان الفرنسي « الفريد ميترو » فيقول أن الشعوذة دين له طقوس ،وشرائع ،ومعابد ، وكهان .. ولكن الآلهة فيه متعددة . . وأن هذا الدين قائم حتى الآن ومزدهر في « هايتي » الواقعة على الشاطىء الغربي من جزيرة « سانت دومينجو » في البحر الكاريبي . . ومعظم سكانها ينحدرون من أصل افريقي . .

ويرجع إيمان سكان هايتي بالشعوذة الى ايمانهم المطلق بالمعتقدات الدينية التي جلبوها معهم من أفريقيا في عصور الرق . . فقد كانت « هايتي » محطة لسفن تجار الرقيق العاملة بين افريقيا وأمريكا ، وقد اشترى سكانها الأسبان ـ في ذلك الوقت ـ بعض هؤلاء الرقيق لاستخدامهم في حراثة الأرض وزراعتها . .

ومع أن السادة الأسبان استطاعوا اخضاع هؤلاء الأفارقة التعساء واستبعادهم ، إلا أنهم لم يتمكنوا من انتزاع معتقداتهم وأفكارهم من داخل رؤوسهم . . . وعاماً بعد عام تزايد عدد هؤلاء العبيد حتى أصبحوا يشكلون خمسة وتسعين في المائة ، يتمسك معظمهم بالعقائد التي جلبها الأجداد من أرضهم الأم افريقيا . . ولعل الجهل والفقر والمرض من الأسباب المباشرة في أنهم يتمسكون حتى اليوم بتلك العقائد .

وتقوم ديانة « هايتي » على فكرة أن الانسان روح وجسد . . وأن الأرواح عندما تفارق الأجساد بالموت ، تذهب الى أقرب نهر ، أو مجرى ماء عذب ، لتستقر في قاعة لمدة عام كامل ، قبل أن تصعد الى السماء . . وخلال هذا العام يتحتم على ذويها الأحياء إقامة إحتفالات دينية تؤدي فيها طقوس خاصة بعد أن يضعوا فوق منصة تماثيل من الفخار ، لتحل فيها أرواح موتاهم عندما تجيء لتشاركهم في هذا الاحتفالات . . ثم يقدمون

لهذهالتماثيل القرابين لكي ترضي عنهم وتمدهم بالحماية والبركة .

والذي يقوم بعمل الطقوس هو الكاهن . . ولذلك فإن سكان هايتي يقدسون كهنتهم ، ويقدسون أرواح آبائهم وأجدادهم الذين ماتوا . .

أما آلهتهم فمتعددة . . إله للبحر . . وإله للزرع . . وإله للأنهار . . وإله للمطر . . وإله للرياح . . وإله للعواصف . . وإله للبرق . . وإله للحرب . . وإله للنار . . وإله للموتى . .

والكاهن في هايتي يتمتع بارادة قوية ، وهو يستخدم هذه الإرادة في السيطرة على رعاياه وعلى الآلهة أيضاً . . وفي وسعه طرد الأرواح الشريرة ، وقتل الأعداء ، واستدعاء نفوس الموتى ودعوتها للتجسد والتحدث معها . . وهو أيضاً طبيب يخلص مواطنيه من كل الأمراض .

وتقول « مايا ديرين »أنها كانت قد ذهبت الى « هايتي » في عام ١٩٤٠ ضمن إحدى البعثات ، فاستأجرت منزلاً للاقامة فيه ،وألحقت إحدى بنات هايتي في خدمتها طوال فترة اقامتها هناك . . وذات ليلة استيقظت « مايا ديرين » على صراخ الخادمة فهرعت اليها . . كانت الخادمة تصرخ من شدة الألم ، وتتلوى على الأرض وهي تمسك الجانب الأيمن من بطنها بكلتا يديها . . وعندما جاء الطبيب ، قال أن الزائدة الدودية ملتهبة وتوشك أن تنفجر ، وقرر ضرورة إجراء جراحة لها فوراً . . لكن الخادمة رفضت الذهاب الى المستشفى وطلبت أن يحملوها إلى الكاهن . .

وتقول « مايا ديرين » ، « لم يكن في استطاعتي أمام صراخ الخادمة وتوسلاتها ، سوى أن أحملها في سيارتي الى الكاهن ، الذي سرعان ما بدأ في إحراق البخور ، وتلاوة التعاويذ . . ثم وضع يده برفق على مكان الألم فهدأت الخادمة ، ونامت . . . وشفيت بعد ذلك دون أي جراحة » !!!

ويقول سبنسر سان جون ، أحد قناصل بريطانيا السابقين في « هايتي » ، أن كهنتها المشعوذين ، يقومون بأعمال مرعبة اثناء ممارستهم طقوسهم السحرية . . وأن بينهم من يمارس أفعالاً شاذة مثل مص الدماء ،

وأكل لحوم البشر . . وعندما عاد إلى بلاده ، نشر كتاباً مثيراً بعنوان « هايتي . . أو الجمهورية السوداء » ، قال فيه أن كهنة هايتي يتمتعون بمكانة مرموقة بين أتباعهم ومواطنيهم . . ونفوذهم في منتهى القوة . . . وأن أشهر أنواع السحر التي يقمون بها هي تلك التي تؤدي الى إنزال ألوان من العقاب الوحشي ببعض من يخرجون على طاعتهم . . وهم يقومون بذلك من خلال التماثيل الصغيرة ، أو الصور . . حيث يضع الكاهن صورة الضحية في وعاء به ماء ، ثم يبدأ في طعنها بطرف سكين حاد ، أو سن أبرة طويلة . . فإذا تحول الماء أثناء ذلك الى دم فإن معناه الموت المحقق للضحية في نفس اللحظة ، أو بعد بضع دقائق !!

وقد جذبت شعوذة كهنة هايتي وأعمالهم السحرية الخارقة ، عشرات الباحثين الأوربيين الذين يهتمون بالسحر والقوى الخارقة للانسان . . وأحد هؤلاء ، كتب قصة مثيرة عن سيدة فرنسية كانت تقيم مع أسرتها في « هايتي » كانت هذه السيدة معجبة بقدرة الكهنة السحرية المتفوقة ، خاصة قيامهم باستدعا نفوس الموتى ، وكانت تحرص على زيارة المعابد اثناء اقامة الاحتفالات الدينية فيها . . وقد نشأت علاقة صداقة بينها وبين أحد الكهان ، فأخبرها ذات يوم أنها لن تعيش طويلاً . . وأنها سوف تموت في حادث . . . فانتابتها حالة من الاكتئاب . . وقررت استئجار منزل خاص لتقيم فيه وحدها انتظاراً للموت . . . وطلبت من أهلها عدم التصرف في ذلك المنزل بعد موتها ، لأن صديقها الكاهن وعدها بالالتقاء فيه مع روحها بعد أن تموت . . .

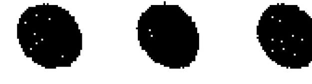
وحاول أهلها اقناعها بأن ما قاله لها الكاهن ليس إلا مجرد خرافة . . . لكنهم فشلوا . . وذات يوم كانت هذه السيدة تستحم في بيتها الجديد ، فسقط سقف الحمام فوق رأسها وماتت . . ودفنها أهلها في مقبرة الفرنسيين فيهايتي . .

وبعد ثلاث سنوات كان أحد أقاربها ماراً من الشارع الذي يقع فيه بيتها فرآها تطل من النافذة ، فاستولى عليه الفزع . . وسرعان ما ذاعت

الحكاية في المدينة كلها . . .

وذهب أفراد أسرتها الى البيت وبحثوا عنها في كل مكان فيه فلم يعثروا لها على أثر . . وبعد ثلاث أسابيع أخرى رآها شقيقها تطل من نفس النافذة ، فساورت أسرتها الشكوك . . وقرر والدها التأكد من وجودها في القبر . . وعندما حفروه وجدوا هيكلها العظمى خارج التابوت . . وعندما رفعوا غطاء التابوت وجدوا فستانها الذي دفنت به سليماً ونظيفاً ومطوياً بعناية وموضوعاً في جانب من التابوت ! . . وطلب والدها من حفار القبور إعادة وضع الهيكل العظمى داخل التابوت لكنهم فوجئوا بأن عظام الهيكل أصبحت أطول من التابوت بعشرين سنتيمتراً . . !!

واشترى الأب تابوتاً جديداً . . ووضع فيه عظام ابنته ، وشحنها الى باريس ،ودفنها في مقبرة الأسرة هناك !!



وسواء رفضنا هذه الحكاية أو صدقناها ، فإن هناك من الأعمال الخارقة التي يقوم بها كهنة هايتي ما يجعلنا نتردد كثيراً قبل إتهامهم بالدجل . . هذه الأعمال كانت تتم على مشهد ومسمع من بعض الباحثين الأوربيين ، الذين يرقون فوق مستوى الشبهات . . ومن الصعب أن نشك في صدقهم . .

ومن بين ما رآه بعض هؤلاء الباحثين بأعينهم في « هايتي » أن أحد كهنتها استطاع أن يحول قطة الى ذئب . . وعندما أظهر أحد الباحثين تشككه في صحة ما يراه بعينه ، قام الكاهن بتحويل نفسه الى ذئب ، وكشر عن أنيابه ، فهرب الجميع من الغرفة وأوصدوا بابها عليه . . .

وإذا كانت هايتي هي الآن أرض الشعوذة ، فهي أيضاً أرض الرعب الحقيقي ، أو أرض الجحيم الوحشي كما يسميها الباحثون . . وليس غريباً في « هايتي » أن يرفض الناس الخروج ليلاً الى أطراف المدن والقرى . . وهم لا يفعلون ذلك خوفاً من الوحوش ، أو الضواري ، أو الأشباح . . ولكنهم

يخشون لقاء الكهنة في الخلاء ، أو غيرهم من المشعوذين الأشرار فيفتكون بهم في الظلام !!

أن جماعات المشعوذين يقيمون حلقات السحر ليلاً ، ويقترفون خلالها أفعالاً رهيبة ، ويقيمون ولائم طعامها لحوم النساء والأطفال . . ويتبادلون مص الدماء ،ويفترسون بعض الحيوانات الحية . .

وهناك جماعات سرية من المشعوذين الأشرار ، منها « الجماعة الحمراء » ، وجماعة « الخنازير الرمادية » يمارس أعضاؤ ها قطع الطرق ليلاً ، ل للسرقة ، ولكن لافتراس الآدميين ومص دمائهم وأكل عيونهم وأثدائهم إذا كانوا من الإناث . . ويستخدمون أطرافهم وشعورهم في طقوسهم السحرية . .

ومن أغرب ما يقال عن المشعوذين في « هايتي » أنهم يعمدون الى تحويل أعدائهم الى خنازير أو ماشية ،ويأمرونهم بالانضمام الى القطعان المتجهة إلى السلخانة . . وعندما يقوم الجزارون بذبحهم ، يعودون الى شكلهم الآدمي وتنكشف الكارثة .

ومن الحكايات المرعبة التي تتكرر في « هايتي » ما يروى عن«سيارات النمور» التي يستخدمها المشعوذون الأشرار في عمليات خطف الآدميين ليلاً . . . ويقول الأديب الفرنسي « ميترو » أنه سمع أثناء وجوده في هايتين عن هذه السيارات ، فاعتقد أنها تروي على سبيل المزح والدعابة المخيفة ، لكنه اكتشف أنها حقيقة واقعة ، عندما تعرض أحد أصدقائه للاشتباه في أنه أحد أفراد هذه الجماعات المرعبة ، وكاد يتعرض للفتك به على أيدي سكان احدى القرى . .

وعندما اهتم « ميترو » بأخبار جماعات الخطف هذه ، وتحرى عنها ، تجمعت لديه معلومات على درجة كبيرة من الخطورة والفزع . . ومنها أن هذه الجماعات التي تنطلق ليلياً لخطف وافتراس ضحاياها من الآدميين التعساء ، يحميها بعض المسئولين الحكوميين الذين يشغلون مناصب هامة في الحكومة !!

ومنها أيضاً أن حاكم هايتي نفسه ، الدكتور دو فاليه كان على صلة بهذه الجماعات . . وأن حراسه المقربين ينشرون الرعب والفزع بين الناس تحت حماية الديكتاتور !!

« .. ونـظر إلى نـجـفـة ضخمـة معلقـة في سقف أحـد المساجـد فسقـطت وتحـطمت .. وعنـدما فحصـوا الحلقة الحـديديـة الغليـظة التي كـانت تحملها طوال ثلاثين سنة وجدوا كـأنها نشـرت بمنشار !! »

فقد كان ينظر
الى الزجاج فينكسر !!

ماذا تقول عندما ينظر أحد الناس إلى كوب الشاي في يدك فينكسر ؟ . . أو إلى ساعتك فتتوقف عقاربها ؟ . . أو إلى بدلتك الجديدة فينفجر القلم في جيبها ويتحول الحبر الموجود في داخله الى بقعة كبيرة على صدرك ؟ . . أو إلى قميصك الحريري فيصاب جلدك بالحساسية كلما إرتدتيه ؟ . . أو إلى سيارتك فتشتعل فيها النار ؟ . . أو إلى تليفزيونك الجديد فتنفجر شاشته ؟ . . أو إلى أحد أطفالك وهو يلعب فيقع وتنكسر ساقه ؟!

نحن نصادف في حياتنا أشخاصاً من هذا النوع ونقول على ما يسببونه لنا أنه الحسد . . وقدرة الإنسان على الحسد تتفاوت من شخص الى آخر . . وعندما تنشط هذه القدرة عند إنسان ، ويتمكن من إخضاعها لاراداته ، فإنه يصبح خطراً على نفسه وغيره . .

وفي لندن نشرت صحيفة « ديلي ميرور » التي توزع أربعة ملايين نسخة تفاصيل مثيرة عن شاب من هذا النوع بعد أن اشتهر وذاع صيته في الحي الذي يسكن فيه . . وذهب اليه فريق من علماء وأساتذة جامعة لندن ، وعادوا به الى معامل الجامعة ، ثم قالوا بعد سلسلة طويلة من الفحوص والاختبارات التي أجروها عليه بمختلف أجهزة القياس والتصوير ، أنه يملك قدرة على إرسال اشعاعات غريبة من عينيه حين يريد . . وأن هذه الاشعاعات إذا تركزت على نقطة من أي معدن ، يكون لها ما للهب الشديد من أثر . . فيلين المعدن وينثني !!

والشاب الانجليزي هذا اسمه « ستيفن نورث » وهو يبلغ السابعة عشرة من العمر . . أما قصته فبدأت عندما كان لا يزال في الثانية عشرة من عمره ، وكان جالساً ذات صباح على مقعد في إحدى الحدائق العامة ، فرأى فتى في مثل عمره ، يركب دراجة حمراء جديدة ، يروح ويجيء بها أمامه في زهو . . أعجبته الدراجة . . تابعها ببصره . . تمنى في أعماقه لو أن عنده مثلها . . ركز عليها عينيه ، فإذا بأجزائها تنثني كأنها من حبال طرية ، حتى تحولت الدراجة إلى كتلة متشابكة . . أما الفتى الذي كان يركبها فقد وقف غير بعيد عنها ينظر إليها في ذهول !!

وفي يوم آخر إشترى « ستيفن » ساعة جديدة . . وعندما عاد بها الى منزله وضعها حول معصمه . . وأخذ يتأملها ويتابع عقاربها وهي تتحرك . . لكن عقارب الساعة إنثنت وتوقفت . .

ومرة ثالثة كان « ستيفن »جالساً في غرفته . . فتذكر ما حدث للدراجة والساعة . . وأثناء ذلك استقر بصره على أرجل ترابيزة معدنية موضوعة أمامه ، فانثنت الأرجل الواحدة بعد الأخرى وتحطمت الترابيزة . .

وبعد ذلك أصبح قادراً على ثني أي جسم معدني يركز بصره عليه ، حتى أعمدة النور في الشوارع كان قادراً على ثنيها بمجرد تركيز بصره على نقطة منها !!

ولا يزال « ستيفن نورث » الشاب الانجليزي النحيل ، يتمتع بهذه القدرة الخارقة حتى الآن . .

ورغم ما قاله علماء جامعة لندن من تفسير علمي لهذه القدرة ، فإن الناس في لندن لا يتقبلون هذا التفسير ،ويفضلون عليه وصف « ستيفن » بأنه « صاحب عين » . . أي حاسد . . . فما هو الحسد ؟!

هناك أكثر من تعريف للحسد . . هو « إنكار نعمة يتمتع بها الغير » . . وهو « أن ينظر الحاسد إلى شيء يملكه غيره ، ويستكثره عليه ويتمنى زواله » . . وهو « استخدام للارادة المتفوقة لالحاق الضرر والأذى بالآخرين » . .

وغير هذه التعريفات هناك تعريف رابع للحسد . . يقول أن الحسد سحر . . لأن العلم الحديث يعتبر الحسد استخدام ارادي للقدرة المتفوقة الكامنة في أعماق النفس للتأثير في الآخرين . . ووفقاً لهذا التعريف يمكن اعتبار الحاسد ساحراً .

والحسد ظاهرة حقيقية . . . وقدرة يمتلكها بعض الناس ، ويستطيعون استخدامها . . وفي القرآن الكريم يقول الله تعالى في سورة الفلق :

﴿ قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق اذا

وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد إذا حسد ﴾

وفي الأقــوال التي يتداولها الناس نقلاً عن السلف القديم ، الكثير مما يتعلق بالحسد . . فيقال « يبص للمية تجمد » . . ويقال « العين فلقت الحجر نصين » . . ويقال « عينه زرقا » . . ويقال « عين الحسود فيها عود » . . ويقال « يكفيك شر العين » . .

وهذه الأقوال لم تأت من فراغ . . أنها مثل الأمثلة الشعبية والكلمات المأثورة ، تنحدر الينا من عصور سابقة ، عاش أهلها حضارة متقدمة . . أو هي خلاصة خبرات وتجارب السلف القديم ملخصة في كلمات . .

وفي كل الديانات توجد أدعية كثيرة للاستعاذة من الحاسد والحسد . . وعند كل شعوب الأرض استخدم الناس ،ولا يزالون ، تمائم وتعاويذ لدرء الحسد والعين . . ومن هذه التمائم حدوة الحصان ، ونبات الصبار ، والبصل ، وفردة الحذاء الصغيرة ، والخرزة الزرقاء ، وسنبلة القمح ، ويقال أن هذه الأشياء تدرأ الحسد . . ويقال أيضاً أنها مجرد وسائل لجذب عين الحاسد وتحويلها عن الجوهر الحقيقي الذي يخشى عليه من الحسد . .

وفي صحيح مسلم جاء أن محمد بن ابراهيم ، روى عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن عائشة زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنها قالت : كان اذا اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقاه جبريل عليه السلام » . .

وجاء في صحيح مسلم أيضاً عن أبي سعيد « أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت ، قال نعم ، قال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك ، بسم الله أرقيك . . » .

ولكن مرة أخرى ماذا يقول العلم ؟

يقول أن كل إنسان لديه القدرة على الحسد ، أو بمعنى آخر لديه القدرة على التأثير في الآخرين . . وهذه القدرة قد تكون كامنة في أعماق النفس

الانسانية كسائر القدرات المتفوقة ، وقد تستيقظ وتتوهج للحظات خاطفة كأنها الومضة . . وقد تطفو على السطح ويستطيع صاحبها اخضاعها لارادته واستخدامها كسائر القدرات العادية . . وعندئذ يكون صاحب هذه القدرة حاسداً أو ساحراً . .

ولعل الكاتب الانجليزي المعاصر « كولن ويلسون » هو أشهر الذين شغلوا أنفسهم في السنوات الأخيرة ، بالبحث عن أصول السحر وتاريخه وأنواعه . . وهو يقول في كتابه القوي الخفية ، أن الانسان ـ أي انسان ـ يستثير القدرات غير العادية الكامنة فيما وراء الطرف البنفسجي للطيف الضوئي للعقل ، حين ينتابه احساس قوي بقيمة شيء معين .

ولقد تطور الانسان الى المرحلة الحالية عن طريق تعلم القيام بأعمال كثيرة آلية . . فهو تعلم ركوب الدراجة ، وقيادة السيارة ، والقراءة والكتابة ، عن طريق مجهود واع منظم . . ثم أخذ يؤدي ذلك فيما بعد بطريقة آلية : . وهذا يعني أنه لم يعد يستخدم قدرته على التركيز القوي ، مما يجعل قدراته المتفوقة تتراجع وتكمن . . إلا أن هذه القدرات تعود أحياناً بشكل مفاجىء حين يشعر الانسان بقلق حقيقي على شيء ما . . أو إهتمام حقيقي بشيء ما . . . أو برغبة حقيقية في التأثير في شيء ما . .

وتاريخ الانسانية حافل بالكثيرين الذين استطاعوا التأثير في غيرهم ، أو فيما حولهم بإرادتهم . . وأمام الناس . . وفي وضح النهار . . وعلى سبيل التحدي . .

وفي الهند تستطيع أن تشاهد رجلاً يضع حبلاً غليظاً ملفوفاً وسط دائرة من المشاهدين . . ثم ينفخ في مزماره فينتصب الحبل ويرتفع طرفه إلى أعلى . . ثم يقوم صبي بعد ذلك بتسلق الحبل ، كأنه يتسلق جذع نخلة !!

أما المنوم المغناطيسي فإنه يقف أمام الوسيط وينظر في عينيه . . ثم يستخدم كل إرادته في إصدار الأمر الى الوسيط لينام فينام !!

ذلك هو الاستخدام الإرادي للارادة المتفوقة بقصد التأثير في الآخرين

أو في الأشيـاء المحيـطة كـالنبـات والجمـاد . . والعلماء الـذين أغـراهم هـذا الموضوع المثير وتناولوه بالبحث ، يقولون أن استخـدام بعض الناس لارادتهم وقدراتهم المتفوقة يمكن أن يكون بوعي منهم ، ويمكن أن يكون بغير وعي . .

وعلى سبيل المثال فإن الفتى الانجليزي « ستيفن نورث » لم يكن يقصد ثني أجزاء الدراجة حين نظر اليها . . أما عندما كان ينظر الى أعمدة النـور في الشوارع فانه كان يقصد ثنيها . .

وأنا أعرف سيدة كانت تقف في شرفة بيتها ذات يوم ، عنـدما تـوقفت سيـارة نصف نقل تحمـل ثلاجتـين كهربـائيتين جـديدتـين ، فـأطـالت النـظر إليهما . . وبينما كان الحمالـون منهمكين في حمـل إحداهمـا ، انزلقت الأخـرى من تلقـــاء نفسهـا ، ودون أن يلمسهـــا أحـــد ، لتسقط من فـــوق السيـــارة وتتحطم . . . أما الثلاجة الأولى فقد انقطع الحبل الذي كان يشدها الى ظهر الحمال فسقطت وتحطمت أيضاً !!

ولي صديق كانت لديه القدرة على التأثير في الأشيـاء دون وعي منه . . ذات مـرة نظر الى نجفـة ضخمـة معلقـة في سقف أحـد المسـاجد فسقـطت وتحـطمت ، مع أنها لبثت معلقـة في مكانها لمـدة ثلاثـين عامـاً . . وعنـدمـا فحصوا الحلقة الحديديـة الغليظة التي كـانت تحملها طـوال هذه المـدة وجدوا كأنها نشرت بمنشار !!

ونفس الصديق نظر في يوم آخر الى سيارة جديـدة تقف أمام منـزله . . وعنـدما أبـدى إعجابـه بها أصيب زجـاجها الأمـامي بـالسـرطـان وتحـول الى « فتافيت » . .

وقد حرص هـذا الصديق بعـد ذلك عـلى أن يقول « بسم الله مـا شاء الله » كلما نـظر الى لوح زجـاجي . . وكان اذا نسى قـول ذلك فـان الزجـاج ينكسر !!

وليس ضـروريـاً أن ينـظر الحـاسـد الى الشيء ليؤثـر فيـه . . فـأشهـر الحاسدين كان أعمى . . وكان النـاس يستأجـرونه ليحسـد لهم أعداءهم . .

فقط كان يطلب من الذين يستأجرونه أن يوجهوه الوجهة المطلوبة ، ثم يطلق زفيراً قوياً فتحدث الكارثة !!

وهناك نوع من الحاسدين يحسدون أنفسهم ، أو أولادهم أو أموالهم . . وتحضرني الآن واقعة كنت أحد شهودها في مطابع دار الصياد ببيروت . . كانت جريدة « الأنوار » ماثلة للطبع ، عندما دخل سعيد فريحة صاحب دار الصياد من باب المطبعة يستفسر عن سبب تأخر بدء الطبع . . وقبل أن يجيبه أحد على سؤاله ، اشتعلت النار في آله الطبع دون أي مبرر . . وتدافع العمال نحو الآلة المشتعلة ، وتعاونوا على إخماد النار حتى إطفائها ، وأنقذوا المطابع كلها من كارثة محققة . . وبعد أن هدأ كل شيء ، قال أحد العمال بتلقائية :

ـ ماذا جاء به في هذه اللحظة ؟

فسألته على الفور:

ـ من ؟

قال :

ـ الأستاذ سعيد . . .

وحين لاحظ دهشتي قال :

ـ ما من مرة دخل فيها المطبعة إلا وحدثت كارثة . . مع أنها مطبعته . .

وقلت له :

ـ يقولون في مصر ، لا يحسد المال سوى أصحابه . .

قال العامل :

ـ كذلك نقول في لبنان أيضاً !!

« واختفى الغريب فجأة . .
وعندما أضاء أندريه مصباح الغرفة ، وجد المعطف على طرف الفراش . . أما الباب فكان مغلقاً من الداخل بالمفتاح . . فتأكد أنه كان يتحدث إلى ميت !! »

وقال : أنا ميت .. فارقت الحياة منذ ست سنوات !

في آسيا ، وافريقيا ، وأمريكا ، وأوربا . . وفي استراليا أيضاً . . يوجد أشخاص لديهم القدرة على استدعاء نفوس الموتى والتحدث معها . . وهؤلاء هم الوسطاء . . أو هم بكلمات أكثر وضوحاً ، الأشخاص الذين دربوا نفوسهم على الانسلاخ عن أجسادهم ، والانطلاق الى الآفاق الرحبة اللامادية . . أو إلى المجهول الذي لا نعرف عنه سوى ما يكتنفه من غموض . .

ومن الصفات البارزة التي يتمتع بها الوسطاء ، الجلاء البصري ، والجلاء السمعي . . أي القدرة على الرؤية أعمق ، والسمع أبعد . . مما يتيح للواحد منهم أثناء الغيبوبة التي يستغرق فيها رؤية نفوس الموتى الهائمة في الملكوت اللانهائي ، وسماعها !!

وفي السويد ، أعلن العالم الفيلسوف « إيمانويل سويد نبورج » وهو في الخامسة والخمسين من العمر ، أنه تمكن من تطوير وتدريب قدراته ، وأصبح في امكانه الاتصال بنفوس الموتى دون ان يفقد احساسه بالعالم المادي المحسوس المحيط به أي دون أن يستغرق في الغيبوبة . . وكان هذا التصريح من ذلك العالم الكبير حدثاً علمي هائلاً أحدث في أوساط علماء الروح دوياً كبيراً . .

لكن بعدما أعلن « سويد نبورج » ذلك مات فجأة . . ويقال أحد أصدقائه ، أنه كان يتناول معه العشاء ذات ليلة من ليالي الشتاء الباردة ، فإذا به يتوقف عن الأكل فجأة . . ويقول أنه يرى حريقاً ضخماً تستعر ناره بعنف في مدينة ستوكهولم . .

وقال الصديق :

« لقد دهشت . . فقد كانت ستوكهولم تبعد عن مجلسنا بمسافة ثلاثمائة ميل على الأقل . . وقد عهدت في « سويد نبورج » عالماً جاداً رزيناً . . لكنني أويت الى فراشي مطمئناً . . وفي الصباح علمت من الصحف أن الحريق كان موجوداً بالفعل . . وكان ضخماً بالفعل . . وأنه اندلع في نفس اللحظة التي كنا نتناول أثناءها العشاء !! »

ومن بين أشهر الآف الوسطاء الذين اجتازوا كل الاختبارات الدقيقة التي أجريت لهم، رجل من استكتلندا اسمه « دانييل دوجلاس هوم » اكتشف في نفسه الوساطة وهو في السابعة عشرة من عمره .

ولم يكن « هوم » وسيطاً يستطيع الاتصال بنفوس الموتى فقط ، ولكنه كان يستطيع أيضاً القيام بأعمال أخرى غريبة وخارقة ، منها السباحة في الهواء . . وقد فعل ذلك لأول مرة أمام أحد القساوسة فاعتقد القسيس أن الحمى قد أصابته ، فجمع حشداً من الناس ، وطلب من هوم أن يكرر ما فعله على مرأى منهم ، فارتفع في الهواء وسبح خارجاً من النافذة ، وعاد من النافذة الثانية!! وكان أغرب ما فعله هوم أمام عدد كبير من الناس احتشدوا في أحد الميادين ، أنه تمكن من إطالة قامته سبعة وعشرين سنتيمتراً !!

أما الوسيطة الايطالية الفلاحة « أوسابنا بالأدينو » فقد كان في وسعها أن تحرك الأجسام الثقيلة من أمكانها بمجرد النظر ، أو الاشارة اليها وهي تقف بعيدة عنها بعدة أمتار . .

وفي البداية استعرضت أوسابنا قدرتها هذه أمام جمع غفير من الايطاليين . . وعندما ذاع صيتها ، ذهب اليها عدد من الباحثين والعلماء ، وكان على رأسهم العالم « سكيباريللي » مدير مرصد ميلانو . . وبعد أن قام أحد الباحثين بربط « أوسابنا بحبل متين فوق كرسي خشبي ، أذهلتهم عندما أخذت تحرك كل ما في القاعة من اثاث بمجرد النظر اليه بعينيها ، وبمنتهى العنف ، فتحطم أغلبه !

وبعد ذلك اليوم المشهود ببضع سنوات ، كان في وسع « أوسابنا » وهي الفلاحة الأمية أن تستغرق في الغيبوبة ، وتتحدث مع نفوس الموتى ، ثم تروى بعد أن تفيق معلومات دقيقة ، عن أناس عاشوا في فترات سابقة ، وفي بلاد لم تطأها قدمها . . وعندما كان الباحثون يتحققون من تلك المعلومات ، وبعضها يتعلق بشخصيات تاريخية ، كانوا يكتشفون أنها حقيقة !!

ما هذا ؟ . .

هل كانت « أوسابنا » تستغل وساطتها وتأمر نفوس الموتى بتحريك الآثاث ؟

علماء الروح يقولون . . . لا . . . إن « أوسابنا » لم تكن وسيطة فقط ، ولكنها كانت ساحرة أيضاً . . وربما كانت تفعل ذلك بقدرتها الذاتية ، أو بمعونة الجن . . لأن نفوس الموتى لا تخضع لإرادة الانسان الحي . . بل العكس هو الصحيح . . أي أن نفس الانسان الحي هي التي تخضع لنفس الانسان الميت وتذعن لارادتها . .

وفي تفسير ذلك يقول علماء الروح أن النفس الانسانية ، التي تملك العقل ، والذاكرة ، وسائر الحواس ، والإرادة، تظل على صلة بالحياة الأرضية لفترة طويلة . . وهي أثناء ذلك تراودها الرغبة في العودة الى هذه الحياة لكي تحقق ما فاتها تحقيقه أثناء وجودها المادي فيها . . لكن ذلك يستحيل عليه لأنه يتطلب منها الوجود في جسد مادي . .

وحين تستبد الرغبة « بنفس » إنسان ميت في العودة الى الحياة الأرضية ، فإنها تبحث عن إنسان حي يتوافق معها ، وتتسلط عليه حتى تتمكن من إخضاعه لارادتها . . ثم تدفعه بعد ذلك دفعاً ، لكي تحقق عن طريقة ما تصبو اليه . .

ولكي يكون الكلام أكثر وضوحاً . . نقول أن الأجساد المادية عبارة عن مركبات ، تستخدمها نفوس الأموات . . وكما أن هناك مركبات قوية ومتينة ، ومركبات ضعيفة وواهنة ، فإن أجساد الأحياء تكون كذلك . .

وأغلب نفوس الموتى الراغبة في ممارسة نشاط مادي في الحياة الأرضية ، تفضل استخدام « المركبات الجاهزة » من وجهة نظرها . . وأجساد الأحياء التي ينطبق عليها هذا الوصف ، هي أجساد الوسطاء .

غير أن هناك بعض نفوس لأناس ماتوا تتميز بالعناد . . وهذه تختار المركبات « غير الجاهزة » ، وتظل « تناكف » معها لاستخدامها . . وأثناء هذه « المناكفة » يعاني أصحاب هذه الأجساد آلاماً مبرحة ، واضطربات عصبية

قاسية تكون لها عواقب وخيمة ، كالاصابة بفقدان الإتزان ، أو البلة ، أو الصرع . .

والوسطاء ليسوا مجرد أصحاب أجساد لا تزال على قيد الحياة، يجري بينها وبين نفوس الموتى اتصال روحي أو اتصال عقلي . . ولكنهم أشخاص لديهم القدرة على التعامل مع نفوس الموتى معاملة الند للند دون أن تتمكن نفوس الموتى من فرض إرادتها عليهم . . .

وإذا كان الوسيط السويدي سويد نبرج قد استطاع مخاطبة نفوس الموتى دون الاستغراق في الغيبوبة ، أي وهو في كامل وعيه ، فإن علم الروح إكتشف مثله كثيرين . . ومن أشهر هؤلاء المواطن الروسي أندريه حارس أحد المصانع الكبرى في سيبيريا . .

والذي حدث لاندريه قبل أن يكتشف العلماء قدرته المذهلة على الوساطة ، أنه عاد ذات ليلة إلى غرفته داخل المصنع بعد أن تأكد من أحكام إغلاق جميع أبوابه . . وبعد أن أطفأ مصباح الغرفة ، وأغلق بابها ، وأوى الى فراشه ، فوجىء بمن يجلس على طرف الفراش . . شخص غريب . . الوجه شبه مظلم ، والجسد يحيط به معطف داكن . . هكذا بدا الغريب تحت الأشعة الضوئية الباهتة المتسربة الى داخل الغرفة من خلال الشقوق الضيقة في الحائط الخشبي . . .

ومرت ثوان إستعاد اندريه بعدها سيطرته على نفسه وقال متسائلاً بصوت متماسك :

ـ من ؟

فقال الغريب :

ـ أنا مالينوفسكي . . لا تخف . . أنا محتاج إلى خدمة منك . .

قال اندريه بإصرار :

ـ أخبرني أولاً كيف دخلت الى هنا ؟

ورد الغريب بهدوء :

ـ ليس هـذا مهـماً ، فقـد دخلت كـما تـرى . . المهم أن تؤدي لي مـا سأطلبه منك . .

وقبـل أن يتمكن أندريـه من توجيـه سؤال جديـد اليه ، قـال الغريب ببطء :

ـ ـ أنـا ميت . . فارقت الحيـاة منـذ ست سنـوات . . زوجتي وأولادي الثلاثة يقيمون في البيت الذي يوجد شرق هذا المصنع بثلاثـة كيلومترات . . أنـه البيت الـوحيـد في ذلـك المكـان . . زوجتي وأولادي يعـانـون من شـدة الحاجة . . وهم لا يعرفون أنني شريك لماريان في دكـان بيع المـلابس القديمـة الذي يجاور هذا المصنع . . لقد دفع كـل منا ثـلاثة آلاف روبـل اشترينـا بها عدة بالات من الملابس . . لكني مت فجأة . . فأخفى ماريان أمر شركتنا ولم يعط زوجتي شيئاً . . أنت فقط الذي يستـطيع إنقـاذ أولادي من الجوع . . لم أجـد غيرك في هـذه الـرقعـة من الأرض . . لا تسـألني أي سؤال . : أريـد معونتك . . سأترك لك هذا المعطف دليلاً عـلى أن ما سمعتـه مني حقيقة . . صورة عقد شركتي مع ماريان ستجدها أسفل إطار النافذة الغريبة الوحيدة في بيتي !!

وأختفى الغريبة فجأة . . وعندما أضاء أندريه مصبـاح الغرفـة ، وجد المعطف على طرف الفراش أمـا الباب فكـان مغلقاً من الـداخل بـالمفتاح . . فتأكد اندريه أنه كان يتحدث إلى ميت !!

وأنتظر أندريـه انبلاج الصبـح بصبر نـافذ . . ومـع أول خيوط الضـوء غادر المصنع وذهب الى بيت مالينوفسكي . . وأحضر صورة العقـد من إطار النـافذة الغـريبة . . وعـاد الى ماريـان ، وطالبـه بإعـادة الثلاثـة آلاف روبـل وأربـاحها فـدفعها مـاريـان عـلى الفـور زاعـماً أنـه لم يكن متـأكـداً من مـوت مـالينوفسكي . . وذهب أنـدريه الى الـزوجة البـائسة مـرة أخرى ، وأعـطاها النقود . .

وفي الليلة التالية عاد إليه مالينوفسكي الميت ، وشكره !!

وهـذه واقعـة سجلهـا البـاحث الانجليـزي « م . كيـرو » في كتـابـه « قصص واقعيـة عن الأشباح » الـذي صدرت منـه عدة طبعـات في لنـدن ، آخرها عام ١٩٤٨ ، وآثار جدلاً وسعاً في أنحاء أوربا .

يقول « كيرو » :

« كنت في زيارة صديقي الـرسام المعـروف « روبرت و . مكبث » ذات مساء ، تلبية لدعوة وجهتها لي زوجته لتناول العشاء ، عندما صارحني بأنه لا يؤمن بما أناقشه في أبحاثي حول قدرة بعض الأشخاص على الاتصال بنفوس الموتى ، والتحدث معها ، ورؤيتها متجسدة أيضاً . . وتحـداني أن أرشده إلى واحـد أو واحـدة من أولئـك الـذين نصفهم بـأنهم وسـطاء ، فقلت لـه عـلى الفور :

ـ حـدد لي الموعـد الذي ينـاسبك ، لأحضـر أحدهم هنـا في بيتك . .

فنظر إليَّ بخبث وقال :

ـ ولماذا لا يكون ذلك الآن ؟ . .

قلت :

ـ حسناً . . سأذهب فأحضر الآنسة « كوك » ، فهي وسيطة معروفـة ، تساعد العالم الكبير « سير ويليام كروكس » في تجاربه . .

وابتسم روبرت ابتسامة ماكرة ثم قال :

ـ بل اذكر لي عنوانها ، وسأذهب بنفسي لإحضارها ريثما تشرب الشاي مع زوجتي . .

وكتبت له العنوان عـلى ورقة صغيـرة ، فذهب . . وبعـد نصف ساعـة كانت الآنسة « كـوك » تجلس معنا . . وعنـدما أخبـرتها بشـك « روبرت » في قضية الوساطة برمتها ، أبدت استعدادها لقبول كل الشروط التي يضعها قبل بدء التجربة . . .

وبـالفعل وضـع روبرت عـدة شـروط ، أهمهـا أن يقـوم بـربط سـاقي وذراعي الآنسـة « كوك » في الكـرسي بحبـل من عنـده ، وأن يضـع الشمـع

الأحمر على عقد الرباط لكشف أي محاولة للخداع قد تجري في الظلام ، وأن يغلق باب الغرفة بالمفتاح ، ويحتفظ بالمفتاح في جيبه .

وفعل « روبرت » كل ذلك ، بينما الآنسة « كوك » تتابعه بابتسامة رقيقة ، وهي مستسلمة كقطة لطيفة . . وعندما توجه إلى المصباح ليطفئه ، ألقت أولى المفاجآت بأن طلبت منه أن يتركه مضيئاً . . فتردد قليلاً ثم قال بدهشة :

ـ في النور ؟!

فقالت بثقة :

ـ نعم في النور . . وأرجو أن تجلس أينما شئت ، وأن تكف عن الحركة !!

وأذعن « روبرت » وجلس على الكرسي المواجهة لها . . أما أنا وزوجته فقد كنا نجلس على كرسيين متجاورين على يمينه . . وخيم على الغرفة صمت كامل ، استمر حوالي عشر دقائق ، استغرقت بعدها الآنسة « كوك » في غيبوبة حقيقية . . ثم مضت عشر دقائق أخرى ، لم يحدث خلالها شيء ، فتململ « روبرت » فوق كرسيه ، وأطلت الشماتة من عينيه . . لكن المفاجأة الثانية لم تلبث أن وقعت ، حين رأينا جميعاً دخاناً أبيض ينساب شيئاً فشيئاً ويتحول الى جسد آدمي ، اتضح منه الرأس أولاً ، ثم الوجه ، ثم الصدر ، ثم الخصر والردفان . . فتاة لا شك في ذلك ، في ميعة الصبا وروعة الجمال . . ترتدي ثوباً دخانياً هفهافاً . . أخذت تقترب ببطء من « روبرت » حتى صارت على مسافة خطوتين منه ، ثم قالت بلغة انجليزية ركيكة :

ـ أنت لا تتذكرني . .

انعقد لسان « روبرت » لحظات ، لكنه تماسك بعد جهد وقال :

ـ الحقيقة أنني لا أتذكرك . .

فقالت :

ـ أثناء زيارتك لمدينة الجزائر منذ سنتين شاهدت راقصة جزائرية في

الملهى القريب من الفندق الذي كنت تنزل فيه . . وأبديت إعجابك بها . . وطلبت منها أن تزورك في الصباح لترسم لها صورة . . ألا تتذكر ذلك ؟!

قال « روبرت » وقد استعاد سيطرته على نفسه :

ـ اجل . . أجل . . أتذكر الآن كل ذلك . . إنها . .

فقاطعته قائلة :

ـ إنها أنا . .

قال :

ـ ولكنك لم تأت الى الفندق في الموعد . .

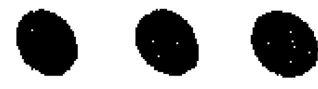
قالت :

ـ رآني عشيقي وأنا أستمع إليك ، وسمع حديثي معك . .وعندما ذهبت معه إلى بيته في نهاية السهرة ، وقعت بيننا مشادة انتهت بطعنة من سكين اخترقت جدار قلبي . . فمت قبل أن أتمكن من تلبية دعوتك !!

وامتقع وجه « روبرت » وقال بصوت متهدج :

ـ آسف أشد الأسف . . لم أكن أتصور أنني سأتسبب لك فيما وقع . . إنني . . .

ولم يكمل روبرت . . فقد كان الشبح يتلاشى كما ظهر فاختلطت المعالم حتى أصبحت دخاناً أبيض سرعان ما تبدد . . ولم يكن أمامي بعد ذلك سوى مساعدة الآنسة « كوك » على الافاقةامن غيبوبتها . . ففعلت !!



واقعة أخرى يرويها « م . كيرو » في نفس الكتاب :

« في إحدى ليالي سبتمبر العاصفة ، كنت قد عدت إلى بيتي بعد يوم حافل بالعمل والجدل ، فتناولت العشاء ، وجلست على مقعدي الوثير في غرفة المكتب ، أتصفح كتاباً جديداً قبل أن أبدأ في قراءته ، فإذا بالخادم يدق الباب ليخبرني بوجود ضيف اسمه « بريرلي » . .

لم أكن أعرف شخصاً بذلك الاسم . . فأغلقت الكتاب ، ونظرت إلى الخادم لحظة ، ثم سألته :

ـ ما شكله ؟ . .

فقال بكلمات متباعدة :

ـ طويل . . . ممتلىء . . . له شارب . . . . على وجهه قلق . .

وانتظرت مزيداً من الأوصاف ، لكن الخادم تلعثم وسكت . . فقلت :

ـ دعه يدخل إلى هنا . .

وبعد لحظات ، كان الضيف يقف أمامي . . في الأربعين من العمر تقريباً . . أشقر ، ينتشر النمش في وجنتيه . . شاربه الكثيف يغطي شفته العليا . . أما عيناه فمستديرتان يطل منهما الاضطراب والقلق . .

قلت له :

ـ يخيل إلي أنني لم أرك قبل الآن . .

فقال وهو يخلع قبعته السوداء ، لتسقط فوق جبينه الضيق خصلة من شعره الأشقر :

ـ الحقيقة يا سيدي أنني واحد من قرائك . . وأعتقد أنك الوحيد في لندن بأسرها ، الذي يستطيع مساعدتي على الخروج من مشكلة صعبة أعاني منها . . فأرجو أن تغفر لي إزعاجي لك في مثل هذه الساعة . .

فقلت له وقد أثار فضولي : :

ـ اجلس أولاً على هذا الكرسي . . وتكلم . .

فقال متردداً :

ـ إن قصتي طويلة بعض الشيء يا سيدي . .

فقلت :

ـ تكلم . . ولن أقاطعك . .

وفك أزرار معطفه الأسود الثقيل، وجلس على طرف الكرسي المواجه لي .. ثم قال :

- أنا « جيمس بريرلي » .. سائق قطار .. أتولى هذه الأيام قيادة القطار السريع الذي يغادر لندن في منتصف الليل إلى ميدلاندز ..

وسكت لحظة ، كأنما ليستجمع تفاصيل حكايته ، ثم قال بعد ان تنهد من أعماقه :

- حضرت الى لندن ، لأول مرة ، منذ ثلاث سنوات ، لأستقر فيها مع زوجتي وإبنتي الرضيع ، بعد أن التحقت بالسكة الحديد .. وكنت قبل ذلك أعيش في الشمال ، وأعمل في إحدى ورش صيانة السيارات .. ومن حسن حظي ، أو من سوئه ، أنني عينت مساعداً للسائق « جيم روبنسون » ، وهو من أمهر سائقي القطارات في انجلترا كلها ، وقد كان رقيقاً ، عطوفاً ، كريماً ، شهماً .. فنشأت بيننا صداقة ، تدعمت وقويت بمرور الأيام ، واستمرت كذلك ، بعد أن انفصلت عنه ، وأصبحت سائقاً لقطار آخر ..

كان « جيم » يصغرني بعامين تقريباً .. وكان يعيش مع زوجته في بيت ريفي منعزل ، يقع على بعد عشرة أميال شمالي لندن ، بالقرب من ذلك المنحنى الخطر لخط السكة الحديد المتجه الى الشمال .. ولم يكن قد أنجب رغم أنه متزوج قبل أن أجيء الى لندن بعام ..

وذات مساء يوم أحد .. جاء « جيم » وزوجته « كارول » لزيارتنا في بيتي .. كانت أول مرة نلتقي فيها كأسرتين ، فطلبت من زوجتي اعداد عشاء جيد ، وخرجت لشراء فاكهة ونبيذ .. وعندما عدت ، فوجئت بعامل من السكة الحديد ، قد جاء إلى بيتي ليبلغ « جيم » بأنه مطلوب بصفة عاجلة ، لقيادة قطار حربي في رحلة مفاجئة .. وحين أبديت دهشتي ، ضحك « جيم » وقال أنه اعتاد أن يترك بياناً بتحركاته تحسباً للطوارىء ، رغم ما يجره ذلك عليه من متاعب .. وطلب مني أن أقوم بتوصيل زوجته الى منزله ، بعد تناول العشاء ، وإنصرف لأداء مهمته وهو يتمنى لنا سهرة سعيدة ..

كانت ليلة باردة من ليالي شهر فبراير . . وكان المطر في الخارج لا يتوقف ، والهواء البارد يلسع الأنوف ويدمع العيون ، فوضعت مزيداً من قطع الخشب في المدفأة ، وجلسنا حولها نتحادث ونلعب الورق بعد تناول العشاء . . وكانت « كارول » طول الوقت سعيدة ، لا تكف عن الضحك ، وهي تداعب زوجتي بسرقة أوراق الجوكر واعادة اللعب بها . . وكان وجهها الجميل متورداً ، يحيط به شعرها القصير الأشقر كهالة من الذهب . . وعندما بلغت الساعة الحادية عشرة قبل منتصف الليل ، أبدت رغبتها في العودة الى بيتها ، فارتديت معطفي ، وخرجنا معاً ، لنقطع المسافة بين بيتي والشارع الرئيسي سيراً على الأقدام ، ثم وقفنا تحت مظلة محطة الأوتوبيس ننتظر سيارة تاكسي . .

مضت بضع دقائق فبدأت « كارول » ترتجف من شدة البرد ، رغم ملابسها الثقيلة ، والشال الصوفي الذي تلفه حول رأسها . . وحين عرضت عليها أن أخلع معطفي لأضعه حول جسدها الصغير ، طلبت مني وضعه حول جسدينا معاً حتى لا يؤذيني البرد ، واقتربت حتى إلتصق جسدها بجسدي ، ففعلت . . ومضى بعد ذلك أكثر من عشر دقائق ، جرى خلالها الحديث بيننا حول طبيعة عمل سائق القطار ، واضطراره الغياب عن بيته فترات طويلة ، ومعاناة زوجته من القلق ، والملل ، والوحدة . . وكان الهواء شرساً ، فتشبثت أيدينا بأطراف المعطف ، وإزداد إلتصاق جسدينا حتى خيل لي أن قلبها يدق في صدري . . وعندما توقف تاكسي ، دلفنا الى داخله بسرعة ، وجلسنا متجاورين على المقعد الخلفي ، فانطلق بنا لا يلوي على شيء . .

ـ وقلت لها هامساً :

ـ ألا زلت تشعرين بالبرد . . ؟

فقالت باسمة وهي تقترب مني أكثر :

ـ لست أدري ماذا أصابني اليوم !! . .

ثم أردفت بعد لحظة :

ـ أخشى أن أكون قد سببت لك بعض الضيق . .

فقلت وأنا أحيطها بذراعي ، بعد أن فردت معطفي فوق ساقيها ، لأشيع في بدنها الدفء :

ـ على لعكس . . فإن رقتك وبساطتك تزيدان من سعادتي . . فقالت :

ـ إنك لطيف ورقيق . .

ومرت الدقائق ، والسيارة تسير بنا فيها يشبه الحذر ، وسط الظلام ، فوق طريق بللته مياه المطر . . ولا أخفي عنك يا سيدي ، أن رائحة شعرها المعطر وحرارة جسدها ، جعلتا رغبة حيوانية تسري في أوصالي ، لكنني تذكرت « جيم » فقاومت هذه الرغبة ، وسحبت ذراعي من خلف ظهرها برفق ، فرفعت وجهها اليَّ لتمتزج أنفاسي بأنفاسها . . وهمست :

ـ إن « جيم » لن يعود الليلة !!

وعصفت قولها بي عصفاً . . واحتدم في داخلي الصراع بين انسانيتي وحيوانيتي . . وقلت لها وأنا أكتم انفعالي :

ـ لم يبق سوى بعض ساعة ، وتنعمين بالدفء تحت الأغطية الثقيلة في فراشك حتى الصباح . .

فقالت كأنها تحادث نفسها :

ـ إنني أكره ذلك المنفى الذي يسميه « جيم » بيتاً . . إنه بارد في الليل كسجن . . وصامت في النهار كقبر . .

وفجأة لمع البرق بشدة ، وقصف الرعد بعنف ، فجفلت وطوقت عنقي بذراعيها . . وضحك سائق التاكسي ، واستغرقت هي أيضاً في الضحك . . وساد صمت بعد ذلك لا يشوبه سوى أنين محرك السيارة الرتيب . . أما أنا فكان البركان في داخلي قد أنفجر ، وتدفقت حممه الملتهبة في عروقي ، فأحسست بالوهج ينضج من مسام جلدي . . ووسط هذه المشاعر المشتعلة ، تراءت لي صورة وجه « جيم » فهربت منها بأن قلت لكارول :

ـ سأنزل معك لأشعل لك المفدأة . .

فتناولت راحة يدي بين كفيها ، وقالت هامسة :
ـ كدت أطلب منك ذلك ، لكنك سبقتني . .

وبعد دقائق توقفت بنا السيارة أمام بيت « جيم » . . فنزلت كارول بعد أن أحكمت وضع معطفي حول جسدها ولحقت بها بعد أن دفعت للسائق أجره ، فأعطتني المفتاح ، وطلبت مني فتح الباب ففعلت . . واشعلت عود ثقاب لأتبين على ضوئه مواضع أقدامي وسط الظلام الدامس ، غير أن « كارول » أسرعت باحضار مصباح غازي ، ورفعت عنه زجاجته . . وعندما قربت منه عود الثقاب الذي كان قد أوشك على نهايته ، صدر عنه ضوء باهت ، سرعان ما اشتد وازدهر . . وقالت كارول بمرح وهي تضع المصباح فوق ترابيزة مرتفعة ، وتشير بوجهها الى اليسار :

ـ تلك هي المدفأة . . عليك بها حتى أعود إليك . .

وتركتني الى غرفة يقع بابها في أقصى اليمين . . وكانت المدفأة عامرة بقطع الخشب ، فنثرت عليها قليلاً من الكيروسين من زجاجة موضوعة بالقرب منها . . وأشعلت عود ثقاب وألقيته فوقها . . وجلست على مقعد وثير أمامها أرقب ألسنة النار المتصاعدة كأنها ثعابين تترنح . . وسرعان ما انساب الدفء ليملأ الغرفة ويشيع في أرجائها الحيوية . .

وبعد حوالي رفع الساعة ، جاءت كارول حاملة زجاجة من الويسكي وكأسين ،وقد ارتدت ثوباً طويلاً أصفر مفتوح من الأمام ، يحيط به عند الوسط حزام من الحرير المذهب المجدول . . وقالت وهي تملأ لي كأسي :
ـ أنا مدينة لك بالشكر والامتنان ، على هذه السعادة الجارفة التي تملؤ ني الآن . .

وتناولت منها الكأس دون أن أنطق بكلمة . . وجلست هي على المقعد المواجه لمقعدي بعد أن ملأت كأسها ، ووضعت ساقاً فوق ساق ، فانشق ثوبها ليكشف عن الساقين حتى الركبتين . . وقالت :

ـ فلنشرب نخب سعادتي . .

ورفعنا الكأسين معاً . . ورشف كل منا رشفة . . ثم وضعت كأسي جانباً ، ووقفت . . فهبت واقفة وقالت بلهفة :

ـ لم أكن أحلم طول حياتي بهذا الذي أشعر به الآن . .

واقتربت مني فاحتويتها بين ذراعي ، وقبلت وجنيها ، وعنقها ، وجبينها ، وشعرها ، ثم التهمت شفتيها بين شفتي . . وكانت تلك الليلة بداية لحب جارف ألم تجد « كارول » مثله بين ذراعي « جيم » ، ولم أنعم أنا بمثله في أحضان زوجتي . . وقبل الفجر بقليل ، إرتديت ملابسي ، بينما كانت هي مستلقية في الفراش ترقبني . . فاتنة كعروس ، جميلة كملاك ، نضرة كوردة بللها الندى . . وتكررت لقاءاتنا بعد ذلك كلما كان جيم يغيب في إحدى رحلاته . .

وصمت « بريرلي » عدة لحظات ، أشعل خلالها واحدة من سجائره ، وقال وهو ينفخ دخانها في قلق :

ـ استمرت علاقتي بكارول حتى نهاية الشهر الماضي . . حين قرأت ذات صباح عنواناً في إحدى الصحف يقول : « مأساة سائق قطار يطلق الرصاص على زوجته وينتحر » !! . . ولم يكن السائق سوى « جيم » . . وأما الزوجة فهي « كارول » . . ولم يرد في تفاصيل الخبر المثير أي شيء عن خيانة الزوجة ، أو ذكر لوجود عشيق لها . . لكن منذ أسبوعين ، حدث ما هو أغرب من الخيال ، بعد أن تحركت بالقطار السريع مغادراً لندن في منتصف الليل متجهاً الى ميدلاندز . . فقد جذبت ذراع السرعة إلى أسفل لأخفف من سرعة القطار قبل دخول المنحنى الذي يقع بالقرب منه بيت « جيم » . . غير أنني فوجئت بالذراع ترتفع إلى أعلى لتزداد سرعة القطار . . فأمسكت بها على الفور ، وجذبتها إلى أسفل لكنني صادفت مقاومة ، كأن أحداً يجذبها في الاتجاه المضاد . . ونجحت في السيطرة عليها حتى اجتزنا المنحنى بسلام . . وفي رحلة العودة حدث نفس الشيء ، عند نفس

المنحنى ، ولكن في هـذه المـرة رأيت مـا أذهلني وأنـا أتشبث بـالـذراع بكـل قوتي .. لقد رأيت شبح « جيم » ، يقبض على الذراع بكلتا يديه ويجـذبها في اتجاه زيادة السرعة .. لكنني استطعت السيطرة على الموقف .. وتصورت أن الأمر كله مجرد كابوس مفزع .. وحاولت نسيانه ..

وفي الأسبـوع الماضي تكـرر نفس الشيء .. والمدهش يـا سيـدي أن مسـاعدي « جلين » رأى شبـح جيم كما رأيتـه.. واشتـرك معي في الامسـاك بذراع السرعة للاحتفاظ بها عند أدنى مستوى للسرعة .. في الذهاب والعـودة أيضاً ..

ونظرت إلى « بريرلي » بإشفاق
ثم قلت :
ـ ماذا تريد مني أن أفعل ؟!

فقال على الفور :

ـ أريـدك أن تساعـدني في اقناع روح « جيم » بـالصفـح عني .. فقـد أخطأت في حقه ، ومستعد للتفكير عن هذا الخطأ .. سأقوم بـرحلتي الأخيرة اليـوم ، وسآخـذ زوجتي وطفلتي معي لأتركهـما في الشمـال ، وأعـود فـأقـدم استقالتي .. أن الرحلة ستبدأ بعد سـاعة من الآن .. أرجـوك سـاعـدني على الخروج من هذه المشكلة ..

فقلت له :

ـ كل ما أستطيع أن أقوله لـك ، هو ألا تفكـر في « جيم » قبل دخـول المنحنى .. فكـر في أي شيء آخر .. إنـه لن يتمكن من الظهـور لك إلا إذا سيطر على تفكيرك أولاً ..

وشكـرني « بـريـرلي » وانصـرف .. وفي الصبـاح قـرأت في الصحف عناوين كبيرة عن كارثة قطار منتصف الليل المتجه الى ميدلانـدز الذي خـرج عن القضبان عند المنحنى الواقع على بعد عشرة أميال شمالي لندن .. وقرأت أسماء « جيمس بريرلي » ، وزوجته ، وطفلته ، في مقدمة أسماء الضحايا !!

والـذي وقـع لبـريـرلي ، نتيجـة طبيعيـة لقيـامـه بتـركيـز تفكيـره في « جيم » . . ذلك التركيز الذي كان يبلغ ذروته عندما يقترب « بريـرلي » من المنحنى ، الذي يقع عنده بيت « جيم » ، أو مسرح جـرائمه في حق صـديقه الذي أمن له ووثق فيه فخانه أبشع خيانة . . مما جعل القـدرة على الـوساطـة تتحرك في داخله إلى درجة التوهج . .

ولـو أن بريـرلي كان مـدرباً عـلى التحكم في هذه القـدرة لما كـان ذلك مصيره !!

« وحدث هرج ومرج ..
وانطلق الذئب هارباً ، والرجال
في أثره .. وأطلق صاحب البيت
عياراً نارياً أصاب الذئب في
مقتل .. وعندما أحضروا
المشاعل ، اكتشفوا أن الوحش
القتيل هو الشاب جان الذي وفد
إلى القرية ليعمل في مزارعها » !!

وكلما نظر إلى صورة المسيح
رأى الدم ينزف من يديه وقدميه !

نحن بشر . . الخير فينا ، أو الشر أيضاً . . وكل ما نقوم به . . أعمال ينطوي على خير أو شر . . لكن الذين يمارسون السحر يمتزج الخير بالشر في أعمالهم ، لأنهم يقعون غالباً أسرى لشهواتهم وأهوائهم ، عندما يواجهون مواقف عصيبة ، أو يتعرضون إلى نوع من التحدي . .

وبعيداً عن الذين يمارسون السحر بقصد إصابة غيرهم من الناس بضرر ، نجد نوعاً من السحرة يمارس أفراده التأثير في أنفسهم أو في الأشياء المحيطة بهم . . مَن هؤلاء « سايمون الساحر »، أو « سايمون ماجوس » . .

والمعلومات القليلة التي توافرت لنا عن سايمون ، تقول أنه ولد في السامرة بفلسطين ، وأنه تعلم فنون السحر على أيدي بعض كهنة مصر ، وكهنة « الماجي » الفارسيين . . وكان أهل السامرة المعاصرون لسايمون يعتبرونه ساحراً بسبب قيامه بالكثير من الأعمال الغريبة ، أو الخارقة ، التي يعجز الانسان العادي عن إيجاد تفسير لها . . من ذلك أنه كان يقوم بتحريك الأجسام الثقيلة من أماكنها دون أن يلمسها . . وأن يرتفع بجسمه في الهواء . . وأن يتلاشى عن الأنظار وهو واقف أمام حشد كبير من الناس فلا يبقى منه سوى صوته . . وأن يحول نفسه إلى حيوان . . وأن يستحضر نفوس الموتى ويتحدث معهم . . ويقال أنه استحضر « روح » هيلين ملكة طروادة أكثر من مرة ، فوقع في غرامها وعاشرها . . ويقال أيضاً أن روح هذه الملكة قد ضاقت به فتسببت في إصابته بمرض الصرع الذي لازمه حتى مات !!

وقد اعتنق « سايمون ماجوس » المسيحية بعد أن ذاع صيته كساحر ، إلا أن مختلف آباء الكنيسة قد رفضوه ، واتخذوا منه موقفاً عنيفاً ، بسبب ممارسته السحر الأسود ، وبسبب عرضه مالاً على بعض الرسل لكي يمنحوه القدرة على اتيان المعجزات . . ولذلك سافر سايمون الى روما ، وسعى للتقرب من نيرون ليحتمي بسلطانه . . ويقال أنه أثار اهتمام ذلك القائد الروماني الشهير بطريقة مبتكرة . . فقد قام باستدراج أحد حراس قصره ، ونومه تنويماً مغناطيسياً ، ثم اقنعه بأنه قطع رأسه وأماته ، أنه سيرد إليه رأسه ليعيده الى الحياة . . وعندما أفاق الحارس من الغيبوبة هرول الى نيرون

وأخبره بأن سايمون أماته ثم أحياه . . فاستدعى نيرون سايمون وقربه منه !!

وعندما أصبح سايمون صديقاً مقرباً لنيرون . ذهب بطرس الرسول إلى روما ليفضح ألاعيبه حتى لا ينخدع به المسيحيون . . وتحداه في مباراة علنية جرت في حضور نيرون ، داخل قاعة ضخمة إتسعت لحشد كبير من المشاهدين . .

وبدأت المباراة أمام الجميع بأن أشار سايمون بيده إلى أعلى ، فجاء عدد كبير من الكلاب الشرسة من السقف ، واندفعت نحو بطرس الرسول لتفتك به ، لكن بطرس أخرج من جعبته رغيفاً من الخبز المقدس ، ولوح به للكلاب فاختفت . . ورد سايمون على ذلك بأن ارتفع في الهواء وطار خارجاً من النافذة ليعود من النافذة الأخرى ، فما كان من بطرس الا أن جثا على ركبتيه وابتهل الى الله أن يسقط الساحر . . فسقط سايمون على أرض الفناء خارج القاعة ، وتحطمت ساقاه ومات . . وعندئذ غضب نيرون ونهض من جلسه بعد أن أمر بوضع بطرس الرسول في السجن !!

لقد كان سايمون ماجوس من أشهر النماذج لذلك النوع من السحرة الذين كان في وسعهم التأثير في أنفسهم وفي الأشياء المحيطة بهم ، وقد أذهل معاصريه بقدرته الخارقة ، وأثار بعد موته جدلاً طويلاً حول هذه القدرة . .

ومن الخطأ الفادح أن نجيء نحن الآن فنتغاضى عن مثل هذه النماذج من البشر ، أو أن ندير لها ظهورنا على إعتبار انها كاذبة أو مخادعة ، فالأمانة العلمية تفرض علينا أن نجتهد ونحاول البحث عن تفسيرات لها . .

وقبل أن نورد لبعض الاجتهادات التي توصل اليها عدد من الباحثين والعلماء ، نشير الى نموذج آخر من ذوي القدرة على التأثير في الأشياء المحيطة بهم ، هو الأب « فاشير » أسقف كنيسة « ميرابو » القريبة من روما . .

كان الأب « فاشير » في الخمسين من العمر ، عندما تولى رعاية تلك الكنيسة الصغيرة . . وكان من الشخصيات الجادة المعروفة بزهدها وصدقها ورصانتها ، وفوق ذلك كان صديقاً للبابا نفسه . .

وذات ليلة كان الأب « فاشير » راكعاً أمام صورة كبيرة للسيد المسيح يتأملها ، فاذا به يرى يدي المسيح وقدميه تنزف دماً !! . . ولم يصدق عينه . . لكن ذلك تكرر كلما نظر الى الصورة في المرات التالية . . وعندما أفضى الأب فاشير الى بعض خلصائه بما رأى ، أشاعوا الخبر بين الناس حتى وصل الى المقر البابوي .

وطلب البابا أن يحضروا اليه الأب فاشير والصورة ، وطلب منه أن ينظر اليها في حضرته ففعل الأب فاشير ، ثم التفت الى البابا وقال له . . « لقد توقف النزيف . . لكن الدموع تنساب غزيرة من عيني السيد المسيح » !!

وغضب البابا ، وأصدر أوامره بحرمان الأب فاشير وطرده من خدمة الكنيسة . . وظل الأب فاشير بعد ذلك يرى الدم ينزف من يدي وقدمي المسيح ، أو الدموع تنساب من عينه ، كلما نظر الى صورة من صوره في أي مكان !!

والآن ما تفسير ذلك ؟ . .

يقول أحد الآراء العلمية ، أن الانسان يتعرض أحياناً لنوع من التأثير النفسي الخاص ، وأن هذا التأثير ينعكس على العقل فيجعله ينقل تصوراته الى الأشياء الجامدة المحيطة به ، فتتجسد هذه التصورات على تلك الأشياء . .

وفي ضوء هذا الرأي ، يكون في وسعنا القول بأن النزيف والدموع التي كان يراها الأب فاشير لا وجود لها في الواقع ، إلا في عقل الأب فاشير نفسه ، وأما صورة المسيح فليست سوى رمز يذكر الأب فاشير بما قرأه وسمعه عن آلام السيد المسيح أثناء تعذيب اليهود له . . لقد تحولت قراءات الأب فاشير إلى تصورات بعد أن آمن بها إيماناً راسخاً ، ثم خرجت هذه التصورات من العقل لتتجسد وتصبح واقعاً يراه بعينيه ، كلما وقع نظره على صورة السيد المسيح . .

لكن هذا التفسير إذا انطبق على حالة الأب فاشير ، فانه لا ينطبق على حالة « سايمون ماجوس » ، لأن هذا الأخير لم يكن هو الذي يرى ، بل كان يفعل ويجعل غيره يرى !!

وإذا تساءلنا كيف كان في وسعه أن يفعل ، فإن الاجابة التي يقدمها لنا الباحثون الجادون في هذا المجال ، تقول أن بعض الناس يتمتعون بالقدرة على الاستعانة بقوى أخرى غير منظورة تحقق لهم ما يفكرون في تحقيقه . .

وقد يكون هذا القول غير مستساغ ، أو غير مقبول ، عند كثيرين منا . ولكن هذا ليس مبرراً لرفض ذلك القول رفضاً قاطعاً . . فالقوى غير المنظورة موجودة معنا ، وحولنا ، وفوقنا ، وتحتنا . . سواء سلمنا بوجودها أو لم نسلم به . . وأول هذه القوى الجن . .

وإذا كان أغلبنا لا يستطيع أن يشعر بهذه القوى أو أن يراها ، فان مرجع ذلك إلى أنها فوق مستوى الادراك العادي . . إنها في مستوى الادراك المتفوق الذي ملكه سايمون ماجوس وأمثاله . .

ومن أهم الشروط التي لا بد من توافرها فيمن يريدون التعامل مع الجن مثلاً ، الايمان بوجوده . . وحين يصل هذا الايمان الى درجة اليقين ، فانه يصبح في الامكان تحديد المطالب ، ثم إخراجها من حيز العقل الى حيز الواقع على هيئة كتابات بالحروف أو الأرقام أو بالرموز المرسومة . .

وببساطة ووضوح أكثر ، نقول أنه إذا كان الأب فاشير قد استطاع تجسيد تصوراته ورؤيتها . . فان سايمون قد استطاع تجسيد مطالبه . . واستطاع أيضاً أن ينقل هذه المطالب إلى قوى أخرى غير منظورة لتقوم بتنفيذها . . وبديهي أن القوى غير المنظورة وفي مقدمتها الجن ، تتعامل وتحرك وفق معايير ومقاييس أخرى غير المقاييس والمعايير المادية التي يتعامل بها العاديون من بني الانسان . . وهذا ما يجعل نتائج أعمال تلك القوى غير المنظورة عادية أو خارقة بالنسبة لنا . .

ويقول الباحثون أن في وسع أي انسان يؤمن بوجود الجن أن يتمكن

من الاحساس به ورؤيته . . ولكن هذا وحده لن يكون كافياً لامكان التعامل معه . . لأن الوصول الى درجة التعامل مع القوى غير المنظورة يتطلب خبرة ودراسة وإلماماً بأصول وقواعد كثيرة موجودة في كتب السحر القديمة ، وبعد ذلك يحتاج الى مران وتدريب . .

وأهم كتب السحر على الاطلاق ، هو ذلك الكتاب الأسطوري الذي كتبه « جوز يفوس » في القرن الأول الميلادي ، وضمنه الكثير من التعاويذ والترانيم والطقوس اللازمة لاستدعاء الجن ، وهو الكتاب المعروف باسم « أقراص الزمرد » . . وبعده يأتي كتاب « مفتاح سليمان » الذي وضعه « هيرميز تريز يجيستاس » ، وهذا الكتاب موجود في صور وأشكال متعددة ، ولعل السبب في ذلك هو أنه كان على كل من يريد استخدامه أن ينسخه بخط يده ، أما إذا قام بطبعه فان تعاويذه وترانيمه تفقد سرها وفاعليتها !!

هذان الكتابان هما المرجعان الوحيدان لكل فنون السحر . . وعنهما نقل السحرة المحدثون هذا الفن الغامض الغريب . . غير أن قوة الساحر الذاتية ، وقدرته على التعامل مع النصوص المكتوبة في هذين الكتابين تقفان على نفس مستوى أهمية النصوص ذاتها . . أي أن النصوص لا تساوى شيئاً إذا لم تقترن بقوة الساحر . .

ومن بين الشروط التي يخضع الساحر لها ويلتزم بها ، أن يقوم يصنع كل الأدوات التي يستخدمها بنفسه ، بما في ذلك القلم ، والحبر ، والدواة ، والشموع ، والعصي ، والقماش ، والخيط ، والأوتار ، والآنية . . كل ذلك يصنعه بيديه من مواد أولية طبيعية ، لا دخل للآلة فيها !!

أما التعامل مع الجن وتسخيره لأداء أعمال خارقة ، فله شروط أخرى ، أولها عقد حلف مع ملك الجان ، يلتزم الساحر بمقتضاه بطاعة الشيطان طاعة عمياء ، ولا فكاك بعد ذلك من هذا الحلف الا بالموت ، وغالباً يكون الموت بشعاً . .

ولعقد الحلف مع ملك الجان طقوس غريبة ، بل غاية في الغرابة . .

تبدأ بإختيار المكان الذي يشترط أن يكون دار عبادة خرباً ـ كنيسة متهدمة مثلاً . . أو هيكل مهجور ـ حيث يحضر عدد من السحرة المتحالفين مع الشيطان ، يترأسهم كبيرهم الذي يشترط فيه أن يكون كاهناً إرتد عن الدين وكفر بجمع الآلهة وآمن فقط بالشيطان . . ثم يسكر الجميع وعندما ينتصف الليل ، يبدأ الاحتفال الغريب ، بأن يخلعوا ملابسهم ، ويرتدي الكاهن المرتد ثوباً ، على اللحم ، مشقوقاً من الأمام . . وينام الساحر الجديد الذي يرغب في عقد الحلف مع ملك الجان ، على المذبح المخضب بالدم ، عارياً هو الآخر . . ويقف السحرة القدامى حول المذبح في حلقة واسعة يكون المذبح مركزها . . فقط الكاهن يتقدم ، وتتقدم معه إمرأتان يشترط أن تكونا ممن مارسن الدعارة في سن مبكرة ، واحدة عن يمين الكاهن ، والثانية عن يساره . . وتبدأ مراسم عقد الحلف بأن يرسم الكاهن بالدم صليباً مقلوباً على الجسد العاري الراقد فوق المذبح ، ثم يقرأ آيات معينة من العهد القديم تلاوة معكوسة . . ويتلو « قسماً » يردده بعده الساحر الجديد ، بينما المرأتان تحرقان الشموع السوداء ـ وترسمان في الهواء صلباناً مقلوبة ، ويلتزم الساحر الجديد بمقتضى هذا القسم بأن ينكر الانتهاء لوالديه ، ويكفر بالله والرسل والأنبياء ، ويتعهد بأن يعمل على تدمير كل المقدسات ، ويعد بتقديم القرابين من النساء والأطفال للشيطان . . ثم يأتي ملك الجان ويتجسد في صورة آدمي عملاق ليمارس الجنس مع الساحر الجديد . . وبعد ذلك ينغمس الجميع في الرقص الجنسي حتى يفقدوا الوعي تماماً، ويتساقطوا الواحد بعد الآخر من شدة الأعياء . . وعندما يفيقون مع الخيوط الأولى للفجر يكون الساحر الجديد قد عقد الحلف المطلوب . . ويكون اسمه قد كتب في « كتاب الموت » . . ويكون قادراً على تسخير الجن !!

ويقول الباحث الايطالي « فرانشيسكو ماريا جوازو » أن هذه الطقوس كانت تسمى بـ « القداس الأسود » أو « السبت الأسود » . . لأنها كانت تجري في الظلام وفي أيام السبت فقط . .

وفي إنجلترا عرفت لندن جماعات من السحرة تمارس طقوساً من نفس

هذا اللون . . ففي عام ١٧٣٠ أقام عدد من السحرة الانجليز ناديا أسموه « نادى نار الجحيم » . . وفي عام ١٩١٢ أنشأ عدد من طلبة جامعة اكسفورد ، جمعية أسموها « جماعة أتباع إبليس » . . وكانوا يقيمون احتفالات بين المقابر ، أو بين أطلال الكنائس المتهدمة ، تشبه الى حد كبير احتفالات « القداس الأسود » ، وكانوا أيضاً يرسمون على الجدران صلباناً مقلوبة . .

ويقول الباحث الأمريكي « و. ب . سيبروك » أنه شاهد بنفسه جماعات مشابهة في نيويورك ، وباريس ، وليون ، ولندن . . وأن أفراد هذه الجماعات يمارسون السحر ، ويقومون بأعمال خارقة بمساعدة الجن ، وهم لا يتورعون عن إصابة الناس بالأذى ما داموا في النهاية سوف يحققون مآربهم !!

لقد عانت أوروبا على وجه الخصوص من هذا النوع من السحر الشرير الذي اتفق على تسميته بالسحر الأسود ، مما دفع الكنيسة الى شن حملة إبادة واسعة ضد كل من يمارس السحر . . واكتسح جنون اصطياد السحرة فرنسا وانجلترا والمانيا في موجات متتابعة . .

وفي بداية القرن السادس بلغ هذا الجنون مداه ، ولقى كثير من الأبرياء مصيراً دموياً لمجرد أن خصومهم ادعوا أنهم يمارسون ألواناً من السحر . أما العقوبة فكانت الحرق أو الصلب أو الخنق . .

ويقول الكاتب الانجليزي كولف ويلسون في كتابه « القوى الخفية » ، أن ألمانيا قد شهدت مذابح رهيبة أثناء تلك الفترة . . وعندما حاول ديتريش فلاد نائب حاكم مدينة تريف ومدير الجامعة بها ، استخدام نفوذه لكبح جماح صائدي السحرة واقناعهم بالاكتفاء بنفي السحرة بدلاً من إحراقهم ، شكوا فيه ، واتهموه بأنه يقف الى جانب الشيطان . . وعلى الرغم من مكانة الرجل ، فقد ألقى القبض عليه ، وحوكم محاكمة سريعة ، انتهت بخنقه ثم احراق جثته . .

وفي مدينة بامبرج ، بألمانيا أيضاً ، إتهم جورج هان الذي كان يشغل

نـائب المستشار ، بـأنه شـديد التسـامح مـع السحرة ، فحـوكم هو وزوجتـه وابنتـه ، وأحرقـوا جميعاً رغم أن الامبـراطـور تـدخـل بنفسـه وأمـر بـاطـلاق سراحهم . .

أما يوهان يونيوس عمدة مدينة بامبرج الذي تم اعدامه هو الآخـر بعد ادانته بتهمة ممارسة السحر ، فقد كتب خطاباً الى ابنته قبل أن يواجه الاعدام قال فيه :

. . « لقـد جـاء إلى الجـلاد ، ووضـع أصـابعي في عصـارة الأيـدي ، فتناثرت الدماء من أظافري ،وبقيت لأربعة أسابيع عاجزاً عن تحريكها . .

وبعـد ذلك خلعـوا عني ملابسي ، وربـطوا ذراعي خلف ظهري ، ثم رفعـوني على سلم خشبي ، وتـركوني أسقط عـلى الأرض ، وتكرر ذلـك نحو ثماني مرات ، حتى خيل إليّ من شدة الآلام أن القيامة قد قامت . .

والآن يـا ابنتي العـزيـزة ، يـا أعــز أولادي ، أنني بـريء ، من كــل الاتهــامـات التي اختــرعـوهــا وأسندوهــا الى . . ولـذلــك فليكن الله في عوني . . » .

وغير ديتريش فلاد ، وجورج هان ، ويوهان يونيوس ، هناك عشـرات المئات من المواطنين البارزين تم إعدامهم ظلماً ، وآلت ممتلكاتهم وأموالهم إلى الأثقف جوتفريد يوهان ، أسقف مدينة بامبرج . . أما ابن عمه أسقف مدينة فوزبرج ، فقـد أحرق تسعمـائة من كبـار الشخصيات خـلال عامـين فقط ، وكان رجالـه يتفننون في إبتكـار ألوان التعـذيب وينفذونها في ضحـاياهم قبـل إحراقهم ، ومن ذلك تمزق الأوصال ، أو الإلقاء في الماء المغـلي ، أو الحرمـان من الشرب ، أو الحرمان من النوم لعدة أسابيـع ، أو قطع الأيـدي ، أو قطع أثـداء النساء بسكـاكين سـاخنة إلى درجـة الاحمرار لانتـزاع الاعترافـات قبل الاعدام حرقاً . .

أما في إنجلترا فكان صائدو السحرة من المتعصبـين الحمقى ، وكان في مقدمة هؤلاء « ماتيو هـوبكينز » الـذي أطلق على نفسـه لقب المكتشف العام

للسحرة ، وزعم أنه قد حصل على « قائمة الشيطان » التي تضم أسماء كل سحرة إنجلترا . . وسرعان ما راح يجوب انجلترا من شمالها الى جنوبها ، وكان يقول أن علامة الساحر هي أن يكون له قرين من الشياطين ، يتخذ شكل حيوان . . وقد تضمن الادعاء الذي كتبه ضد أولى ضحاياه ، واسمها اليزابيث كلارك ، من بلدة مانيجزى في مقاطعة إسكس ، قسماً بأنه رأى بصحبتها أربعة عفاريت على شكل كلب صغير ، وقطة ، وكلب حراسة رمادي اللون ، وقرد أسود !! وقد أقسم مساعدوه أيضاً بأنهم هذه العفاريت الأربعة . . وكانت وسائله في إنتزاع الاعترافات من المتهمين تتميز بالغرابة . . فالنساء كان يلقى بهن في بحيرات عميقة ليرى إذا كن سيغرقن أم لا !! . . أما المتهمين الرجال فكان يجبرهم على السير حفاه حتى تتورم أقدامهم . . وفي النهاية كان يقوم بإعدام الجميع شنقاً !!

وقد استمر « ماتيو هوبكينز » في ممارسة وسائل التعذيب التي تتميز بالسادية لمدة أربعة عشرة شهراً استطاع خلالها أن يجمع ثروة طائلة ، وما لبث أن أصبح يقوم بدور الادعاء والقاضي في وقت واحد . . واستطاع أن ينفذ حكم الاعدام خلال بضعة أشهر في عدد يفوق بكثير ما تم اعدامهم في مائة وستين عاماً .

أما في أمريكا فقد كان التعذيب أقل حدة . . لكنه شمل الكثير من الأبرياء . . وتطور الأمر الى أن أي فرد كان يتهم خصومه بممارسة السحر . . وكان ذلك الاتهام كافياً لالقاء القبض على أي فرد ، وتبدأ المحاكمة باستجواب المتهم عن أسماء أصدقائه الذين يشتركون معه في القداس الأسود ، وعن العقد المبرم بينه وبين الشيطان ، وعن أعمال السحر التي قام بها ، فإذا أجاب على كل الأسئلة بالنفي ، يعاد القاؤ ها عليه مرة أخرى ، وإذا أصر على النفي فانه يجبر ، بوسائل التعذيب المختلفة على الاعترافات بأنه كفر بالدين ، وبأسماء شركائه ، ثم ينفذ فيه الاعدام بعد ذلك . .

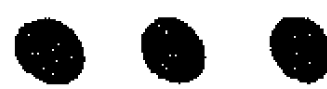
ولقد أثارت محاكمات السحر : في أمريكا موجة من الفزع بين الناس ، وشجعت اللصوص على إبتزاز الأموال من الأثرياء وتهديدهم

بـإتهـامهم بمـارسـة السحـر . . وتسـابقت العـاهـرات الى اتهـام السيـدات الفـاضـلات ، للتلذذ بمشـاهـدتهن واقفـات عـاريـات أمـام المـلأ للبحث في أجسادهن عن علامة الشيطان . .

ورغم كـل هذه الضجـة التي شملت العالم الغـربي واستمـرت لأربعـة قرون متتالية.، فإن السحرة الحقيقيين لم يقـع منهم سوى عـدد قليل للغـاية ، أمـا أغلبهم فكان هـو الذي يـوجه الى خصـومه تهم ممـارسة السحـر ، ويقوم بالارشاد عن أماكنهم . . وقد تسببت هذه المحاكمـات الجائـرة في زرع الرعب في قلوب الناس ، ولم يعد أحد يثق في أحد ، أو يأمن على نفسـه من جاره ، أو صديقه ، أو قريبة . . وتفككت الـروابط الأسريـة واستبد الـدمار النفسي بالجميع . . إلا أن ممارسة السحر استمرت رغم كـل ذلك ، ولكن في سـرية وتكتم شديدين . .

والسحرة الذين يتحالفون مـع الشيطان ، ليمـارسوا السحـر الأسود ، ينتهـون دائماً نهايـات مفجعة . . بعضهم يجـدونه مخنـوقـاً . . وبعضهـم يشنق نفسه بحبل يصنعه بيديه . . أو يلقي بنفسه من فوق بناء شاهق ، أو يقفز الى النهر بعد أن يربط يديه ورجليه بحبل يعوقـه عن الحركـة . . والذين ينجـون من الموت يفقدون صوابهم ، ويهيمون على وجوههم كحيوانات ضالة . .

ومن حسن الحظ أن هـذا النـوع من السحـرة يقـل عـدده عـامـاً بعـد عام . . وهم لا يزيدون الآن على بضـع مئات في العـالم كله . . في أوروبا ، وآسيـا ، وأمريكـا ، وشبه القـارة الهندية ، وفي عدد من دول وسط افـريقيـا وشمالها . . وغير هؤلاء يوجد بعض السحرة الذين يزاولون أعمالهم بمساعدة الجن ولكن في غير نواحي الحاق الأذى بالنـاس ، بل غـالبـاً مـا يتسم هدفهم بالخير مثل شفاء المرضى بأمـراض مستعصية . . وهم لـذلك ليسـوا من اتباع الشيطان ، ويصعب أيضاً وصفهم بأنهم من الدجالين . .



نعود مرة أخرى إلى الذين يمارسون التأثير في أنفسهم بـالسحر لنعـرض

لنموذج آخر . . وأفراد هذا النموذج هم الذين يتحولون أمام الناس إلى صور أخرى أو مخلوقات أخرى !!

يقول الكاتب الفرنسي « كلود سيتول » أن الأدب الشعبي الفرنسي حافل بقصص عن بعض السحرة الذين استطاعوا تحويل اشخاص الى ذئاب ، وأنهم كانوا يفعلون ذلك على مرأى ومسمع حشد من الجماهير . . أما الساحر « باراسيليوس » الذي عاش في القرن السادس عشر فيقول أن الانسان الذي عاش حياة شرسة أو دموية ، يعود الى الحياة مرة أخرى بعد موته في جسد ذئب !!

ومع أن هذا القول لبارسيليوس مرفوض من جانباً ، فإن ما يقوله الباحث المعاصر « مونتاجي سومرز » يدعونا الى التحفظ قبل رفضه . . فماذا قال ؟ . .

قال أن تحول انسان الى ذئب ، إنما هو نوع من أنواع المس الشيطاني . . وقال أيضاً أن في وسع أي انسان أن يتحول الى ذئب اذا مارس الطقوس السحرية الخاصة بذلك مستعيناً بإرادة قوية . . ومن بين هذه الطقوس اللجوء الى غابة منعزلة عند حلول الظلام في ليلة اكتمال القمر ، والجلوس بعد التجرد من الملابس ، داخل دائرة سحرية مرسومة على الأرض ، تتوسط دائرة سحرية أخرى أكبر منها . . وفي وسط الدائرة الصغيرة توقد نار ، يعلق فوقها إناء مملوء بالماء ، وفي داخله بعض من نبات الأفيون ، ونبات الشوكران ، ونبات البنج ، ونبات البقدونس . . وعندما يغلي الماء بما فيه ، يبدأ الانسان الراغب في التحول الى ذئب في ترديد التعويذة السحرية الخاصة بذلك ، ثم يدهن جسمه بمادة سوداء يدخل في تركيبها دم طفل ، ثم يربط حول وسطه حزاماً من جلد ذئب ، ويركع على الأرض . . وعندئذ سيأتي اليه « رجل » من الجن فيجعله على صورة ذئب . . ويأمره بالانطلاق لاثارة الفزع بين الناس ، وافتراس من يريد منهم ، أو من أغنامهم . .

ومن أشهر وقائع تحول انسان الى ذئب ، تلك الواقعة التي رواها شاب الماني اسمه « ستاب » ، واعترف فيها بأنه استطاع أن يتحول الى ذئب ، وقام بإثارة الذعر والهلع بين أهل قريته .. وكان هدفه الانتقام منهم ، لأنهم كانوا يسخرون منه بسبب مرضه بمرض عصبي جعله يبدو كالأبله !!

وفي النشرة التي صدرت عن دوائر الأمن الألماني حول هذا الحادث الغريب ، اعترف « ستاب » بأنه ظل يمارس أعماله الانتقامية من سكان القرية قرابة عشرين سنة ، نهش خلالها لحوم أطفال وماشية وأغنام ، وأدخل الرعب في قلوب كل من كانوا يسخرون منه .

وقصة أخرى يرويها أيضاً الكاتب الفرنسي « كلود سيتول » .. يقول أن بعض الفلاحين في إحدى القرى القريبة من باريس كانوا يجلسون ليلاً في بيت أحدهم ، عندما سمعوا أصواتاً غير عادية صادرة من داخل حظيرة الأغنام .. وقبل أن يذهب الجميع لاستطلاع الأمر ، حمل صاحب البيت بندقيته لشكه في وجود لص .. لكنهم فوجئوا بعد فتح باب الحظيرة بذئب يفتك بحمل صغير وسط بركة من الدم !!

وحدث هرج ومرج .. وإنطلق الذئب هارباً والرجال في أثره .. وأطلق صاحب البيت عياراً نارياً أصاب الذئب في مقتل .. وعندما أحضروا المشاعل ، اكتشفوا أن الوحش القتيل هو الشاب « جان » ، الذي وفد إلى القرية منذ ثلاث سنوات ويعمل في مزارعها بالأجر .. وكان جان عارياً تماماً . فقط يلف حول خصره حزاماً من جلد ذئب !!

وهناك روايات أخرى كثيرة تحكي وقائع مشابهة ، يرويها أشخاص رأوا تفاصيلها بأعينهم ، وأكدوا بثقة كاملة أن الذئاب التي طاردوها وقتلوها ، تحولت الى أجساد آدمية عارية .. وكان حول خصر كل جثة حزام من جلد ذئب .. أما اليدين والأسنان فكانت دائماً مخضبة بالدم ..

وإذا كان خبراء السحر يؤكدون أن في استطاعة الانسان أن يتحول

الى ذئب بمساعدة الجن ، فإن هناك العديد من العلماء الذين يؤكدون إستحالة ذلك . . ويقول هؤلاء العلماء أن الذين رأوا بأعينهم تلك الوقائع - التي وقعت جميعها في الظلام - كانوا في حقيقة الأمر تحت تأثير رعب أو خوف ، أو تحت تأثير حكايات سمعوها من قبل . . ويقولون أيضاً أن كل هذه الحكايات لها أصل ، هو الأسطورة اليونانية القديمة ، التي تقول أن رجلاً اسمه « ليكاون » - وكان شديد الايمان بالإله الاغريقي « زيوس » - إعتاد تقديم قربان كل يوم لذلك الإله . . لكن الحال ضاقت به ذات يوم ، ولم يجد ما يقدمه ، فجاء بابنه الصغير ، وذبحه ، وقدمه قرباناً له . ! . . فغضب الإله زيوس غضباً شديداً ، وحول « ليكاون » إلى ذئب عقاباً على جريمته ، ليعيش بقية عمره مكروهاً ومطارداً من سائر البشر !!

ومع أننا نتفق تماماً مع القائلين باستحالة تحول الانسان الى ذئب ، أو أي حيوان آخر ، إلا أن إصرار خبراء السحر على امكان حدوث ذلك أصبح جديراً بالاهتمام والتأمل ، خاصة بعد التفسير الجديد الذي توصل اليه عدد من الباحثين الجادين المجتهدين في هذا المجال . . فماذا يقول التفسير ؟ . .

يقول أن بعض أفراد الجن الذي يعاونون السحرة على تنفيذ مطالبهم ، يلجأون الى الخداع والحيلة حين يواجهون بطلب مستحيل التنفيذ ؤ ؤ ومن الخداع في حالة طلب أحد السحرة تحويل نفسه الى ذئب ، أو ما شابه ذلك ، لجوء الى إصابة الساحر بنوع من فقدان الوعي ، بعد أن يدخل في روعة أنه قد أجابه الى طلبه ، ويبقيه في مكان قريب ، ثم يتشكل هو في صورة ذئب ، ويقوم بأداء ما كان الساحر يريد تأديته . فاذا أفلح فانه يعود الى الساحر ويفيقه . . وإذا تصادف وواجه من يتصدى له أو يطارده ، فانه يراوغ مطارديه حتى يصل إلى المكان الذي أبقى فيه الساحر . . وعندئذ يعثر المطاردون على الساحر ، ولا يعثرون على الجن !!

ويبدو هذا التفسير منطقياً لعدة أسباب . . .

أولها أن كل حالات التحول الى ذئب تجري أثناء الليل مما يجعل

المطاردين عاجزين عن ملاحظة استبدال جسد الذئب الذي رأوه أثناء المطاردة بجسد الساحر الذي عثروا عليه . .

وثانيها أن الجن كائن مخلوق يأكل ، يشرب ، ويفكر ، ويتحدث ، ويسمع ، ويتحرك ، ويتزوج ، وينجب ، فماذا يمنع في أنه يخادع . . ويراوغ . . ويمكر ؟!

وثالثها أن الجن قادر على أن يتشكل في أي صورة يريد . . وقادر على الانتقال بسرعة خارقة . . وقادر أيضاً على القيام بأعمال مادية ملموسة رغم أنه مخلوق غير مادي . .

وفي القرآن الكريم ما يؤيد ذلك ، إذ يقول تعالى في الآية ١٧ من سورة النمل :

﴿ وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون ﴾ .

ويقول الله تعالى في الآيات ٣٨ و٣٩ و٤٠ من نفس السورة :

﴿ قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين . قال الذين عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ .

وفي الآية السادسة من سورة الجن يقول تعالى :

﴿ وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾ .

وفي الآيتين ١٢ و١٣ من سورة سبأ يقول أصدق القائلين :

﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأرسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من

عذاب السعير . يعلمون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات . . ﴾ .

« والشيــخ متــولي رجــل وقــور ، يــطلق لحيتــه عــلى سجيتهــا .. حليق الشــارب .. مربع الوجه .. يرتدي جبة سوداء فوق قفطان أبيض ، ويضع فوق رأسه طاقية سوداء ، يلف حولها شالاً من الحرير الأخضر .. وإذا نــظرت الى عينيــه الــواسعتــين الرماديتين ، لا تملك إلا أن ترخى بصرك !! » .

الشيخ متولي الذي ذاب !

المتصوفون يقولون « كما هو فوق كذلك تحت » . . ومن معانيها أن الانسان الذي هو تحت ، فيه من روح الله الذي هو فوق . . أما السحرة فيقولون أن الانسان مثل الكون ، يتألف من أسدمة . ومجرات ، ومجموعات شمسية ، ونجوم ، وكواكب . . ويسمون الكون بـ « الكون الأكبر » ، والانسان بـ « الكون الأصغر » . .

وفي السحر يرمزون للكون بنجمة سليمان السداسية ، وللانسان بالنجمة الخماسية . . والتشابه بين النجمتين يشير الى الأرتباط الوثيق بين الانسان والكون . . وهذا الارتباط جسدي ونفسي . . أو مادي ولا مادي . .

ومع أن الانسان قد يشعر أحياناً بالانفصال عن الكون ، إلا أن هذا الشعور زائف ، لأن الانسان لا يستطيع الانفصال عن الأرض ، والأرض لا يمكن أن تنفصل عن المجموعة الشمسية . . والمجموعة الشمسية مرتبطة بالمجرة التي تنتظم فيها مع مجموعات شمسية أخرى . .

والكون يتكون من ألف مليون مجرة ، تتحرك كل منها في مدارها بسرعة هائلة ، لكنها محسوبة بمنتهى الدقة . . فلا بطء ، ولا تجاوز ، ولا خلل ، وإلا وقع من الكوارث ما يعجز العقل البشري عن تصور أبعاده ونتائجه !!

وعلاقة الانسان بالكون حقيقة راسخة ، رغم أنها لا تزال من الألغاز الغامضة المعقدة . . وتأثير النجوم وحركة الكواكب لغز آخر ، ومع ذلك قامت عليه منذ أمد طويل علوم الفلك ، والتنجيم، والعرافة ، والسحر ، والغيب . . وهي علوم حقيقية من العبث إنكارها . .

ومن أشهر علماء الغيب ، إثنان عاشا في القرن السادس عشر ، هما الفيلسوف « كورنيليوس أجريبا » ، والطبيب « باراسيلساس » . . وقد أصبحا كذلك بعد أن قاما بأعمال خارقة من بينها التنبؤ بأحداث قبل وقوعها ، وشفاء كثير من الناس من علل وأمراض مستعصية كانوا يعانون

وأجريبا لم يكن فيلسوفاً فقط ، بل كان لغوياً ودارساً لمختلف علوم عصره ، ومن بينها علم الأرقام ـ أحد العلوم الرئيسية التي يقوم عليها السحر ـ الذي يقول أن لكل حرف من حروف الكلام قيمة عددية تكمن فيها قوة غامضة ذات تأثير مادي على الانسان والنبات والجماد والحيوان والرياح !!

ويقول أجريبا أن السحرة العبرانيين القدماء ، برعوا في معرفة أسرار علم الأرقام ، واستخدموه بمهارة فائقة في مختلف نواحي حياتهم ، لدرجة أن الشبان كانوا يلجأون إليهم قبل إقدامهم على الزواج ، ويعرضون عليهم أسماء الفتيات اللاتي يرغبون في الزواج منهن .. فاذا كان مجموع الأرقام المساوية لحروف اسم الفتاة متماثلاً مع مجموع أرقام حروف كلمة « عاهرة » ، أو « مسرفة » ، أو « بلهاء » أو « مستهترة » ، أو « عاقر » ، أو « خائنة » .. نصحوا الشاب بعدم الزواج منها !!

وقد كتب أجريبا بحثاً قيماً حول فلسفة الغيب ومعرفته ، أهم ما جاء فيه ، أن للخيال قوة تتحكم في انفعالات النفس الانسانية ، عندما تكون هذه الانفعالات مرتبطة بالأشياء المادية المحسوسة أو الملموسة .. ومعنى ذلك أن الخيال يلعب دوراً كبيراً في مشاعر الانسان ، ويؤثر في الأشياء التي تتجه اليها هذه المشاعر .. وهذا صحيح ..

وفي حياتنا العادية نرى أشخاصاً يصابون بالاغماء عندما يشاهدون آخرين ينزفون دماً ، أو يصابون في حادث ، أو يعانون من آلام مبرحة ..

وأحياناً يذهب الواحد منا لزيارة قريب ، أو صديق ، ألم به مرض خطير .. وبعد أن يعود الى منزله ، ويتناول طعامه ،ويخلو الى نفسه ، يخطر له أن ذلك القريب سيموت ، فيستولي عليه شعور بالانقباض ، سرعان ما يتحول الى اضطراب في الجهاز العصبي ، يؤدي الى تقلصات في بعض أعضاء جسمه ، أو رغبة في القيء ، أو مغص معوي مصحوب باسهال ، أو

الرقمية . . أو التركيبة التي تجمع بين الحروف والأرقام والأشكال المرسومة ، وتؤدي كتابتها أو تلاوتها الى جلب خير أو شر . . أو احداث تأثير سحري معين في شيء أو شخص . .

والعرب يطلقون اسم « الحجاب » على التعويذة المكتوبة على ورق أو جلد أو قماش . . ويطلقون اسم « الرقية » على التعويذة المنطوقة . . أما إسم « التحويطة » فيطلقونه على التعويذة المركبة من عبارات سحرية مكتوبة على عظام أو أنسجة حيوانية أو نباتية ، ملفوفة مع أعشاب جافة أو مسحوقة ، وقطع من الأحجار أو المعادن ذات الخواص السحرية . . وهذا كله يعلق أو يدفن في المكان الذي يرتاده الشخص المطلوب إحداث الأثر عليه ، أو ينقع في ماء يغتسل به أو يشرب . . ؟

وكلمة « طلسم » يونانية الأصل ، وتستخدم للاشارة الى كل ما هو مبهم أو غامض . . وقد انتقلت هذه الكلمة من اللغة اليونانية الى عديد من اللغات الأخرى مثل الانجليزية ، والفرنسية ، والألمانية، والايطالية ، والعربية وغيرها مع تحريف بسيط جداً في نطقها . . ومعناها في علوم السحر لا يختلف عن معنى كلمة « تعويذة » في اللغة العربية . .

أما « التميمة » فإن معناها يختلف . . وهي تطلق على أي شيء يلبسه ، أو يعلقه ، أو يحتفظ به الشخص الذي يريد وقاية نفسه من أي شر أو سوء . . والتميمة غالباً لها شكل يتفق مع الهدف الذي تستخدم من أجله . . وفي أدغال أفريقيا يعلقون على صدورهم جمجمة أفعى لوقايتهم شر الأفاعي . . أو تمثال لتمساح للوقاية من التماسيح . . وفي معظم أنحاء الدنيا يعلقون خرزة زرقاء للوقاية من الحسد . . أو خرزة على شكل عين لنفس الهدف . . أو تمثال لبومة لجلب الحظ . . أو جمجمة صغيرة على شكل جمجمة إنسان للوقاية من الأخطار المميتة . .

والتمائم إرتبطت منذ القدم بالعقائد الدينية ، واتخذت على مر السنين اشكالاً رمزية لصيقة بهذه العقائد . . . فاليهود ينقشون نجمة داود السداسية

على الميداليات وقطع الحلي التي يعلقونها حول أعناقهم أو على صدورهم . . والمسيحيون ينقشون صورة يسوع أو السيدة العذراء أو الصليب . . وعند المسلمين كلمات « الله » و« ما شاء الله » و« أية الكرسي » . . وعند البوذيين صورة « بوذا » . .

والواقع أن إيمان الانسان بقدرة التعاويذ أو الطلاسم ، وفاعليتها ، يمتد الى أعماق تاريخه الطويل . . وقد بقي هذا الايمان عبر العصور والأزمنة المتعاقبة ، واستمر حتى العصر الحديث . . ليس عند الشعوب البدائية أو المتأخرة فحسب، بل عند الشعوب المتحضرة والمتقدمة أيضاً . .

ويقول ابن خلدون في كتابة « المقدمة » ، أنه رأى في مصر والسودان والهند رجالاً يمارسون الواناً مفزعة من السحر بواسطة التعاويذ التي يرددونها بصوت خافت كالهمس . . . ففي مصر رجالاً يرددون بعض التعاويذ ثم يشيرون الى الغنم فتنشق بطونها وتسقط أمعاؤها . . وفي السودان رجال يرددون بعض التعاويذ فيسقط المطر . . وفي الهند رجال يرددون التعاويذ فتنفجر ثمار الرمان وتتطاير حباتها في الهواء . .

وهناك تعاويذ إنحدرت من عصور متناهية القدم مصاغة بلغات اندثرت . . لكن السحرة يحفظونها ويرددونها دون إدراك منهم لمعاني مفرداتها . . والغريب أن آثار هذه التعاويذ تتحقق . . وهذا يدلنا على أن دقة التلاوة، وإرادة الساحر ، وسلامة الطقس ، هي الكفيلة بإحداث الأثر السحري المطلوب . .

وفي مصر القديمة كان الكهنة يخرجون الى الخلاء ، ويترنمون بكلمات معينة فسقط المطر . . والفرس ، والبابليون ، والهنود ، والأفارقة ، كانوا يفعلون ذلك أيضاً . . وفي الجزيرة العربية كانوا يقيمون في أيام الجفاف صلاة جماعية في الخلاء يسمونها صلاة الاستسقاء ، يرددون خلالها أدعية بكلمات معينة فيسقط المطر دون وجود سحاب !!

وقد جمع الباحثون الكلمات التي كان يرددها الكهنة المصريون

والفرس ، والبابليون ، والهنود ، والأفارقة في ترانيمهم ، فاكتشفوا أنها تحدث ذبذبات معينة عند نطقها ، تشبه تماماً الذبذبات التي تحدثها الكلمات التي يرددها العرب في أدعيتهم أثناء صلاة الاستسقاء .

ويقول هؤلاء الباحثون ، أن هذه الذبذبات تسري في الجو على شكل موجات صوتية ، تحولها إرادة من يرددونها الى موجات كهربائية تؤثر في بخار الماء الموجود في الهواء ، فتجعله يتكثف ليسقط بعد ذلك على شكل زخات من المطر . .

إنه مجرد تفسير علمي . . أو هو في الحقيقة مجرد محاولة للتفسير . . ذلك أن صلاة الاستسقاء وترانيم الكهنة ، كانت تؤدي بالفعل الى سقوط مطر دون وجود أي أثر لسحاب !!

ونحن نقبل هذا التفسير ، أو على الأقل لا نرفضه ، كما تقبلنا من قبل قدرة المنوم المغناطيسي على التأثير بإرادته على عقل الوسيط ، وتنويمه ثم إخضاعه لمشيئته . . وهو حين يقوم بذلك يردد كلمات معينة لها ذبذبات معينة ، ذات أثر معين . .

واذا كان العلم الحديث لم يتوصل حتى الآن الى معرفة الآثار السحرية للكلمات المنطوقة ، فهو قد عرف الكثير في الآونة الأخيرة عن ذبذبات الصوت والضوء . . واستطاع بواسطة أجهزة اليكترونية تحويل الموجات الصوتية والضوئية الى موجات كهربائية وكهرومغناطيسية تسري عبر الأثير ، ويلتقطها بعد ذلك ليقوم باعادتها الى موجات صوتية وضوئية مرة أخرى . . وما الأرسال التليفزيوني والأذاعي الا نوعاً من هذا التحويل . .

لقد استطاع الانسان اليوم ان يسيطر على الطبيعة من حوله ويؤثر فيها بواسطة الأليكترونيات ، والترانزيستورات ، والعدسات ، وأجهزة توليد وتحويل الطاقة . . ولكنه قبل أن يتوصل الى معرفة هذه الوسائل كان يمارس أيضاً السيطرة على الطبيعة ، أو يحاول ذلك ، معتمداً على قدراته المتفوقة والقدرات الأخرى الكامنة في الأشياء المحيطة به وذلك هو السحر . .

والذين يمارسون عمل التعاويذ والطلاسم السحرية ، في سائر أنحاء العالم الآن ، ليسوا جميعاً صادقين . . قليل جداً منهم الذي يستطيع ، أما أغلبهم فمن الذين يستغلون حاجة من أعيتهم المتاعب ، فيبيعون لهم الوهم ، معتمدين على جهل الناس بفنون السحر الغامضة المعقدة . . .

لكن في طنطا رجل جاوز الخامسة والخمسين من العمر ، طويل ، نحيف ، يسمونه الشيخ متولي . . أما اسمه الحقيقي فلا أحد يعرفه . .

والشيخ متولي رجل وقور ، يطلق لحيته على سجيتها ، حليق الشارب . . يرتدي جبة سوداء فوق قفطان أبيض ، ويضع فوق رأسه طاقية سوداء ، يلف حولها شالاً من الحرير الأخضر . . . وإذا نظرت الى عينيه الواسعتين الرماديتين، لا تملك الا أن ترخي بصرك !!

ذهبت اليه في مسكنه الذي يقع في إحدى الحارات القريبة من مسجد السيد البدوي . . شقة في الدور الثاني ، بابها من ضلفتين في أعلى كل منهما شراعة من الزجاج المنقوش الذي يخفي ما خلفه ، ومركب عليها شبكة من الحديد المزخرف المدهون بطلاء أبيض . .

ضغطت على جرس الباب . . (وبعد حوالي نصف الدقيقة فتح لي بنفسه . . ودون أن يسألني عن حاجتي دعاني الى الدخول ، فدخلت ، ثم الى الجلوس على إحدى الأرائك البلدية الثلاث الموجودة في الصالة ، فجلست . . وجلس بجانبي . .

أثاث متواضع ، لكنه نظيف . . وعلى الأرض سجادة يغلب على نقوشها اللون الأزرق ، ويتوسط الأرائك الثلاث ترابيزة خشبية تعلوها رخامة عليها مفرش أبيض مشغول بنقوش ذهبية . . وعلى الحائط المواجه لباب الشقة برواز مذهب حول لوح من الزجاج الأسود مكتوب عليه في شكل زخرفي جميل . . « الله جل جلاله . . » .

قال : أهلاً بك . .
قلت : أهلاً بك . .
قال : تريد أن تعرف عني . . ولا تريد أن تعرف مني . .

ضحكت دون ان تنفرج شفتاي ، ثم قلت :

ـ الحقيقة أن ما سمعته عنك أثار فضولي ، فجئت بغير موعد بعد أن علمت باسمك وعنوانك من حديث جرى بين اثنين من أصدقائي ، ولم أقل لأي منهما أنني آت اليك . .

قال : ماذا تريد أن تعرف ؟
قلت : ما تجود به علي . .
قال : أنا لا أفعل الا ما أرغب فيه للناس ، ولا آخذ منهم شيئاً . .
قلت : علمت ذلك قبل أن أجيء اليك . .
قال : تريد أن تعرف كيف ؟ . .
قلت : نعم . .
قال : يلزمك وقت طويل حتى تدرك ، ثم وقت طويل حتى تستوعب . . ثم وقت طويل حتى تؤمن . . ولذلك لن أقول لك شيئاً . . بل سأفعل من أجلك شيئاً لم تأت من أجله . .

وقبل أن أسأله عما سيفعله ، قال :

ـ في ذراعك اليسرى روماتيزم مزمن . . وينتابك صداع في مؤخرة رأسك من آن لآخر . . الروماتيزم لا حيلة لي فيه ، أما الصداع فلن ينتابك بعد هذه اللمسة . .

ومسح بيده على مؤخرة رأسي وهو يتلو كلمات لم أتبينها . . ثم نهض من جانبي وقال :

ـ اقتربت صلاة الظهر . . وأستأذنك في آدائها في مسجد السيد البدوي . .

قلت : هل تمانع في أن أذهب معك ؟

قال : ولكنك لا تصلي . .
قلت : سأصلي بصحبتك . . فأين استطيع الوضوء ؟ . .

وقادني الى الحمام فتوضأت . . ثم غادرنا البيت . . وسرنا حتى خرجنا من الحارة الى الشارع ، ثم الى الميدان ، ثم الى الشارع المؤدي الى المسجد . . وعندما اجتزنا الباب الخارجي وسط جموع الداخلين ، أمسكت بطرف جبته حتى لا أفتقده ، ولكن أتاني صوت صاحب الجبة يسألني :

ـ هل من خدمة أؤديها لك . .

ونظرت اليه . . لم يكن هو الشيخ متولي . . اعتذرت للرجل ، وتلفت يميناً ويساراً . . وإلى الامام والى الخلف فلم أجد للشيخ متولي أي أثر . . ولم يكن بدا من أداء الصلاة بمفردي . . وبعد الانتهاء منها عاودت البحث في أرجاء المسجد الفسيح ولكن دون جدوى . .

وبعد نحو ساعة من الزمن ذهبت الى بيته ،وضغطت على الجرس وانتظرت ، فانفتح وأطلت منه فتاة في حوالي الثانية عشرة من العمر . . ولما سألتها عن الشيخ متولي ارتسمت الدهشة على قسمات وجهها وأغلقت الباب . . ثم انفتح الباب مرة أخرى فإذا بي أمام رجل قصير بدين ، يرتدي جلباباً أبيض ، ويضع فوق رأسه طاقية بيضاء ، وسألني بإرتياب :

ـ من تريد ؟ . .

قلت وأنا أسترق نظرة من فوق رأسه فرأيت البرواز المذهب المحيط بكلمات « الله جل جلاله » معلقاً في مكانه على الحائط المقابل :

ـ أريد الشيخ متولي . .

ورمقني الرجل بنظرة وقال :

ـ لا يوجد أحد عندنا بهذا الاسم !!

دهشت . . ثم تلعثمت . . ثم اعتذرت . . ثم نزلت على السلم ، ونظرات الرجل المتشككة تخرق ظهري . . وعندما وصلت الى الحارة تلفت حولي فأكد لي كل شيء فيها أنني لم أخطىء . . وسألت بقالاً يواجه دكانه

باب البيت عن الشيخ متولي ، فقال لي دون اكتراث أن لا أحد في الحارة بهذا الاسم . . فقلت له :

ـ كيف ؟!

ونظر إليَّ البقال بدهشة . . لكني انصرفت ترافقني حيرتي ويستبد بي ذهولي . . وعلى رصيف المحطة وقفت تائهاً أنتظر القطار القادم من الاسكندرية ليقلني إلى القاهرة ، أستعيد تفاصيل لقائي بالشيخ متولي الذي ذاب ، وأسترجع الحوار الذي دار بيننا . . وشعرت بيد تربت على كتفي لتخرجني من أفكاري ، فالتفت خلفي فاذا بالشيخ متولي بشحمه ولحمه ، وقفطانه الأبيض وجبته السوداء وشال عمامته الأخضر . . فقلت له :

ـ ماذا فعلت بي ؟

وقال باسماً :

ـ لقد أتيت الى طنطا تبحث عني في غير عنواني . . فانتظرتك . .

ألا أستحق الشكر على ذلك ؟

قلت له والدهشة تستبد بي :

ـ بيت من اذن ذلك الذي استقبلتني فيه ؟

قال والابتسامة لا تزال على وجهه النحيف :

ـ بيت الرجل البدين القصير ، الذي لا يعرف عني شيئاً !!

قلت وأنا لا أزال غارقاً في دهشتي :

ـ كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟

قال بهدوء :

ـ هذا فوق مستوى إدراكك . . ألم أقل لك أنه يلزمك وقت طويل حتى تدرك ، ثم وقت طويل حتى تستوعب ؟!

ونظرت الى عيني الشيخ متولي الواسعتين الرماديتين ، فانتابني احساس بالخوف . . لكنه ربت على كتفي مرة أخرى وردد عنوانه الصحيح على مسمعي . . ثم قال :

ـ لقد وصل قطارك . . وستجدني في عنواني الصحيح إذا أردت لقائي مرة أخرى . .

فصافحته وصعدت الى القطار . . وعندما وصلت الى القاهرة ذهبت الى صديقي وسألته عن عنوان الشيخ متولي ، فذكر لي العنوان الذي أخبرني به الشيخ على رصيف محطة طنطا . . . أما الصداع الذي كان ينتابني في مؤخرة رأسي ، فلم يعاودني مرة أخرى . . وقد مضى على ذلك الحادث الغريب قرابة العامين !!

والذي فعله الشيخ متولي يجعلنا في مواجهة عديد من الأسئلة . . ماذا فعل بأصحاب الشقة ؟ . . هل أخرجهم منها . . أم أخفاهم طوال فترة وجوده معي فيها ؟ . . كيف قضى على الصداع الذي كان ينتابني ؟ وكيف عرف أنني أعاني من روماتيزم مزمن في ذراعي اليسرى ؟ . . وكيف عرف أنني ذاهب إليه ؟ . . وكيف عرف أنني سأبحث عنه في عنوان خطأ ؟!!

والواقع أن الشيخ متولي نموذج متميز من السحرة . . أنه لا يستخدم الكلمات والأرقام ذات القدرة فحسب ، بل يستخدم قدرات متفوقة يمتلكها . . منها القدرة على التأثير الارادي في الآخرين . . وهي قدرة موجودة لدى كل منا ، ولكن بدرجات تتفاوت في الشدة من شخص الى آخر . . ونحن نستخدمها أحياناً دون وعي منا . .

وأبسط أشكال القدرة على التأثير الارادي في الآخرين يتجلى في لجوء بعضنا أحياناً الى التثاؤب أمام طفل لينام ، فاذا بالطفل يتثاءب وينام بالفعل . . وأكثر أشكالها تعقيداً هو التنويم المغناطيسي ، أي سلب الآخرين وعيهم وإخضاعهم لارادة القائم بالتنويم . .

ولعل الشيخ متولي قد لجأ الى ما يشبه التنويم المغناطيسي مع أفراد الأسرة التي استقبلني في شقتها . . لقد كان حريصاً على عدم إطالة فترة وجودي في الشقة . . وعندما طلبت منه السماح لي بالوضوء تردد قبل أن يوافق على مضض . . إنني لم أر سوى الصالة والحمام . . ولعل أفراد الأسرة

كانوا تحت تأثير ما يشبه التنويم المغناطيسي في إحدى الغرف المغلقة . .

أما مسألة الصداع الذي لم يعاودني فلها هي الأخرى تفسيران أولها أن تكون الكلمات التي رددها وهو يمسح براحة يده على مؤخرة رأسي ، قد تحولت فور نطقها الى موجات صوتية ذات ذبذبات أثرت على مركز الصداع فقضت عليه . . وثانيها أن يكون لراحة يده تأثير شديد الشبه بتأثير المغناطيس القوي في قطعة من الحديد . . ومعنى ذلك أن لمسة الشيخ لمؤخرة رأسي ، قد أحدثت اهتزازاً معيناً في خلايا المخ ، أدى الى توقف سبب الصداع أو زواله !!

قدرة أخرى يمتلكها الشيخ متولي يسميها العلماء « التواصل عن بعد » . . أو « البصيرة الثانية » . . أو « الحدس » أو « التليباثي » . . وفي وسع من يمتلك هذه القدرة أن يلتقط أفكار الآخرين حين يشاء . . كل المطلوب منه تركيز فكره على ما يريد معرفته فقط ، وألا يفكر في أي شيء آخر . . عندئذ يتحول الى ما يشبه جهاز اللاسلكي الذي تم ضبط مؤشره على موجة معينة . .

إن الانسان منا ـ أي إنسان ـ حين يفكر في أي شيء آخر . . عندئذ يتحول الى ما يشبه جهاز اللاسلكي الذي تم ضبط مؤشره على موجة معينة . .

إن الانسان منا ـ أي إنسان ـ حين يفكر في شيء معين ، فإن منطقة ما في عقله ـ لم يتوصل العلم الى تحديدها حتى الآن ـ تفرز ذبذبات معينة ، وترسلها على موجة معينة خاصة بالشيء الذي يفكر فيه . . فاذا كان ذلك الشيء جماداً أو نباتاً ، فإن الذبذبات ترتد على نفس الموجة ، الى العقل الذي أرسلها ليقوم بترجمتها وتحويلها إلى صورة ذهنية . . وهذا هو التصور . .

وإذا كان الشيء الذي نفكر فيه انساناً فإن عقل هذا الانسان يستقبل الذبذبات الصادرة اليه ويقوم بترجمتها فيشعر بمصدرها ويحدده . . ثم يرد عليه بذبذبات يرسلها على نفس الموجة . . وهذا ما يجعل شخصاً ما ، يخطر

على بال شخص آخر بإلحاح في لحظة ما . . فاذا تقابلا بعد ذلك وقال الأول . . في يوم كذا كنت أفكر فيك . . فإن الثاني سيقول على الفور . . وأنت أيضاً كنت في بالي في نفس اليوم . ويفسر الاثنان ما وقع بأن القلوب كانت عند بعضها . .

ويريحهما هذا التفسير !!

لكن العلماء الذين استهواهم البحث فيما تنطوي عليه النفس الانسانية من قدرات متفوقة يقولون أن القدرة على التواصل على بعد . أو « التليباثي » قد تتوهج عند أحد الناس فيصبح شديد الحساسية الى درجة تمكنه من التقاط الأفكار التي تدور عنه في عقول الآخرين ، مهما كانت المسافة التي تفصله عن أولئك الآخرين . . والشيخ متولي من هذا النوع . .

لقد فكرت فيه وأنا في القاهرة استمع الى حديث يدور عنه بين اثنين من الأصدقاء . . وقررت أن أذهب اليه في طنطا لأعرف المزيد عنه وأختبره بنفسي . . وفي ذات اللحظة استقبل الشيخ كل ما دار في رأسي بوضوح كامل . . والدليل على ذلك أنه انتظرني في العنوان الخطأ الذي تصورت أنه يقيم فيه !!

أما عندما جلست إلى جواره فقد كان بغير شك أكثر قدرة على معرفة كل ما يدور في فكري . . . ولعلني فكرت وقتئذ في الروماتيزم والصداع . . ولعلني أيضاً تذكرت أنني لا أصلي ، عندما طلبت منه مرافقته للصلاة بصحبته !!

والقدرة على التواصل على بعد أو « التليباثي » من القدرات الانسانية المتفوقة التي اخضعها الباحثون ، في أوربا والولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتي ، للتجارب المعملية قبل أن يعترفوا بامتلاك بعض الأشخاص لها . . بل أن بعض هؤلاء الباحثين اكتشف هذه القدرة عند بعض الناس بدرجات متفاوتة . . وعندما ساعدوهم على تنشيطها وتدريبها ، أصبح في وسع هؤلاء الناس استخدامها بنجاح آثار الدهشة . . وفي حالات قليلة كان في وسع من

يمتلكون هذه القدرة رؤية افكار الآخرين متجسدة أمام أعينه رغم انها لم تـكـن سـوى مجـرد أفـكـار !

وهناك تجربة واقعية تعرض لها الباحث « آرثر جريمبل » أثناء زيارته لمجموعة جزر « جيلبرت » في شرق آسيا ، حيث كان يقوم بجمع مادة كتابه « نماذج من الجزر » . . لقد آثر إهتمامه إيمان سكان تلك الجزر ، بأن روح أي ميت تتوجه بعد مغادرتها جسده الى موقع معين يقع في شمال جزيرة « ميكين مينج » لتنتظر بعض الوقت قبل أن تواصل رحلتها الى الجنة أو الى الجحيم . . وهم لذلك يلجأون الى الساحر فيقوم بأداء طقوسه ، وإطلاق بخوره حول جثمان الميت ، لمساعدة روحه على معرفة الطريق الى الجنة . . . ولأن الروح تعاني اثناء انتظارها في هذا المكان قلقاً وخوفاً من أن تعترضها الشياطين فتحول بينها وبين الوصول الى الفردوس المنشود ، فانهم يسمون المكان أرض الخوف .

ويروي « آثر جريمبل » تفاصيل تجربته المثيرة فيقول :

رفض حاكم جزيرة « ميكين مينج » مرافقتي الى موقع الخوف ، وأكد لي أن الرحلة لن تكون ممتعة على الاطلاق . . إلا أن فضول الباحث كان قد استبد بي فأكدت له أنني سأكون قادراً على تحمل المشقة وسأكون مسئولاً عن أي ضرر يصيبني . . وعندما لوحت له ببعض المال قبل مرافقتي على مضض ، وحدد لي الساعة الخامسة بعد الظهر موعداً نلتقي فيه عند طرف القرية الشمالي لنبدأ الرحلة سيراً على الأقدام . .

كان الطريق بين الصخور والأحجار طويلاً وعرا موحشاً . . وبعد حوالي نصف الساعة وصلنا الى شاطىء البحر ، ثم انحرفنا يساراً بمحاذاته فوق صخور مدببة الأطراف كأنها أسنان المسامير . . وبعد ساعة أخرى توقف الحاكم الذي كان يتقدمني أمام ربوة صخرية متوحشة تحيط بها الرمال الناعمة من ثلاث جوانب . . أما الجانب الرابع فكان ماء البحر . .

أدركت أننا بلغنا موقع الخوف فدارت عيناي تتأمل كل شيء ، لكن لم

يكن هناك سوى الربوة والرمال وصفحة ماء البحر ترتعش وهي تعكس أشعة الشمس الدامية التي انحدرت في الأفق توشك ان تغيب ، أما السكون العميق الذي خيم على المكان فلا يحاكيه سوى سكون الموت . .

ودون أن ينطق الحاكم كلمة استدار إيذاناً ببدء رحلة العودة فسرت خلفه لا تفصلني عنه سوى خطوات ، أفكر في الجنة والجحيم وأرواح الموتى وطقوس السحرة وايمان أهل هذه الجزر بكل ذلك . . حتى اذا بلغنا النقطة التي ينحرف عندها الطريق المحاذي للشاطىء يميناً باتجاه عمق الجزيرة ، رأيت رجلاً قصيراً بديناً يرتدي جلباباً أبيض ، يسير باتجاهنا . . وعندما إقترب أكثر لاحظت أنه يعاني من عرج في مشيته ، وشاهدت جرحاً غائراً في خده الأيمن يمتد من عند الفك الأسفل حتى أعلى الرأس . .

مر الرجل بجانبي فحييته ، لكنه لم يرد ، بل لم يكلف نفسه مجرد الالتفات نحوي ، وظل يحث الخطى بإصرار كأنه في سباق يريد بلوغ نهايته . . ثم توقف الحاكم ناظراً نحوي يحثني على السير قبل أن يدركنا الظلام ، فسألته عما إذا كانت توجد منطقة آهلة بالناس بالقرب من أرض الخوف ، فأبدى دهشته وقال :

ـ لا !!

قلت :

ـ اذن الى أين يذهب هذا الرجل ؟ . .

قال وقد ازدادت دهشته :

ـ أي رجل ؟ . .

قلت :

ـ هذا الأعرج البدين القصير . . ألم تره ؟!

فنظر الحاكم إليَّ بإنكار ثم قال :

ـ لم أر أحداً ؟

قلت وأنا التفت الى الخلف مشيراً الى الرجل :

ـ هذا هو . . .

لكن الأعرج كان قد اختفى كما لو أنه تبخر أو ابتلعته الأرض ؟!

قلت بدهشة ممزوجة بالخوف :

ـ منذ لحظة مر بنا . . وحييته فلم يرد . . و. . .

وقبل أن أكمل أسلم الحاكم ساقيه للريح ، فعدوت خلفه بكل قواي ، حتى أدركته عند مشارف القرية وأنا من شدة الإعياء والتعب الهث . . ثم سألته :

ـ لماذا تعدو . . ؟ ما الذي أخافك ؟.

قال :

ـ لا أحد يذهب الى أرض الخوف سوى أرواح الموتى . . وقد أخطأت خطأً عظيماً حين وافقت على الذهاب معك . .

قلت وأنا أحاول أن أعيد إليه الطمأنينة :

ـ ولكني رأيت الرجل بشحمه ولحمهَ . . إنه في حوالي الخمسين من العمر . . في خده الأيمن جرح غائر . . يرتدي جلباباً أبيض ، ويربط حول وسطه حزاماً من الجلد الأسود . . أصلع الرأس . . حافي القدمين . .

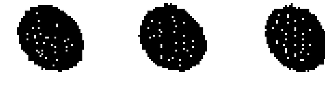
والتف حولنا بعض الأفراد من سكان القرية ، الذين هالهم منظر الحاكم جالساً على الأرض يلهث من التعب والخوف . . فقال أحدهم على الفور :

ـ إنه « تابيريا » . . وقد مات منذ قليل اثر سقوطه من فوق جواده على حجر شج وجهه !!

وذهبنا جميعاً الى منزل « تابيريا » . . كان جثمانه مسجى على فراش وسط الغرفة التي ازدحمت بأفراد أسرته ، بينما الساحر يطلق بخوره ويؤدي طقوسه حول الجثمان . .

كان هو نفس الشخص الذي رأيته . . بجلبابه الأبيض ، وحزامه

الأسـود ، وجرحـه الغائـر الممتـد من عنـد الفـك الأسفـل حتى أعـلى الرأس !! » .



انتهت حكاية آرثر جريمبل . . وهو بطبيعة الحال لم يكن يؤمن ، مثل سكان جزر جيلبرت ، بأن روح الميت تقطع تلك الرحلة الى أقصى شمال جزيرة « ميكين مينج » عقب خروجها من الجسد . . إلا أنه عندما رأى روح « تابيريا » الأعلاج بالقرب من أرض الخوف ، كان يفكر بتركيز شديد فيما يؤمن به أهل الجزر . . ومن المحتمل أن تكون قدرة « التواصل عن بعد » قد توهجت في داخله فجأة فأصبح قادراً على رؤية ما يفكر فيه أقارب « تابيريا » ، الذين كانوا قد تجمعوا حول جثته في نفس تلك اللحظة بعد سقوطه من فوق جواده . . ولا شك في أنهم كانوا يفكرون في الرحلة التي سوف تقطعها روحه إلى أرض الخوف قبل أن تبدأ مسيرتها إلى الجنة !!

لقد استطاع آرثر جريمبل أن يستخدم قدرة التواصل عن بعد للحـظات خاطفة ، ولم تكن له إرادة في ذلك . . بدليل أنه لم يتمكن بعد تلك اللحظات من استخدامها مرة أخرى . . ولكن هناك غيره يستطيعون حين يشاءون ، لأنهم دربوا هذه القدرة الكامنـة في أعماقهم وأخضعـوها لإرادتهم . . ونحن نصف هؤلاء بأنهم سحرة ، أو عرافين . . وعـلى الصفحات التـالية نعـرض لنماذج منهم . .

« وعندما لم يـرد عليهم حين
دقـوا بابـه ، فتحوا البـاب وفتشوا
عنه في كل انحـاء بيته . . ليجـدوه
ميتـاً على الأرض في غـرفـة نـومـه
بالقرب من سريره !! »

وعرف انه سيموت
بعد عشرين سنة !!

شاعر انجليزي اسمه « أليستر كراولي » ، رقيق الحس ، خصب الخيال . . كان في بداية شبابه متديناً مثل أبيه القس الورع في إحدى كنائس طائفة الانجليكان ، إلا أن السحر استهواه فمارسه حتى غرق فيه . . وحقق كساحر شهرة واسعة فاقت شهرته كشاعر ، وأصبح معروفاً في معظم أنحاء أوربا . . لكن أقاويل مختلفة شاعت حوله . . منها أنه أعاد إقامة حفلات القداس الأسود . . وأنه كان يمارس طقوساً جنسية عربيدة . . وأنه أوقع عدداً كبيراً من النساء الفاضلات ، وأشركهن في ممارساته السحرية الداعرة ، وأنه كون جماعة من الفتيات الجميلات أطلق عليهن اسم « النساء القرمزيات » ، بعد أن طبع على مواضع حساسة من أجسادهن علامة سحرية مميزة ، وخصصهن للممارسات الجنسية الشاذة بشكل جماعي ، في حفلات يكون هو الرجل الوحيد فيها . . وقيل عنه أيضاً أنه يأكل لحوم البشر . . مما هيج الرأي العام الانجليزي ضده ، وجعل الصحف تصفه بأنه « ملك الدعارة والفجور » و . . « أقذر أوغاد الدنيا على الاطلاق » . . و . . « الوحش أكل البشر » . . فألقت سلطات البوليس القبض عليه ، وقدمته الى محكمة قضت بنفيه في عام ١٩٢٦ الى جزيرة صقلية . . ويقال إنه قضى بقية حياته في فقر مدقع ، ويقال أيضاً أنه أقام في منفاه معبداً لممارسة طقوسه ، وجمع حوله عدداً كبيراً من التلاميذ ، وأن بوليس صقلية تصدى له وطرده من الجزيرة ، إلا أن تلاميذه من الرجال والنساء ظلوا يترددون على المعبد لممارسة طقوسه السحرية . .

ونحن لم نجد فيما كتب عن « كراولي » بعد ذلك ما ينفي عنه هذه الاتهامات البشعة . . إلا أن فريقاً من الدارسين لتاريخ السحر والسحرة ، أجمع على أنه كان في البداية باحثاً مخلصاً عن الحقيقة فيما وراء العالم المادي المحسوس ، ثم شغف بالجوانب الروحية فسافر الى الهند والتبت حيث درس علوم « الغيب » وفلسفته ، وفنون السحر وأسراره الغامضة . .

ولعل « كراولي » اعتقد أن انغماس الانسان في الجنس يعيد اليه حيوانيته ، ويوقظ فيه فطرته ، فيستعيد بذلك قدراته وملكاته البدائية ، التي

كان يعتمد عليها في حياته الأولى مع الوحوش والضواري ، في الكهوف ، والمغارات ، والبراري ، والغابات ، وكانت تمكنه من الرؤية اعمق ، والسمع أبعد ، والاحساس بالخطر قبل وقوعه ، واكتشاف الأفاعي المختبئة في جحورها أو مكامنها ، بحاسة الشم القوية . . تلك القدرات التي تراجعت ، أو خمدت ، أو ضمرت ، بعد أن أهملها حين عرف الانسان الزراعة والصناعة ، وأصبح متحضراً يعيش في القرية والمدينة . .

واستناداً الى هذا الافتراض يمكن القول أن الانغماس في الجنس لم يكن في حد ذاته غاية « كراولي » ، بقدر ما كان وسيلته لإيقاظ قدراته المتفوقة الكامنة في أعماق نفسه ، والتي مكنته بعد إيقاظها وتدريبها من أن يصبح ساحراً مقتدراً ، عارفاً بخفايا الماضي والمستقبل . . ولو أن أعداءه ، الذين أخافهم سحره ، قدموا دليلاً مادياً واحداً الى المحكمة على أنه من أكلة لحوم البشر ، لما تردد القاضي في إدانته بتهمة القتل ، وأصدر الحكم بإعدامه . . ولما اضطر الى الاكتفاء بنفيه ارضاء للرأي العام الذي هيجته بشاعة الشائعات التي أطلقها أعداؤه حوله ، فضلاً عن أن المحكمة لم تصدر أية أحكام ضد أي من أعوانه . .

لقد كان « كراولي » ساحراً وعرافاً ، عاش ومات في النصف الأول من القرن العشرين . . وكان متفوقاً كغيره من العرافين الذين عاشوا من قبله ومن بعده . .

والسؤال المهم الذي نطرحه الآن هو : هل يعرف الساحر الغيب ؟ . .

قبل الاجابة على هذا السؤال ، يتحتم علينا أن نجيب على سؤال آخر ! . . ما هو الغيب ؟ هل هو ما سيحدث غداً ؟ . . أم هو ما يحدث الآن بعيداً عن نطاق حواسنا ولا نعرف عنه شيئاً ؟ . . أم هو غير هذا وذاك ؟!

لقد أحرز الإنسان الحديث تقدماً هائلاً في مجالات العلم المختلفة ، وأصبح يملك من الأجهزة الدقيقة ما يتيح له معرفة مواعيد سقوط الأمطار ، وهبوب العواصف والأعاصير قبل حدوثها . . وأن يرى ويسمع ما يحدث على

مسافات هائلة . . وأن يرصد حركة النجوم ، ويتنبأ بالخسوف والكسوف والزلازل قبل وقوعها . . وأن يسجل بالصوت والصورة ما يجري على كواكب أخرى مثل القمر والمريخ والزهرة !!

وإذا كانت الأجهزة المعقدة التي صنعها الانسان مثل الرادار ، والأقمار الصناعية ، والعقول الالكترونية ، تستطيع أن ترى وتستمع ، وتختزن وتحلل كل هذا القدر من المعلومات التي تصل اليها ، فإن العقل البشري قادر على ما هو أكثر من ذلك كله . . لقد أعلن العلماء أن العلم الحديث لم يكتشف سوى القليل جداً من الوظائف التي يقوم المخ البشري ، ولا يزال يجهل مئات الوظائف الأخرى التي يستطيع ذلك المخ ، الذي لا يزيد حجمه على حجم رمانة . القيام بها !!. وقالوا أيضاً إنه لو أمكن صنع عقل الكتروني يقوم بالوظائف المعروفة للعقل البشري ، لكان حجم ذلك العقل الالكتروني اكبر من حجم الكرة الأرضية ثلاث مرات !!

وعلماء النفس يقسمون العقل الانساني الى قسمين . . الأول يسمونه « العقل الواعي » . . أو « الوعي » . . أو « الشعور » . . والثاني يسمونه « العقل الباطن » . . أو « اللاوعي » . . أو « اللاشعور » . . فهو يدرك ، ويفكر ، ويتصور ، ويميز ، ويتذكر ، ويستوعب ، ويتفهم ، ويسيطر ، ويقرر بواسطته . . ولكن الحواس الخمس العادية ـ السمع والبصر والذوق والشم واللمس ـ تتحكم في نوع وقدر المعلومات التي تصل اليه . .

أما العقل الباطن فهو شيء مختلف تماماً . . وهو وإن كان يقوم بنفس الوظائف التي يقوم بها العقل الواعي ، إلا أنه لا يعتمد في الحصول على المعلومات على الحواس الخمس العادية فقط . . إنه يتعامل بحواس أخرى ذات قدرات متفوقة ، وهو قادر أيضاً على التقاط كل ما تصادفه أو تأتي به هذه الحواس . . أما مجال نشاطه فهو الكون كله « ! » . الكون بكل ما فيه . . حيث لا زمن . . حيث الماضي والمستقبل على خط واحد متصل . . حيث البداية ، والنهاية ، والوسط ، وفوق ، وتحت ، وداخل ، وخارج ، وحول ، يمكن التجول بينها ولمسها !!

فالعقل الباطن يتلقى المعلومات التي تصل اليه على شكل رموز غامضة ، ويقوم بتخزينها كما هي . . وهو يمتلك قدرات شديدة التفوق لتحليل هذه الرموز وإدراك معانيها .

وبعض الناس ـ في كل زمان ومكان ـ كان في وسعهم السيطرة بعقلهم الواعى على حواسهم المتفوقة ، مثل الحدس ، والبصيرة الثانية ، والحواس السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة . . ومئات أخرى من الحواس التي يتعامل بها الانسان مع العالم اللامادي غير المحسوس الذي يتخلل العالم المادي ويحيط به . . وهذه الحواس غير العادية هي التي تجعل العقل الانساني يتفوق على الرادار ، والأقمار الصناعية ، والعقول الألكترونية ، وسائر الأجهزة التي يتوصل الانسان الى صنعها فيما بعد لاستخدامها في مجالات الرؤية والرصد والفحص والقياس والحساب . .

ويقول العالم والطبيب النفسي السويسري الأصل « كارل جوستاف يونج » ، الذي كان تلميذاً ثم زميلاً للعالم المعروف « فرويد » ، أن العقل الباطن لأي إنسان ، يعرف الاجابة على أي سؤال . . لكن الانسان لا يستطيع ادراك هذه الاجابة أو الافصاح عنها إلا إذا انتقلت من عقله الباطن الى عقله الواعي . . وهذا لا يحدث الا بالمصادفة . .

وهذا الافتراض الذي توصل اليه « يونج » ـ أشهر العلماء الذين اهتموا بدراسة العقل الباطن ونشاطه ـ أصبح فيما بعد الأساس الذي يقوم عليه تفسير كل أعمال التنبؤ والعرافة . . إلا أن الباحثين المعاصرين ، استبعدوا شرط المصادفة ، وأجمعوا على أن الإنسان يستطيع تدريب عقله الواعي على التقاط رموز المعلومات من عقله الباطن ، بشرط أن يدرب نفسه أولاً على الانفصال عن الواقع المادي المحيط به ، أو الإنسلاخ عما حوله . . وعندئذ يصبح قادراً على الغوص في أعماق ذاته المظلمة لمعرفة ما يختزن فيها . . أو بعبارة أخرى يكون قادراً على القيام بعملية « التأمل الداخلي » . . التي يكون العقل الواعي خلالها قادراً على الاتصال بالعقل الباطن . .

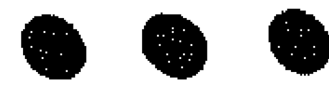
وبعض الناس من ذوي القدرات المتفوقة في مقدورهم القيام بعملية التأمل الداخلي . . والبعض الآخر يستعين بشيء مادي للقيام بذلك . . ومن هذه الأشياء المادية ، النقوش المترسبة على جدران فنجان القهوة . . أو أوراق « الكوتشينة » . . أو الأصداف البحرية (الودع) . . أو الرسوم ذات الخطوط والأشكال المختلفة . . ولكن هذه الأشياء جميعها لا تنبىء بشيء على الاطلاق . . إنها مجرد وسائل يقوم الشخص بتركيز فكره فيها ، فيتمكن من الانفصال عن الواقع المادي المحيط به ، ويصبح عقله الواعي قادراً على الاتصال بعقله الباطن ، فيعرف الاجابة على أي سؤال يعن له ، حتى لو كان هذا السؤال متعلقاً بأمر يقع خارج نطاق الحواس العادية . . وأي إنسان يستطيع القيام بذلك في وسعنا أن نسميه عرافاً . .

نعود مرة أخرى الى السؤال الذي طرحناه منذ قليل . . ما هو « الغيب » ؟

« الغيب » . . شيء آخر غير « المجهول » ، الذي حدث ، أو يحدث الآن ، خارج نطاق حواسنا العادية ، وتستطيع حواسنا المتفوقة ، أو أجهزة الرصد والاستشعار الألكترونية تسجيله وتحليله . .

و« الغيب » . . شيء آخر غير « المجهول » ، الذي لا نعرفه الآن وسوف نعرف تفاصيله في المستقبل . .

« « الغيب » . . شيء آخر غير « المجهول » الذي تنطوي عليه صدور غيرنا وسرائرهم .



ولكي نفرق بين « الغيب » و« المجهول » بوضوح أكثر ، نسوق هذه الأمثلة:

مثلاً :

أستاذ في الجامعة ، كتب أسئلة الامتحان على ورقة ، قبل موعد اجراء

الامتحان بشهر . . ووضع الورقة داخل مظروف ، وأغلقه ، ثم أودعه في أحد أدراج مكتبه . .

الأستاذ وحده يعرف مضمون الأسئلة ، ويعرف أيضاً إذا كان الامتحان صعباً أو سهلاً . . أمل الطلبة فلن يعرفوا ذلك الا يوم انعقاد الامتحان بعد شهر كامل . . وإلى أن ينقضي هذا الشهر سيظل الامتحان « مجهولاً » بالنسبة لهم ، وليس « غيباً » لأن الأستاذ يعرفه . .

ومثال :

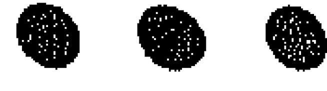
سجل أحد أجهزة الرصد الموجودة في أحد المراصد البريطانية ، هبوب اعصار في عرض المحيط الأطلسي ، وحدد سرعته واتجاهه . . وبعد عملية حسابية بسيطة قام باجرائها الموظف الموجود في المرصد ، عرف أن هذا الاعصار يتجه نحو الشاطىء الشمالي لبريطانيا ، وأنه سيصل اليه بعد ثلاثة أيام ، وأنه سيكون على درجة معينة من الشدة ، تجعل مياه المحيط ترتفع ثمانية أمتار ، وتندفع لتغرق مناطق كذا وكذا ، وأن الرياح سوف تقتلع الأشجار وأعمدة التليفونات والكهرباء . . وتدمر المنازل ، وتتلف المحاصيل الزراعية . .

لو أن جهاز الرصد هذا لم يكن موجوداً ، لبقي الاعصار « مجهولاً » بالنسبة للبريطانيين ، حتى يصل اليهم بعد ثلاثة أيام ، ولا نقول بقي « غيباً » . . لأن هذا الجهاز رصده وحدد شدته وموعده . .

ومثال :

شخص أصيب بجلطة في المخ ، ترتب عليها شلل نصفي ،وفقدان القدرة على الكلام . . وعندما نقله أهله الى المستشفى وفحصه الأطباء، قالوا لهم أن لا أمل في الشفاء ، وأنه سيموت خلال يومين أو ثلاثة على الأكثر . . فأخفوا الأمر على مريضهم ، وجلسوا حوله وهم يرسمون على وجوههم ما يطمئنه ، وأخبروه أن الأطباء قالوا أنه سيشفى . .

إن موعد موت هذا المريض « مجهول » بالنسبة له ، معلوم بالنسبة لذويه . . . ولو أنه كان قادراً على النفاذ ببصيرته الى سرائرهم لعرف هو الآخ ، لكنه لم يكن يملك تلك القدرة . .



واذا عدنا الى تأمل الأمثلة السابقة سنجد في المثال الأول ان بعض الطلبة استطاعوا أن « يخمنوا » أن الامتحان سيشتمل على سؤال في الفصل الأول من المقرر ، وسؤال آخر في الفصل الرابع . . وعندما حان يوم الامتحان ، وتسلم الطلبة ورق الأسئلة ، وجدوا السؤالين بالنص !!

وفي المثال الثاني ، حدث قبل وقوع الاعصار بشهر أن واحداً من سكان احدى المدن الواقعة على الساحل البريطاني ، قال لأصدقائه انه يشم رائحة خطر يوشك أن يقع . . ولما سألوه عن ماهية ذلك الخطر قال : سيجيء من البحر مارد ضخم يحطم كل ما يعترضه !!

وفي المثال الثالث ، قال الرجل ، قبل أن يصاب بالجلطة بثلاثة أيام : أشعر أنني لم أعد أرغب في شيء !! . فقالت زوجته التي كانت منهمكة في تصفيف شعر ابنتها الصغيرة : ماذا تعني ؟ . . قال : ولكنني أشفق على هذه الصغيرة فأوصيك بها خيراً !!

البعض يعرف اذن . . لكن ماذا يعرف ؟ . يعرف « المجهول » الذي وقع ، أو قدر له أن يقع ولم ندركه بحواسنا العادية ، وهذه المعرفة المسبقة إما أن تكون عن طريق أجهزة الرصد والاستشعار ، وإما عن طريق الحدس ، أو ما نملكه من حواس متفوقة . .

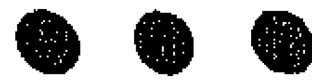
ومن الخطأ الفادح الخلط بين « الغيب » و« المجهول » ، لأن « الغيب » لا يعلمه الا الله سبحانه وحده علام الغيوب .

وهنا نماذج كثيرة من العرافين ، الذين كان في وسع كل منهم اخضاع ما يختزنه عقله الباطن لسيطرة عقله الواعي . . بعضهم كان يستطيع ذلك في

أوقات يحددها . . وبعضهم الآخر كان يستطيع ذلك حين يشاء . .

ومن العرافين الذين سيظل التاريخ يحتفظ بأسمائهم في ذاكرته « مابستر تيوربل » ، الذي عاش في القرن السادس عشر . . لقد أعلن ذلك العراف ، أن عام ١٧٨٩ سيكون عام تغييرات بارزة ، وأحداثا جسام ، وانقلابات في الطبقات والقوانين . . . وقال ان ذلك سيستمر خمساً وعشرين سنة . .

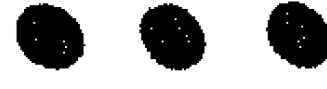
وبعد أكثر من مائتي وخمسين عاماً من قول « مايستر تيوربل » لذلك ، حقق كل ما قاله ، حين اندلعت في عام ١٧٨٩ الثورة الفرنسية بأحداثها الجسيمة ، ووقعت تغييرات هائلة في النظم السياسية والاجتماعية . . وانتهت تلك الفترة بسقوط نابليون عام ١٨١٤ أي بعد ٢٥ سنة تماماً !!



عراف آخر اسمه « لوك جوريك » . . قال في عام ١٥١٥ « لكاترين دي ميديتشي » ، ملكة فرنسا ، أن زوجها « هنري الثاني » سيموت في مبارزة ، وحدث ذلك بعد ٤٤ سنة . . . وأخبر « جيوفاني دي ميديتشي » بأنه سيكون « باباً » ، وأصبح « جيوفاني » بعد ذلك هو « البابا ليو العاشر » (!!) . . وأخبر رئيس أساقفة كاتدرائية سانت اندروز في اسكتلندا أنه سيموت على مشنقة، وأن جماعة من البروتستانت سيقومون بذلك . . وحدث بالفعل ان البروتستانت قاموا بشنقه (!!) . . . وأخبر « بونتيفو جليو » طاغية بولونيا ، أنه سيموت في المنفى . . . وغضب الطاغية وأمر بتعليقه في آلة التعذيب . . لكن حدث بعد ذلك أن الطاغية دخل السجن بأمر « البابا يوليوس الثاني » ، ثم نفى ومات في منفاه (!!). . وتنبأ « لوك جوريك أيضاً بأن « البابا بول الثالث » سيموت في ٢٠ نوفمبر سة ١٥٤٩ . . ومات « البابا بول الثالث » في نفس التاريخ (!!) .

ومن أشهر العرافين الذين ذاعت شهرتهم في العالم بأسره ،« ميشيل نوستراداموس » الذي ولد في فرنسا عام ١٥٠٣ ، وتعلم اللغات اليونانية

واللاتينية والعبرية ، ثم درس الطب في جامعة « مونتبلييه » وأصبح طبيباً ماهراً ، لكن استهواه السحر بعد ذلك فعكف على دراسته . . وكتف عدداً من النبوءات في شكل مقاطع منفصلة لا يزيد كل منها على بضعة سطور ، كان لها أثناء حياته وبعد مماته دوياً هائلاً . . ثم طبع هذه النبوءات في كتاب أسماه « قرون » . .



ومن أشهر نبوءات « نوستراداموس » التي وردتْ في كتابه « قرون » ذلك المقطع الذي يقول فيه :

« سيأتي زوجان ملكيان من طرق وعرة عبر غابة « رينز » ويتوقفان عند صخرة « هيرن » البيضاء . . ثم يدخلان قرية « فارين » ، قبل أن يسقط الرأس ، وتثور العواصف ، وتشب النار ، وتسيل الدماء ، وتنقطع الأطراف والرؤوس » . .

وبعد اكثر من ٢٥٠ سنة قامت الثورة الفرنسية ، وكان الملك لويس السادس عشر وزوجته الملكة ماري انطوانيت قد هربا من باريس ، فعبرا غابة « رينز » ، وتوقفا عند تل « هيرن » الصخري الأبيض ، أمام حاجز اقامه الثوار . . ولم يكتشف ثوار الحاجز شخصيتيهما فسمحوا لهما بالعبور ليدخلا قرية « فارين » . . وقد ألقى القبض عليهما بسبب وشاية الكونت دي ناربون ، الذي كان وزيراً للملك ومتواطئاً ، في نفس الوقت مع الثوار ، وسيقا الى المقصلة حيث تم اعدامهما بعد ان انفجر الأرهاب وغرقت فرنسا في الدماء وطارت الرؤوس ، وبترت مئات الأطراف . .

وفي مقطع آخر وصف « نوستراداموس » الثورة الفرنسية التي تنبأ بكثير من تفاصيلها الصغيرة والدقيقة ، بأنها « نار وماء وحديد وحبل » . . ثم يقول على وجه التحديد « في عام ١٧٨٩ » . . ثم يتحدث عن المقصلة ، ويقول « كل من ابتكر هذه الأشياء سيموت بها » . . وقال عن نابليون انه « سينشر الخراب في العالم كله » . .

لقد كان مذهلاً أن يتنبأ نوستراداموس بكل ذلك قبل أن يحدث بأكثر من ٢٥٠ عاماً . . وكانت له نبوات اخرى بصعود ملوك وبابوات ، وانتشار اوبئة ومجاعات ، تحققت جميعاً على نحو مذهل . . أما المقطع الخاص بطريقة موته هو شخصياً فكان من أدق وأغرب المقاطع التي وردت في كتابه . . . إنه يقول بالحرف :

« بعد عودته من سفارته ، سيعثر عليه اقرباؤه واصدقاؤه بالقرب من سريره . . أما هو فسيكون في طريقه إلى الله » .

وبعد أكثر من عشرين سنة من كتابته لهذه النبوءة ، أوفده أهل مدينة « سالون » في مهمة الى مدينة آرليه . . وبعد عودته ذهب بعض أقاربه للاطمئنان عليه ، حيث أنه كان يشكو من مرض النقرس ، ويعيش في بيته بمفرده . . ولما لم يرد عليهم عندما دقوا بابه . فتحوا الباب وفتشوا عنه في أنحاءِ بيته . . ليجدوه ميتاً على الأرض في غرفة نومه بالقرب من سريره !!

لقد شهد القرن السادس عشر كثيرين غير « تيوربل » و« جوريك » و« نوستراداموس » ، من الذين لا يمكن الشك في قدراتهم على التنبؤ بما سيقع في المستقبل . . لقد كانوا يروون تفاصيل دقيقة لأحداث حقيقية وقعت بعد ذلك ، وكأنهم كانوا يرونها أمام أعينهم ، مما جعل الباحثين يعتبرون القرن السادس عشر العصر الذهبي لازدهار السحر في أوربا . . لكن هل معنى هذا أن فنون السحر تدهورت بعد ذلك ؟ . .

الإجابة كلا بطبيعة الحال ، والدليل على ذلك هو هذا العدد الكبير نوعاً ما ، من السحرة في بقاع مختلفة من العالم . . وبعضهم موجود حتى الآن في الهند ، وكوريا ، والفليبين ، وأمريكا الجنوبية ، وانجلترا ، وفرنسا ، والمغرب ، والسودان ، وعدد من دول وسط افريقيا ، وفي مصر أيضاً . . .

وفي مدينة أسيوط قسيس اسمه ميخائيل ، وكان اسمه مينا قبل أن يلتحق بالكنيسة . . ومن يلتقي بالأب ميخائيل لا يملك الا ان يعترف بقدرته الفائقة على قراءة المستقبل كما لو كان يقرأ من كتاب مفتوح . إنه يفاجىء

زائره في أول لقاء بمعرفته لتفاصيل دقيقة عنه ، ربما لا يعرفها عنه أقرب الناس اليه . . وهو كذلك يخلص من يقصدونه من بعض الأمراض الغامضة التي يحار الأطباء فيها ، بلمس مواضع الألم في أجسادهم بأصابعه ، أو برقيهم ، أو بكتابة الأحجبة التي يعلقونها في اماكن يحددها لهم . .

وأعرف أستاذاً في احدى كليات جامعة عين شمس ، أصيبت ابنته التلميذة في الصف الثاني الثانوي بحالة مرضية غريبة افقدتها القدرة على التذكر ، إلى درجة أنها أصبحت عاجزة عن أن تتذكر ما فعلته ، أو سمعته ، أو قرأته ، منذ خمس دقائق . .

وقد طرق الأستاذ الجامعي وابنته أبواب عديد من الأطباء المتخصصين ، ثم بعد ذلك أبواب الأطباء النفسانين . . لكن الحالة الغريبة استمرت لأكثر من عامين . . وعندما أرشده بعض الأصدقاء الى الأب ميخائيل ذهب اليه بغير موعد . وكانت دهشته هو وابنته بالغة حين وقف الرجل يرحب بهما ويقول أهلاً بالدكتور فلان . . أهلاً بالآنسة فلانة . . ثم ربت على كتف الفتاة وقال : أنت بخير بإذن الله . .

وأراد الأستاذ أن يشرح للأب ميخائيل الحالة التي تعاني منها ابنته ، لكنه قاطعه بإشارة من يده ثم قال : « انتهت المقابلة . . وانتهى الأمر . . اذهبا الآن ، وعد بعد ساعة بمفردك » !!

ورضخ الأستاذ وابنته ، وتوجها الى مقهى قريب لقضاء الساعة . . . ومع أن أصدقاءه الذين أرشدوه الى الأب ميخائيل أخبروه بأنه لا يأخذ أجراً ، إلا أنه اعتقد أنه طلب منه العودة ليحصل منه على شيء من المال . .

وبعد ساعة ترك الأب ابنته على المقهى وذهب الى الأب ميخائيل الذي ما أن رآه حتى قال له : « سوف تصبح ابنتك مهندسة . . وسوف تسافر إلى ألمانيا بعد تخرجها في بعثة علمية على نفقة الدولة . . وسوف تتزوج قبل سفرها من زميل لها اسمه فلان يسافر معها في نفس البعثة . . » . . ثم سكت لحظة وعاد يقول : « إنني عاتب عليك . . فقد أخبرك صديقك فلان

أنني لا أتقاضى أجراً . . أرجو أن توفر نقودك فأنا لست في حاجة إليها » .
وشكره الأستاذ وخرج . .

وقال الأستاذ الجامعي :

ـ وقعت تفاصيل هذه الحكاية منذ خمسة عشر عاماً . . ولقد شفيت ابنتي من مرضها بمجرد خروجنا معاً من بيت الأب ميخائيل . . أما ما أخبرني به عندما عدت اليه بمفردي فلم أبح به إلا لك الآن ، ولكنه تحقق بحذافيره . . وهي الآن مع زوجها في ألمانيا يعدان معاً للحصول على الدكتوراه !!

وطبيب من الاسكندرية روى لي قصة أخرى ، عن شيخ اسمه سالم ، توجه ذات يوم الى صاحب صيدلية في حي سيدي بشر ، وقال له دون مناسبة :

ـ ستحمل زوجتك وتلد لك « أشرف » . .

وابتسم الصيدلي وقال للشيخ :

ـ من « بقك » إلى باب السماء !!

وكان هذا الصيدلي قد تزوج منذ عشر سنوات لم ينجب خلالها ، رغم أن الفحوص الطبية أكدت عدم وجود أي مانع عنده أو عند زوجته ، فاستسلم لمشيئة الله ، وأقبل على الحياة راضياً . وخشي أن يخبر زوجته بنبوءة الشيخ فيحرك في قلبها المواجع ، فقرر أن ينسى الأمر كله أو يتناساه . . لكن بعد ثلاثة أشهر ، فوجىء بزوجته تزف اليه البشرى السارة ، فتهلل وجهه بالبشر والفرح ، وأخبرها بما قاله له الشيخ !!

ومضت أشهر الحمل عادية . . وعندما وضعت الزوجة مولوداً ذكراً . صاح الصيدلي قائلاً : إنه « أشرف » . . لقد أسماه الشيخ سالم بهذا الاسم قبل أن يكون جنيناً . . وانطلق من شدة الفرح يبحث عن الشيخ حتى عثر عليه ، وأخبره بالنبأ السعيد . . لكن الشيخ امتعض وقال :

ـ احذر . . في الساعة العاشرة ، من يومه العاشر ، ستلدغه عقرب

وامتقع وجه الصيدلي ولعن الشيخ واتهمه بالتخريف .. وعاد يعتصر قلبه الخوف ويعصف بوجدانه القلق ..

وانقضى يوم ... ثم يوم ... وفي اليوم الثالث جاء برجلين ، قاما بتنظيف الفيلا التي يسكن فيها ، ونظفا أيضاً الحديقة .. وأشرف بنفسه على إحراق الزبالة .. وتخلص من « الكراكيب » الموجودة فوق سطح الفيلا .. ورش الغرف بمبيدات الحشرات ، وأحكم اغلاق النوافذ والأبواب .. وفي اليوم الرابع أحضر زوجته ووليدها أشرف من المستشفى ، وأغلق الصيدلية .. وتفرغ لخدمتهما ورعايتهما وهو يداري قلقه ومخاوفه .. وفي اليوم التاسع لم ينم .. جلس طوال الليل بجوار فراش المولود متظاهراً بالقراءة في كتاب ، بينما عيناه تتنقلان فيما بين أرض الغرفة وحوائطها بحثاً عن الموت القادم في صورة عقرب .. وعندما اقتربت الساعة العاشرة من صباح اليوم العاشر ، كادت دقات قلبه تتوقف من شدة الخوف ، لكن عقارب الساعة تجاوزت العاشرة ثم الحادية عشرة ولم يحدث شيء ، فتنهد بعمق ، وهو يتوجه الى السماء متوسلاً ، وبقي في مكانه ينتظر العاشرة مساء ..

مرت الساعات ببطء مميت ، وعندما حانت الثامنة مساء لم يقو على احتمال العبء وحده ، فأفضى الى زوجته ـ التي كان قد أقلقها عدم نومه وصمته ـ بنبوءة الشيخ المشئومة ، فسخرت من مخاوفه ، ودعته الى النوم .. لكنها لم تلبث هي الأخرى أن استبد بها القلق فجلست ساهرة صامتة الى جواره ..

وفي العاشرة تماماً رأى الزوجان عقرباً ، يتقوس ذيلها فوق جسمها البشع تسير وسط الغرفة في اتجاه فراش الوليد .. وصرخت الزوجة ، وهب الزوج فهوى بالكتاب فوق العقرب فقتلها ، وصاح من شدة الابتهاج الحمد لله .. لكن الطفل الراقد في هدوء فوق فراشه صرخ صرخة مزقت وشائج الوالدين .. واندفعت الأم نحو طفلها وأزاحت عنه الغطاء ، فوقع بصرها

على عقرب تتسلل من بين قدميه الصغيرين . . ومات الوليد على الفور !!

ومن الضروري الآن أن نتساءل : هل في وسعنا اعتبار الأب ميخائيل ، والشيخ سالم ساحرين ؟ . .

الجواب : نعم . . فإن كلاً منها استخدم قدرة متفوقة يمتلكها ، لمعرفة معلومات حقيقية ، لم يسبق له أن رآها ، أو سمعها ، تخص غيره ممن لا تربطه به أي صلة . .

وهنا يقفز أمامنا سؤال آخر : كيف ؟ . .

وللاجابة على هذا السؤال نقول ، إننا نردد أحياناً أقوالاً مشهورة ، مثل « المكتوب على الجبين لا بد أن تراه العين » . . دون أن نمعن التفكير في معانيها . . ولعل هذا القول ، ومثله ، قد انحدر الينا من عصر موغل في القدم ، إزدهرت فيه علوم السحر والعرافة مثلما انحدر الى شعوب أخرى كثيرة . . فهو موجود في كل لغات الأرض . . المكتوبة منها ، وغير المكتوبة . . الموجودة حتى الآن ، والمندثرة . . منذ عهود لم يكن الانسان قد عرف خلالها وسائل اتصال ، أو مواصلات تربط بين الجماعات الانسانية القليلة المبعثرة في أطراف القارات والجزر . .

وفي القرآن الكريم يقول الله سبحانه وتعالى في الآية ٥١ من سورة التوبة :

﴿ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلىٰ الله فليتوكل المؤمنون ﴾ . .

أي أن هناك « مكتوب » سيقع في المستقبل ، أو وقع بالفعل في الماضي . . « مكتوب » لكل إنسان وليس مهماً أن نتساءل أين يكون مكتوباً . . على جبينه أو على غير جبينه !!

وفي علوم السحر ، يقولون إن الأحداث التي ستقع لأي إنسان ، وكذلك التي وقعت له في الماضي ، مكتوبة على قسمات وجهه . . ونحن لا

نرى ما يحول بيننا وبين قبول هذا القول ، مثلما تقبلنا ، قبل ذلك ، ما قال به علم الكف من أن خطوط راحة اليد تنطق بما وقع ، وسيقع ، لصاحبهـا منذ ولادته حتى مماته . . ومثلما تقبلنا ما يقوله علم الفراسة من أن تقاطيع وجه الانسان تدل على شخصيته وتحد صفاته وطباعه ، ومهنته أيضاً . . وكما نعتمد على بصمات الأصابع لمعرفة فلان من فلان . .

أن في وسع أصحاب القدرات المتفوقة رؤية ما تنطق به الخطوط المرسومة على قسمات وجوه الآخرين ، وترجمته بعد ذلك لمعرفة ما يدل عليه . . ولذلك فإنه كان ضرورياً أن يتلقى الأب ميخائيل بأستاذ جامعة عين شمس وابنته ، وأن يتقابل الشيخ سالم بصيدلي سيدي بشر قبل أن يخبره بما أخبره به . . وهذه القدرة على قراءة « المكتوب » ليست هي نفس القدرة التي تتيح لمن يمتلكها التواصل عن بعد مع الآخرين أو قراءة أفكارهم .

ويقول الشاعر « لويس سينجر » أن الحاسة السادسة تتيح للانسان معرفة الكثير من المكتوب الذي سيقع ، حين يتمكن من الوصول الى الاسترخاء الكامل بعد قيامه بتركيز تفكيره على لا شيء والسماح لعقله الواعي بأن يغرق في حالة من السلبية المطلقة . .

ويقول « لويس سينجر » أيضاً ؛

« لقد اكتشفت أن لي ، مثل معظم الشعراء ، ذاكرة مرئية أبصرها ، وهي ليست حقيقية فقط وإنما هي كذلك خيالية . . وإنني أكون ، أحياناً ، قادراً على رؤية زورق ، وأن أصفه بشكل دقيق ، دون أن يكون لذلك الزورق وجود مادي أمامي . . وفيما بعد أراه كما تخيلته تماماً .

ويقول كذلك :

« اكتشفت بعد عدة محاولات ، أنه قد أصبح في وسعي رؤية الشخصيات الخفية للناس ، ورؤية صوراً رمزية لما سيقع لهم من أحداث في المستقبل القريب على وجوههم ولست أذكر شيئاً عن كيفية امتلاكي لهذه القدرة ، ولم أشعر بأي تغيير طرأ على عقلي أو على شخصيتي . الفرق الوحيد

الذي استطيع أن أجزم به . هو أنني أصبحت قادراً على أن أرى بوضوح كامل ما كان يفر مني قبل ذلك » !!

ويقول كولن ويلسون في كتابه « القوى الخفية » ، أن الذي يتأمل كتابات « ستريند برج » يدرك أن إمكانيات وقدرات الانسان تتطور الى الحد الذي يجعله قادراً على استخدامها بشكل غير عادي . . . وأن هذا التطوير يكون ارادياً . .

وقد ذكر « ستريند برج » في كتابه « جهنم » أنه شعر باحساس من الفرح بعد ان ودع زوجته في محطة السكة الحديد . . وهذا الاحساس جعله يتسامى فوق اهتمامات الحياة الصغيرة . . ويحلق في آفاق رحبة ، ويرى بوضوح كامل ما لم يكن في وسعه رؤيته من قبل . . .

وفي كتابه « البحث عن الغيب » يقول « ستريند برج » :

« إن المصادفات الغريبة التي لا يمكن تصديقها تصبح عاديةجداً . . حين يرى الانسان بعينيه ما كان قبل ذلك مجرد تصور لا وجود له الا في خياله . .

ويقول أنه كان مثلاً يتصور وجود ساعة حائط ذات شكل متميز . . وفي اليوم التالي كان يرى نفسه الساعة ، بنفس الشكل الغريب الذي تصوره ، معروضة في فترينة أحد محلات بيع الساعات !!

ويقول . . . . أنه كان ينظر الى النقوش المرسومة على الحائط فيتصور منظراً طبيعياً فيه جبل ، وشجر لم ير مثله من قبل ، ودون أن يكون ذلك المنظر بالتحديد مرسوماً على الحائط . . . وعندما يسافر الى النمسا حيث تعيش أسرة زوجته يرى نفس المنظر بنفس التفاصيل !!

ويقول أنه كان في بعض الأحيان يقرر رؤية الحديقة التي كان يلعب فيها أيام طفولته ، والتي تحولت الآن الى منطقة سكنية ، فاذا به يرى نفسه في تلك الحديقة ، ويشم رائحة زهورها المختلفة ويمد يده فيلمسها !!

والحقيقة أن هناك عشرات مثل « ستريند برج » الذين في وسعهم القيام بذلك . . ومن هؤلاء الممثلة الفرنسية الشابة « ايرين موزا » ، التي قالت وهي تحت تأثير التنويم المغناطيسي على مسرح « الكوميدي فرانسيز » . . « ستكون حياتي العملية قصيرة جداً . . إنني لا أجرؤ على قول ما ستكون عليه نهايتي . . إنها ستكون نهاية مرعبة » . .

لقد كتبت « إيرين » ذلك بيدها على ورقة، مزقها المنوم المغناطيسي قبل أن يفيقها . . ولم يخبرها أحد من الذن شهدوا التجربة بشيء عن ذلك . . ولذلك فانها لم تكن فيما بعد مدركة بعقلها الواعي لما كتبته بخط يدها . . .

وبعد بضعة أشهر ، كانت « ايرين » في غرفتها تستعد للخروج الى المسرح ، فانسكبت زجاجة فيها محلول قابل للاشتعال ، فانتقلت النار الى المحلول من شمعة قريبة . . وعلى الفور أحاطت السنة اللهب بإيرين ، وأمسكت بملابسها وشعرها ، فلقيت حتفها قبل أن تصل الى المستشفى . .

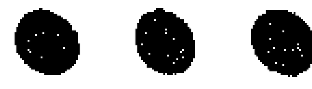
وما حدث لايرين يوحي بشكل قاطع ، بأن حياة أي إنسان ما هي الا مجموعة من الوقائع المقررة سلفاً ، والمحدد لوقوعها توقيت معين . .

ويقول الباحثون في مجال البحث عن المستقبل أو « العرافة » ، أو قراءة « المكتوب » . . أن الحياة الانسانية لعبة من نوع ما . . . الشرط الأساسي للأشتراك فيها هو الغرق في تفاصيلها . . لكن الذين يربحون في هذه اللعبة هم من يستطيعون التغلب على عادة النسيان . . . أو بعبارة أخرى ، الذين يستطيعون حفظ المواقف ، والتفاصيل الدقيقة التي سبقتها ومهدت لها . . . ذلك أن الحياة لعبة معادة ، أو مكررة ، مثلها في ذلك مثل مباراة لكرة القدم مسجلة على شريط فيديو . . فمن سبق له رؤية تفاصيل المباراة لن تفاجئه الأهداف حين يراها للمرة الثانية . . أما الذين لم يشاهدوا المباراة في المرة الأولى ، فإن الأهداف سيكون لها وقع مختلف عليهم . .

ويشبه الباحثون في علوم السحر والعرافة الأشخاص الذين يجلسون أمام شاشة التليفزيون لمشاهدة مباراة شاهدوها من قبل ، بالأشخاص الذين

لديهم قدرات متفوقة على الرؤية أعمق والسمع أبعد ، ويشبهون الأشخاص الذين يشاهذون المباراة المسجلة لأول مرة ، بالأشخاص أصحاب القدرات العادية . .

وإذا كنا قد وصفنا من يمتلكون القدرة على التواصل عن بعد ، وقراءة الأفكار ، وقراءة المكتوب على قسمات الوجوه ، ورؤية « المجهول » وإدراكه بقدراتهم المتفوقة ، بأنهم عرافون . . فإن المنجمين نوع آخر غير هؤلاء . . لأن التنجيم علم آخر يشترط فيمن يمارسه دراية كاملة بحركة النجوم في أفلاكها . وعلاقة هذه الحركة بما يجري على الأرض ومن يعيشون عليها . . وعلى ذلك فان « المنجم » ليس ساحراً . . أما « العراف » فساحر يعتمد على قدراته المتفوقة ، ويعتمد أيضاً على أدوات السحر المختلفة التي أشرنا اليها على صفحات هذا الكتاب . .



والآن نعود الى السؤال الذي طرحناه في بداية هذا الكتاب :

من هو الساحر ؟ . .

ونقول :

إنه الشخص الذي يملك قدرات متفوقة تتيح له الرؤية أعمق ، والسمع أبعد ، وإدراك ما يعجز أصحاب القدرات العادية عن ادراكه . .

ونقول :

أنه الشخص الذي يستخدم قدراته المتفوقة للتأثير في الآخرين ، وفي سائر ما يحيط به واخضاعه لمشيئته . .

ونقول :

إنه الشخص الذي يتمكن عن طريق إيقاظ القدرات والملكات المتفوقة الكامنة في أعماق نفسه ، وتدريبها بعد ذلك لاستخدامها حين يشاء في لمس كل ما هو لا مادي وإدراكه . .

ونقول :

إنـه الشخص الـذي يملك من القـدرات مـا يمكنـه من التعـامـل مـع مخلوقات أخرى غير مادية مثل الجن ، وتسخيرها لتحقيق ما يعجز عن تحقيقه بقدراته الانسانية . .

ونقول :

إنـه . . إنسان عـادي . . مثلي ومثلك . . ولكنـه استطاع بـإرادتـه أن يتحلل من أغلال جسده المادي المحدود ، وتخطى الحواجز والتحليق بجوهـره في آفاق رحبة تنعدم فيها كل الأبعاد . . وتتغير فيها كـل المقاييس . . ويـوجد فيهـا الماضي والحـاضر والمستقبل عـلى خط واحد يمكن الانتقـال بين طـرفيـه بسهولة ويسر !!

منذ البداية .. لكل منا جسد آخر غير جسده . كان موجوداً من قبل .. وسيظل موجوداً من بعد . وهذا الجسد الآخر فيه كل القدرات .. والأحاسيس .. والمشاعر .. وفيه الذاكرة وفيه العقل أيضاً . وهو يتكون من خلايا أثيرية غير قابلة للتحلل أو الفناء . وهو يستطيع أن يتحرك بسرعة تفوق سرعة الضوء !!

العلماء يسمونه « الجسد الأثيري » .. أو « الجسد الكوكبي » . والفلاسفة يسمونه « الجوهر » أو « الذات » أو « الأنا » أو « الشخصية » . واسمه في الكتب السماوية المنزلة من عند الله « النفس » .

إذا توقفت عجلات دراجة عن الدوران ، مالت ووقعت ، وإذا توقفت محركات طائرة وهي تحلق في الجو ، هوت وتحطمت ، واذا توقف طائر عن تحريك جناحيه في الهواء سقط وهلك ، واذا توقفت الأرض ذاتها عن الدوران ، تفتتت وتناثرت أجزاؤها في الفضاء .

الحركة هي التي تحفظ للأجسام توازنها وبقاءها . وليست الحركة بالضرورة انتقال جسم من مكان الى آخر ، أو تمايل جسم أو اهتزازه في مكانه ، فمن الحركة ما هو في باطن الأجسام ولا نراه !

مثلاً إذا سخنا قضيباً من الحديد ، فان طوله يزداد . والذي يحدث داخل القضيب هو أن الفراغات المحصورة بين جزيئاته يزداد حجمها بالحرارة . . والعكس يحدث اذا وضعنا القضيب في ثلاجة . أي أن طول القضيب يزداد وينقص بتغير حجم الفراغات الموجودة بين جزيئات مادته . وهذا معناه أن الأجسام التي تبدو لنا هادئة ، جامدة ، مستقرة في أماكنها ، هي في الحقيقة غير ذلك !

ونحن نعرف أن الأجسام تتكون من مواد . . والمواد تتكون من جزيئات . . والجزيئات تتكون من ذرات . . وداخل كل ذرة الكترونات ونيوترونات تتحرك على مداراتها بدقة وبسرعة لا تعرفان الخلل أو التوقف . .

لكن الفارق كبير منحركة النيوترونات والألكترونات داخل الذرة ، وبين حركة الجزيئات داخل الأجسام . . فالأولى ذاتية ، والثانية لا تحدث الا بمؤثر خارجي . . بالحرارة أو بالبرودة مثلاً . .

وحركة الأجسام بوجه عام تنتج عنها ذبذبة تختلف شدتها من جسم الى آخر تبعاً لنوعية الحركة داخله . فاذا كان الجسم صلباً جامداً ، فان ذبذبته تكون منخفضة . . . واذا كان سائلاً أو رخواً ، تكون ذبذبته عالية نسبياً ، أما اذا كان الجسم غازياً فان ذبذبته تكون أعلى بكثير .

ونحن لا نستطيع أن نرى بالعين المجردة سوى الأجسام ذات الذبذبة المنخفضة ، كالنبات والجماد وسائر المواد الصلبة أو الهشة أو السائلة . أما

الأجسام ذات الذبذبة الأعلى ، كالهواء والغازات ، فاننا لا نراها ، وأن كنا نستطيع ادراكها بحواسنا الأخرى . ولكن هناك ما لا نستطيع ادراكه أو رؤ يته ، لأن سرعة ذبذبته تكون على درجة عالية جداً ، مما يجعله فوق مستوى ادراك حواسنا العادية ، كالخلايا الضوئية والموجات الصوتية ، والخلايا الأثرية التي تبلغ سرعة ذبذبتها درجة تفوق بكثير سرعة الضوء (٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الثانية).

والأجساد الانسانية والحيوانية ، شأن الأجسام المادية ، ذات ذبذبات لا تصل سرعتها الى الحد الذي يجعلها غير مرئية . . لكن الانسان ليس هو هذا الجسد المادي المرئي فحسب ، انما هو أيضاً الجسد الأثيري ـ أو الكوكبي ـ الذي لا نراه ، لأن سرعة ذبذبته تفوق أضعاف سرعة ذبذبة الضوء . وهذا الجسد الأثيري ، الذي يشبه الجسد المادي ويغشاه ، ويتكون من خلايا اثيرية لا تعرف قوانين التحلل طريقاً اليها ، وهو خاضع في حركته وتكوينه لقوانين سرمدية لا يزال الانسان حتى الآن بكل ما لديه من وسائل العلم المتقدمة ، عاجزاً عن ادراكها .

والجسد الأثيري له في لغات الأرض أسماء عديدة ، لكنها جميعاً تشير اليه أو تعنيه ، فهو « النفس » أو « الانسان » ، أو « جوهر الانسان » ، أو « الذات » أو « الأنا » التي يستشعرها كل انسان في كيانه ، كما أن البعض يسميه خطأ « بالروح » .

والانسان كسول بطبعه . ملول بطبعه . قلق بطبعه . خائف بطبعه . وهو ينشد الراحة دائماً . . الراحة لجسده وفكره . . وهو في سبيل ذلك لا ولم يتوان عن صنع كل ما يوفر له الهدوء والاطمئنان ، ويوفر عليه بذل الجهد أو عناء المشقة . فقد أقام البيت لينام فيه آمناً من خطر الوحوش الكاسرة والأفاعي القاتلة . وارتدى جلود الحيوان ليتقي البرد وينعم بالدفء . وصنع الحراب والسهام ليقتل عدوه بضربة واحدة . وروض الجمال والحمير والجياد ليركبها . وزرع الأرض لتزوده بالثمار . . . وبعد ذلك صنع الموقد ، والمدفأة ، والبندقية ، والمدفع ، والقاطرة ، والسيارة ، والطائرة ، والثلاجة ،

والغسالة ، والمكنسة . . والقائمة طويلة حافلة ، وكل ما فيها صنعه الانسان من أجل راحته . ومن أجل أن ينعم بمتعة ممارسة الكسل !!

ولكن الانسان جاء الى هذه الأرض ليعرف . وفي سعيه الدائم الى المعرفة لا يتوقف نهمه عند حد . اللمسة توقظ كل حواسه ، والهمسة تجعل فضوله يتوهج . وهو أثناء معايشته للناس والطبيعة من حوله لا يستطيع أن يتوقف عن التفكير لحظة واحدة . أنه يكون في حالة تأهب دائم للاستجابة لكل فعل برد الفعل المناسب له . واذا انفرد بذاته ، فانه يجتر المعلومات التي سبق له تحصيلها . . أي أنه يخرج ما في ذاكرته مما رآه وسمعه ليستعرضه أو ليتأمله مرة أخرى ، لعله يكتشف فيه جديداً لم يتمكن من ادراكه !

وعندما يواجه الانسان أمراً يصعب عليه فهمه ، فانه ينصرف عنه الى غيره ، والانصراف يكون دائماً الى حين . وهذا الحين قد يكون قريباً . . وقد يكون بعيدا . . وقد يتحتم انتظاره لألوف السنين . . وعندئذ يعاني الانسان من الحيرة ، ويستبد به القلق ، ولا مهرب له في هذه الحالة سوى الارتماء في حضن العجز لينعم بالراحة والسكينة . وليس أسهل على الانسان من أن يجد المبررات التي يداري بها عجزه . والمبررات كثيرة جداً . . سهلة جداً . . . وأسهلها القاء العبء على من هم أقوى وأقدر .

وفي البدء شغل الموت اهتمام الانسان وحيره . ولما طالت حيرته ، اعتبر الموت لعنة شر وغضب تصبها عليه الآلهة ، ثم اعتبره نهاية حتمية لكل حي ، ثم اعتبره بداية لحياة أعظم وأفضل . . وأسعده هذا الافتراض الأخير وأراحه !

وكان لا بد أن يحاول الانسان منذ القدم اقتحام ذاته ، ليفهم ذاته . وقد بذل في سبيل ذلك جهداً مضنياً . وعندما فشل حاول مرة أخرى . . وعندما فشل حاول مرة ثالثة . . ثم استمر يعيد المحاولات لألوف المرات عبر ألوف السنين ، ولم يتوقف حتى الآن ، ولن يتوقف ، لأنه لا مناص من ضرورة المعرفة .

وأقدم دليل ، عثر عليه ، على محاولات الانسان اقتحام ذاته ، هو ما تركه الفراعنة مكتوباً على أوراق البردى ، وجدران معابدهم ومقابرهم . . فماذا قالوا ؟

قالوا أن الانسان جسد وروح. أما الجسد فهو ما يولد ليعيش ثم يموت . وأما الروح فهي التي تمد الجسد بالحياة طوال وجوده على الأرض ، ثم ترحل عنه حين يموت . . وهي لا تفنى كما يفنى الجسد ، وإنما هي خالدة خلوداً أبدياً لأنها من مادة لا يعرف الفناء طريقاً اليها ، وحين تترك الجسد الى مستقر لها في السماء ، فانها تكون هناك أكثر سمواً وأعظم شأناً . وكتاب الموتى عند الفراعنة حافل بكل ما يتصل بالروح ورحلتها من الأرض الى السماء . . وحافل أيضاً بالطقوس التي تجعل الموت مقدساً وجليلاً .

وبعد ذلك تشبث الانسان بوجود الروح . وكان هذا ضرورياً لينكشف جانب من اللغز الأبدي ، ويتبدد جزء من الغموض الذي ظل يغلفه سنين طويلة .

أما الحياة على الأرض فهي الجسر ، أو البوابة التي يعبر منها الانسان الى الجنة التي يكون ثيابه فيها من حرير ، وطعامه فاكهة وأعناباً ، وشرابه خمراً معتقة . . الجنة التي ينعم فيها بالسكينة والاطمئنان ، ليمارس الى الأبد متعة الكسل . .

وليس الفراعنة وحدهم الذين قالوا بذلك ، فالبابليون والفرس ، والاغريق ، والهنود قالوه أيضاً . .

وإذا كان « أوزوريس » المصري يزن أعمال الناس بعد الموت بميزان العدل ، ليدفع بالمحسنين الى الجنة ، وبالمسيئين الى جحيم جهنم . . فان « عشتروت » البابلية تهبط الى الجحيم حيث يعاني « تاموز » عذاب الجوع والعطش والبرص والزمهرير ، لتعود به الى الحياة . .

وعند الفرس كان « أهوراما زاد » إله الخير ، و« أهوريمان » ملك العالم السفلي والظلمات في صراع دائم محتدم ، كلاهما يريد أن يأخذ الانسان اليه . .

وعند الاغريق نجد الجنة أيضاً . . وقد تحدث هوميروس في الياذته عن عـالم الموتى ، وأنهار الجحيم ، وأبـواب السماء ، ونعيم الجنـة . وذكـر في الأوديسـة تفاصيـل زيـارة « أوليسبس » للعـالم السفـلي وأحـاديثـه الى أشبـاح الموتى .

وعنـد الهنـود هبط « يـود هيشيتـرا » الى الجحيم حيث اللهب والجثث والدنس والديدان والوحوش الكاسرة ، بينما صعد « أرجنا » إلى السماء حيث يعيش المؤمنـون في جنـة خضـراء ، ينعمـون بـرؤيـة الأزهـار الجميلة ، ويستمعـون الى العـذب من الأنغـام السمـاويـة ، ويجـالسـون الغـواني تحت الأشجار . و« أرجنا » الهندي هذا كـان بطلاً من أبـطال الخير . وحـين صعد الى السماء كان يحيط به موكب عـظيم من الملائكـة وصفوة البـراهمة ، الـذين أوصلوه الى عرش اله الآلهة !

وغنى عن البيـان أن الانسـان لا يـذهب الى الجنـة ، أو الجحـيم بجسده . . فالجسد مادي يتحول بالموت الى عدم . . وإنمـا الذي يـذهب هو النفس ، لأنها هي القادرة على السفر الى العالم غير المحسوس . .

وحـين جاءت الأديـان السمـاويـة ، رسخت حقيقـة أن الانسـان روح وجسـد . وأن الجسد الى فنـاء ، والـروح الى خلود وبقـاء ، وأسفـار التـوراة حافلة بكل مـا يشير الى ذلـك . . وأصحاحـات الأناجيـل جاءت من بعـدها لتؤكد نفس الحقيقة .

ولكن الاسلام جاء من بعد ليحسم الأمر ، والقرآن الكريم في كثير من سورة لا يتحدث الا عن « النفس » .

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي . وادخلي جنتي ﴾ .

و . . ﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ﴾ .

و . . ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ .

أما الروح فشيء آخر ، والآية ٨٥ من سورة الإسراء واضحة وضوحاً كافياً لا تتطلب اجتهاداً لتفسيرها ولا تحتمل أي تأويل :

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ .

فاذا كانت النفس هي التي ترجع إلى الله ، وهي التي تدخل الجنة ، وهي التي لا تعرف ماذا تكسب غداً ، وهي التي تذوق الموت . . فماذا عن الروح ؟!

وإذا كانت النفس هي الروح ، فلماذا خاطب الله تعالى النفس دون الروح ؟!

الانسان اذن نفس وجسد .

والذين يتحدثون عن « الروح » هم في الحقيقة يقصدون « النفس » ، وأشهر الفلاسفة القدماء الذين حاولوا الغوص في أعماق الانسان لم يتحدثوا عن الروح . . بل كان حديثهم كله عن النفس .

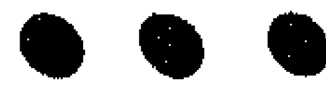
سقراط ، مثلاً ، أبو الفلاسفة الأغريق ، لم يتحدث عن الروح . وعندما تعرض للمحاكمة وصدر ضده الحكم بالاعدام ، قال لإثنين من أتباعه ، لولا اعتقادي بأنني ذاهب أولاً إلى آلهة أخرى حكيمة ورحيمة ، ثم بعد ذلك الى رجال ماتوا أفضل من رجال هذه الحياة ، لكان من الخطأ الفادح ألا تثور نفسي ضد الموت » .

وأفلاطون روى عن أستاذه سقراط قوله « إن الفيلسوف الحقيقي هو الذي لا يشغله شاغل عن التفكير في الموت ، لأن الموت يحرر الفكر ،ولأن النفس لن تستطيع أن تدرك شيئاً على حقيقته ما لم تتحرر من الجسد وتقطع كل صلة لها به » .

وأفلاطون هو الآخر لم يتحدث عن الروح . وعندما تحدث عن الخلود ، كل حديثه مقصوراً على خلود النفس .

وجـاء في كتـاب « في النفس والعقـل لفـلاسفـة الاغـريق والاسـلام » للدكتور محمود قـاسم قول أفـلاطون « إن صلة الحيـاة بالمـوت لشديـدة الشبه بتلك العلاقة التي توجد بين اليقظة والنـوم . فكما أن المـرء ينتقل من اليقـظة الى النوم ، ومن النوم الى اليقظة ، كذلـك ينتقل من الحيـاة الى الموت ، ومن الموت الى الحياة . والانتقال من أحد الضدين الى الآخر أمر لا مفر منـه . إذ لو كان الانتقال في اتجاه واحد فقط لاختل التوازن في الطبيعة . ويترتب عـلى ذلك أنه من الواجب أن تظل نفـوس الموتى حيـة في مكان خـاص حتى تكون منبعاً ومبدأ لكل حياة جديدة . ولو لم يكن هناك انتقـال من الموت الى الحيـاة لانتهى كل ما في الوجود الى العـدم . كما هـو الحال تمـاماً للو استقـر المرء في نومه إلى ما لا نهاية » .

وفي كتاب « أفلاطون » للدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، جاء أن أفلاطون قال في الخطاب السـابع من كتـابه محـاورة فيدون « وإذا كـانت النفس الهية ، فعلينـا أن نتعلق بها وحـدها لأن الفلسفـة هي التشبـه بـالإلـه بقـدر الـطاقـة الانسانية ، ولكن الانسان ليس نفساً فقط ، بل هو نفس وبدن ، ولكل منهما مطالب ، ولذلك لن يكون الانسان ، ما دام على قيد الحياة ومتصلاً بالبدن ، حكيـماً محباً للحكمـة أي فيلسوفـاً فقط . وإذا انفصل عن البـدن عند المـوت بلغت النفس الحكمـة . فإن المـوت للرجل الصـالح مـطية لحيـاة أفضل لأنها حياة النفس » .



وغير سقراط وأفلاطون ، فلاسفة آخرون في عصور مختلفة لم يتعرضـوا للروح ، وإنمـا اجتهدوا في تعـريف النفس . وهم بذلـك لم يقعـوا في اللبس الذي وقع فيه غيرهم . .

فـابن رشد أشهـر الفلاسفـة المسلمين يقـول « أنا نـدرك النفس وأشياء كثيرة ، ولا ندرك حدها ، ولو كنا ندرك حد النفس مع وجودها لكنـا نعلم بالضرورة أنها في جسم أو ليست في جسم » .

ويقول ابن رشد في كتابه « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد أهل الملة « أنه لا مفر من التسليم بوجود حياة أخرى تعود اليها النفس كيما تتلقى جزاءها .

ويقول الامام شمس الدين أبو عبد الله ابن القيم « أن النفس تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها فانها تتأثر وتنتقل عن البدن ، كما يتأثر البدن وينتقل عنها ، فيكتسب البدن الطيب والخبيث من طيب النفس وخبثها » . .

ويتساءل ابن القيم : « ما حقيقة النفس ؟ وهل هي جزء من أجزاء البدن أو عرض من أعراضه ؟ أو جسم مساكن له مودع فيه ؟ أو جوهر مجرد ؟ وهل هي الروح أو غيرها ؟ وهل الامارة واللوامة والمطمئنة نفس واحدة لها هذه الصفات أم ثلاث أنفس ؟ » .

ثم ينتهي بعد ذلك إلى أن النفس « جسم نوراني علوي خفيف يسري في الجسم المادي سريان الماء في الورد . وسريان الدهن في الزيتون ، والنار في الفحم » .

وقال الفيلسوف الطبيب ابن سينا في رسالة (معرفة النفس الناطقة وأحوالها) أن « الجوهر الذي هو الانسان لا يفنى بعد الموت ، ولا يبلى بعد وفاة البدن ، بل هو باق لبقاءخالقه تعالى . وذلك لأن جوهره أقوى من جوهر البدن ، لأنه محرك البدن ومدبره ، ومتصرف فيه ، والبدن منفصل عنه تابع له . فاذن لم يضر مفارقته عن الأبدان وجوده . ثم أن الانسان في نومه يرى الأشياء ويسمعها ، بل يدرك الغيب في المنامات الصادقة بما لا يتيسر له في اليقظة . فهذا برهان قاطع على أن الجوهر غير محتاج إلى هذا البدن ، بل هو يضعف بمقارنة البدن ، ويقوى بتعطله . فإذا مات البدن وخرب ، تخلص الجوهر من دنس البدن » .

وقال سير أوليفر لودج « إن الجسد الأثيري هو وسيط الاتصال بالأثير ، وبالحياة الأخرى ، وبالله . وهو يكون واسطة يتعرض الجسد المادي عن

طريقها للاهتزازات (الذبذبات) التي يسجلها العقل عن طريق الحواس الخمس انعادية ، وهي النظر والسمع واللمس والذوق والشم » . .

ثم يصف لودج الجسد الأثيري بأنه « شفاف لآخر مدى لأنه من أثير ، باق بقاء الكون ، لا يبدد طاقة ، مستقل عن الحوادث التي قد تحدث للجسد المادي المتصل به والمشترك معه » . .

والامام الغزالي فرق بين الروح والنفس حين تحدث عنهما ، والنفس عنده هي الجوهر الذي يجمع بين العالمين ، عالم الغيب وعالم الشهادة ، وهو في ذلك يتفق مع أحدث الفروض التي وضعها انسان العصر الحديث .

وعندما تحدث الامام الغزالي عن سعادة الانسان ، قال انها لا تكتمل إلا بعد الموت ، حيث تختلف حظوظ الناس منها . وقال « إن النفوس التي تشغل بالبدن فيلهيها ويصرفها عن الشوق وطلب الكمال الذي قدر لها ، وعن الشعور بلذة هذا الكمال . . لا تستطيع التخلص بعد الموت مما لحقها من ثقل البدن وشهواته . وتجد أن هناك نوعاً عظيماً من التضاد بين العالم الذي غادرته والعالم الذي انخرطت في سلكه . وحينئذ يشتد بها الأذى » . .

والقرآن الكريم أكد هذه الحقيقة في أكثر من موضع فيه ، وعندما نتأمل قوله تعالى في الآيات ٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ من سورة الفجر : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعي الى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي وادخلي جنتي** ﴾ ، نجد أنه يشير بوضوح إلى أن النفس حين تتخلص من الجسد المادي بالوفاة ، فإنها تعود الى خالقها بكامل إدراكها وحسها وذاكرتها ، وإلا فكيف يخاطب الله سبحانه وتعالى نفساً بلا ادراك ولا حس ولا ذاكرة ، ويأمرها بالعودة اليه والدخول في عباده والدخول في جنته .؟ . . بل كيف يمكن أن تحاسب نفس ثم تثاب أو تعاقب وهي بغير ذاكرة أو إدراك أو حس ؟

إن النفس ، أو الجسدالأثيري » أو « الذات » أو « الأنا » ، هي التي تدري وهي التي لا تدري . . هي التي تحب وتكره . . التي تأنف وتشتهي . . التي تفرح وتحزن . . التي تبتهج وتكتئب . . التي تهفو

وتشمئز . . التي ترنو وتعرض . . التي تعلم وتعقل . . التي تؤمن وتكفر . . التي تشقى وتطمئن . . التي تجيء الى الحياة الدنيا ثم تذهب عنها الى عالم الغيب . . إلى حيث لا نعلم . . إلى حيث لا نرى !.

وإذا خلصنا بعد ذلك إلى أن الانسان نفس وجسد . . فماذا تكون النفس ؟

أين كانت قبل أن تجيء الى الأرض لتمارس الحياة من خلال جسد مادي ؟

أين تذهب بعد أن تغادر الجسد المادي عند الوفاة ؟

هل تعود النفس مرة أخرى لتحيا من جديد في جسد جديد ؟

وإذا كانت الحياة في عالم الغيب أسمى وأعظم ، وأوسع وأرحب فلماذا تعاود النفس الحياة على الأرض مرة أخرى ، في جسد هو بالنسبة لها مجموعة من القيود والأغلال التي تكبل قدراتها وتحد من حريتها ؟

هل للنفس هدف لا تتمكن من تحقيقه إلا من خلال وجودها داخل جسد مادي يمشي على الأرض بقدمين ؟

ما هو هذا الهدف ؟

وأسئلة أكثر يمكن أن تتسع لها القائمة ، أرجو أن نجد معاً الاجابة على بعضها في الصفحات التالية . .

لا شيء يحدث بالصدفة . .
نحن نـولـد لنعيش . . ونعيش
لنتعلم . .! ونتعلم لنرتقي إلى مرتبة
أعـلى ، تؤهلنا للسفـر إلى حيـاة
أخرى ، في عالم آخر نجهل عنه
كـل شيء . . والحياة عـلى هذه
الأرض ، أو عـلى أي أرض
أخرى ، أشبه بفترة الدراسة في
المدرسة . . من يرسب فيها يعد
اليها مرة أخرى . . ومن ينجح
يذهب بعدها الى الجامعة !!

نحن نعيش مرة أخرى !

الذين يرجعون سبب الوجود إلى الصدفة يكفون أنفسهم مشقة البحث وعناء التفكير. فليس أسهل على من ينهكه البحث في أسباب إحدى الظواهر من القول.. أنها الصدفة.. ليريح ويستريح. خلق الكون صدفة.. انفصال الأرض والكواكب عن الشمس صدفة.. خلق الانسان صدفة !!

ومن غير المعقول أو المقبول أن يكون هذا الكون بكل ما فيه من ملايين المجرات وملايين الشموس والكواكب وليد الصدفة وحدها. فالمعلومات المتوافرة لانسان العصر الحديث تقول أن الكون يتألف من ألف مليون مجرة.. وأن المجرة الواحدة تضم حوالي ألف مليون نجم.. وأن كل نجم يتبعه عدد من الكواكب ليؤلف معه مجموعة مثل مجموعتنا الشمسية. ويمكن وصف المجرة بأنها طوق دائري مرصع بالنجوم. يدور حول مركزه بسرعة تعادل ٧٢٠,٠٠٠ ميل في الساعة. وتستغرق الدورة الواحدة لهذا الطوق مائتي مليون سنة !.

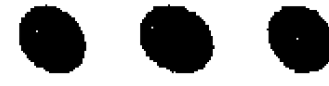
والمجرات تتوزع في أنحاء الكون بحيث تفصل بينها مسافات هائلة تقاس بالسنين الضوئية. والسنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة كاملة. وإذا عرفنا أن سرعة الضوء هي ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية الواحدة (٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر) فاننا نستطيع معرفة ما يقطعه الضوء في الدقيقة، ثم في الساعة، ثم في اليوم. وبعملية حسابية بسيطة يمكن معرفة أن المسافة التي يقطعها الضوء في سنة هي : ٩,٤٦٧,٢٨٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو متر.

وأقرب مجرة بالنسبة للمجرة التي توجد فيها مجموعتنا الشمسية، تعرف باسم « سحب ماجلان »، وهي تبعد عنا بحوالي ٢٠٠ ألف سنة ضوئية. أما أبعد مجرة تمكن العلم الحديث من رصدها، فهي التي اكتشفها الدكتور منكوفسكي في عام ١٩٦٠ وأطلق عليها اسم « ٣ س ٢٩٥ »، وقد قدرت المسافة التي كانت تفصلها عنا عند اكتشافها بحوالي ٤٠٠٠ مليون سنة ضوئية، إلا أنها أخذت تبتعد عنا بعد اكتشافها بسرعة ١١٢٥٠٠ كيلومتر في

الثانية الواحدة . وتبقى بعد ذلك مئات الملايين من المجرات اكثر بعداً عن مجرتنا بملايين السنين الضوئية ، والعلم الحديث لم يتمكن حتى الآن من تقدير المسافات التي تفصلها عنا رغم كل ما لديه من أجهزة الكترونية متقدمة !

وهذه الملايين من المجرات ، والبلايين من النجوم والكواكب تخضع في حركتها لنظم وقوانين غاية في الدقة والأحكام . وهي رغم سرعتها الخرافية تحتفظ فيما بينها بمسافات ، لو اختلت لحدث من الكوارث الكونية ما يعجز العقل البشري عن تصور أبعاده !

ليست الصدفة اذن . . إنما هناك قانون وراء كل ظاهرة . . واتجاه محدد لكل حركة . . ورد فعل محسوب لكل فعل . سواء أدركنا ذلك أو لم ندركه . ولا بد أن يكون فوق هذا الكون الهائل عقل أكبر وأعظم يديره ويراقبه . ومن السذاجة أن يكون كل هذا التكوين بلا غاية أو هدف ، وإلا كان في ذلك نفي لوجود العقل وتفريغ لكل شيء من معناه .



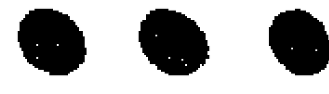
حقائق مذهلة تمكن الانسان من معرفتها . وهو لم يفعل عند اكتشافه لها أكثر من ازاحة الغشاوة التي كانت تحجبه عنها ، فهي موجودة قبل معرفته بها ، لا جدال في ذلك . وعلى سبيل المثال كان الانسان في أوائل هذا القرن يؤكد ان الذرة لا تنقسم ، وكان يجهل دون شك ، أن هناك منذ الأزل ملايين الانفجارات الذرية تحدث في شمسنا ، وفي شموس أخرى ، بسبب التفاعلات الناتجة عن الحرارة الرهيبة والذبذبة الخرافية !! . . وهذا ينطبق على كل ما أدركه الانسان بحواسه أو بأحدث ما لديه من أجهزة الحساب والقياس والتحليل ، لكن الذي لا يزال لغزاً مغلقاً على الانسان حتى الآن هو الانسان نفسه . ورغم المحاولات الجادة والعديدة التي قام بها عدد من الفلاسفة والعلماء لاقتحام النفس الانسانية ، إلا أن كل هذه المحاولات لا تزال في خطواتها الأولى على طريق شاق طويل مظلم . ولقد اجمع كل من تطرق لهذا الموضوع بالبحث أو التأمل ، إنه لا بد أن يكون للنفس الانسانية

هدف من مجيئها الى الحياة فوق هذه الأرض . وأكدت ذلك أيضاً الكتب السماوية . فكل نفس تسعى دائماً في خلال رحلتها الطويلة الى بلوغ هدف نهائي ، هو الاستقرار والخلود بقرب الذات الإلهية ، التي هي في الأصل جزء منها ، وهي في سبيل تحقيق هذا الهدف لا بد لها من التزود بالعلم الذي يرقى بها الى حالة من التطهر والسمو تتيح لها الانتقال الى مرتبة أعلى ، في عالم نعجز حتى الآن عن التعرف على معالمه .. عالم الغيب الذي لا يعرفه سوى خالق هذا الكون العظيم ومدبره .

ومع أن النفس الانسانية فيها كل القدرات .. كالأبصار والسمع والادراك والحس والذوق .. إلا أنها لا تستطيع أن تعلم أو أن تستزيد من العلم وهي منفصلة من الجسد المادي ، الذي توجد فيه أجهزة الحس التي تمارس القدرات عملها من خلالها . فالعين والأذن والأنف ومراكز الحس المنتشرة في كافة أنحاء الجسد المادي للانسان ، هي الأجهزة التي تتعامل بها النفس مع الحقائق وتستشعر المعلومات عن طريقها أو هي المنافذ التي تعبر المعلومات المختلفة من خلالها قبل أن تتجه الى المخ الذي يقوم بفرزها وتصنيفها ، لتجد طريقها بعد ذلك الى الذاكرة ، ذلك المخزن الذي يتسع لكل ما يصل اليه ، ويستوعب كل كبيرة وصغيرة .. ويحتفظ بها الى ما لا نهاية ، وبدون أجهزة الحس لا معلومات .. ولا حقائق جديدة يمكن اكتسابها أو اختزانها .

وليس معنى هذا أن النفس تصبح عاجزة عن الرؤية أو السمع أو الحس ، عندما تكون منطلقة خارج قيود الجسد المادي ، كما في حالة ما بعد الوفاة .. أو ما قبل المولد .. أو أثناء النوم .. أو في فترات الشرود والسرحان ، لكن الأكيد أن كل ما تراه النفس أو تسمعه أو تشعر به ، عن غير طريق أجهزة الحس ، لا يجد طريقة الى الذاكرة ، وعلى ذلك فانه لا يصبح جزءاً من ذخيرة المعلومات التي تستعين بها النفس على فهم الظواهر المختلفة ، وادراك الحقائق المحيطة بها ... مما يجعل الحياة على الأرض ضرورة لا مفر منها ، أو فترة لا غنى عنها ، حتى تتمكن النفس من بلوغ

الارتقاء الذي يعينها على تحقيق هـدفها الأسمى ، لأنـه لا ارتقاء بغـير معرفة . . ولا معرفة بغير علم . . ولا علم بغير ممارسة الحياة على هذه الأرض . . أو على أي أرض أخرى في أية مجموعة شمسية أخرى . . في هذه المجرة أو في أية مجرة أخرى .

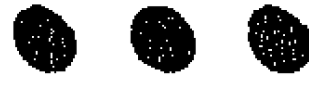


والنفس الانسانية في كل مرحلة جديدة من مراحل رحلتها الطويلة نحو هدفها ، تسعى جاهدة الى اختيار البيئة المناسبة لها ، وكذلك اختيار أبويها في الحياة الأرضية المادية ، وهي حين تنتهي من هذا الاختيار ، تحرص على البقاء حول الأبوين لتقارب بينها وتؤلف بين نفسيهما . وعندما يصل الأبوان الى اللحظة التي يتم فيها الجماع بين جسديهما الماديين ، تنفذ النفس الى بويضة الأم لتساعد الحيوان المنوي على اختراق جدارها والاتحاد معها . ثم لا تلبث النفس أن تندمج اندماجاً كاملاً بهذه البويضة المخصبـة في ظلام الرحم ، فتتكون الجرثومة الحية التي تبدأ في الانقسام والنمو لتكون جنيناً متكاملاً ، له ملامح وتكوين الجسد الانساني المادي الكامل ، وتصبح النفس منذ تلك اللحظة حبيسة فيه ، وتنقطع صلتها بالعالم الأثيري ـ عالم الغيب ـ الذي جاءت منه بناء على طلبها وباذن من خالقها . حتى اذا حانت لحظة المولد خرج الى الحياة الأرضية جسد مادي لين ضعيف رقيق ، ولكن فيه كل قـدرات النفس ، وفيه العقـل أيضاً الـذي يجعـل أجهـزة الحس تؤدي وظائفها . . فيلتقط جهاز التنفس أول الأنفاس ، ويحس الوليد بما حوله ، فيفزع من الضجيج ، ويغمض عينيه اذا تعرضتا للضوء ، ويشعر بالجوع . . ويلتقط حلمة ثدي الأم اذا لامست شفتيه . وسرعان ما ينمو الجسد الصغير وتنمو فيه أجهزة الحس وتزداد كفاءتها .

لكن النفس الحبيسة في الجسد المادي تصبح خاضعة للظروف المادية المحيطة بهذا الجسد . فهي لا ترى الا بعينيه : ولا تسمع الا بأذنيه ، ولا تتحدث إلا بلسانه . . ولا تشم الا بأنفه . أنها محاصرة داخل حدوده . .

محدودة بالمجال الذي يتحرك فيه لا تستطيع أن تتعداه . فإذا أصيب أي عضو من أعضائه بمرض أفقده القدرة على ممارسة وظيفته ، تعطلت القدرة المتصلة بهذا العضو عن ممارتسة عملها . فقدرة الأبصار عند الأعمى لا تمارس عملها . وقدرة السمع عند الأطرش لا تمارس عملها . وإذا أصيب الجسد المادي بمرض أقعده عن الحركة تصبح النفس الموجودة في هذا الجسد مقعدة هي الأخرى .

وهي في هـذه الحالـة تكون عـلى أبواب فشـل يهدد مسيـرتهـا ،ويحـول دونها ودون بلوغ هدفها ، فاما أن تعمل على مغادرة هذا الجسد ، وأما أن تقبل البقاء فيه ، وفي هذه الحالة تعيش حياة تافهة لا تفيد منها كثيراً ، لأنها ستكتسب من المعلومات في عشر سنوات ، مثلاً ، ما كان يمكن أن تكتسبه في سنة واحدة ، لو كان الجسد المادي صحيحاً والظروف المحيطة مواتية . . إن مثل هذه الحياة بالنسبة للنفس تكون قصيرة مهما طالت ، وعندما تغادر النفس الجسد المادي بالوفاة، في مثل هذه الحالات ، تكون في حاجة الى فرصة أخرى . . أو حياة أخرى في جسد آخر صحيح . . في ظروف مادية أخرى تساعدها على بلوغ غايتها في الارتقاء .



ولعل فيما حدث للسيدة مارجريت ستيفنسون ، وهي انجليزية عاشت في مدينة لندن فيما بين عامي ١٨١٣ و١٨٧٣ ما يلفت الانتباه الى ما لم يستطع المحيطون بها ادراك معناه في ذلك الوقت . .

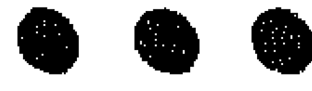
ففي عام ١٨٣١ كانت مارجريت ستيفنسون فتاة رقيقة جميلة في الثامنة عشرة من عمرها ، غير متزوجة ، تقطن مع والديها في احدى ضواحي العاصمة البريطانية ، وفي صباح يوم غائم عرفت مارجريت ، أن السيدة آن ترافورد التي تسكن غرفة في قبو البناية المجاورة ، قد وضعت مولـودتها كريستين . وكانت السيدة آن مصابة بمرض الدرن . . نحيفة . . . هزيلة . . شاحبة دائماً . أما زوجها روبرت ، العامل بمصنع صغير للنسيج فكان سكيراً

مدمناً ، ينفق معظم دخله الضئيل على الخمر ، ويعود الى بيته بعد منتصف كل ليلة مترنحاً ليلقي بجسده المنهك بجوار زوجته التعسة على فراشها الرطب . وعندما بلغت كريستين الشهر الثامن من عمرها أصابها مرض أفقدها بصرها . وفي السنة الثالثة من عمرها أصيبت بضمور في ساقيها حال دونها ودون الوقوف على قدميها . . وبعد ثلاثة أشهر توفيت الأم آن ترافورد متأثرة بمرضها ، الأمر الذي دفع مارجريت الى أن تحيط كريستين بفيض من عطفها وحنانها حتى تمكنت من اقناع والدها روبرت بأن يتركها لها لرعايتها وعلاجها . لكن القدر كان أكثر رحمة بالطفلة البائسة فتوفيت بعد شهرين من وفاة والدتها . وحزنت مارجريت من أجلها حزناً شديداً . .

وفي اليوم الخامس من شهر سبتمبر ١٨٣٤ ، استيقظت مارجريت من نومها لتروي لوالدتها أنها رأت كريستين في الحلم ، وأنها أخبرتها بأنها ستأتي الى الحياة الأرضية مرة أخرى في السابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٨٣٥ . وقالت مارجريت أن كريستين كانت تتدفق حيوية ونشاطاً ، وأنها كانت تسير على قدميها ، والبراءة والسعادة تفيضان من عينيها الزرقاوين الواسعتين . وكانت ترتدي ثوباً أبيض هفهافاً كأنه من سحاب . . ثم ارتسمت الدهشة على قسمات مارجريت وهي تضيف أن كريستين أخبرتها أنها قد اختارتها والدة لها في الحياة المقبلة !!

ورغم أن والدة مارجريت كانت على ثقة من أن ابنتها صادقة دائماً . . جادة دائماً ، إلا أنها لم تعلق بأكثر من ابتسامة بلهاء. أما القس مارتن ، صديق الأسرة ورئيس كنيسة الضاحية ، فقد ربت على كتف مارجريت وقال لها إن حزنها على كريستين المسكينة ، وحبها الزائد لها ، جعلا الطفلة البائسة تعيش في عقلها وقلبها . . لذلك فان ما رأته في الحلم لا يعدو أن يكون مجرد حلم عادي ، إلا أن القس مارتن كان هو نفسه الذي قام باجراء مراسم زواج مارجريت ستيفنسون من الشاب الوسيم جيمس براون في الكنيسة ، بعد ذلك بأربعة أسابيع فقط ، إثر قصة حب سريعة عاشتها مارجريت مع جيمس . الذي تعرفت عليه في حفل عيد ميلاد صديقة لها .

وفي اليوم السابع والعشرين من ديسمبر ١٨٣٥ ـ نفس اليوم الذي حددته كريستين الصغيرة ـ كانت مارجريت تضع مولودة جميلة ، ذات عينين زرقاوين ، فأسمتها « كريستين » . . وعندما بلغت هذه المولودة الثالثة من عمرها كانت صورة طبق الأصل من كريستين الأولى . . ولكن سليمة الجسد . . مشرقة الوجه . . تشع عيناها الزرقاوان بهجة ولمعانا !!



والنظرة المتأملة لهذا الحادث تكشف لنا مدلولاً واضحاً ، هو أن العودة الى الحياة المادية بعد مغادرتها بالوفاة . أمر تتطلع اليه النفس الانسانية الساعية الى الارتقاء .

ولقد أيدت البحوث التجريبية ، التي قام بها عدد من العلماء المهتمين بما وراء العالم المادي ، هذه الحقيقة ، كما أشارت اليها أيضاً الكتب السماوية . .

ففي سورة البقرة في الآية ٢٨ : ﴿ **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون** ﴾ .

وفي سورة طه تقول الآية ٥٥: ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾ .

وفي سورة الحج يقول تعالى في الآية ٦٦ : ﴿ **وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الانسان لكفور** ﴾ .

وفي سورة غافر يقول تعالى في الآية ١١ : ﴿ **قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل** ﴾ .

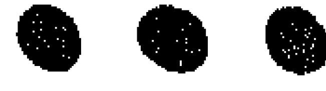
المعنى واضح في الآيات الأربع لا يتطلب اجتهاداً لتفسيره . إن الله سبحانه وتعالى يحيي الانسان من موت ـ كانت تسبقه حياة بالطبع ـ ثم يميته ، ثم يحييه تارة أخرى . أي أن حياة النفس الانسانية تتكرر على الأرض اكثر من مرة . وقد يقول قائل أن الحياة الثانية يقصد بها البعث وأن الحياة الأولى

يقصد بها الخلق لأول مرة ، لكن الآية الثامنة والعشرين من سورة البقرة تقول صراحة : ﴿ كنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ .

واضح أن الموت الأول كانت تسبقه حياة ثم أعقبته حياة جاء بعدها موت ، جاءت بعده حياة .. ثم تجيء بعد ذلك عبارة ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾ .

وفي انجيل متى ١٢:١٧ـ١٣ نجد قول المسيح عليه السلام : « . . . إن ايليا قد جاء ولم يعرفوه . . . حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان » .

واضح أيضاً أن المسيح كان يعني أن ايليا قد عاد الى الحياة الأرضية مرة أخرى ، وأنه هو نفسه يوحنا المعمدان المعاصر للمسيح ، علماً بأن ايليا الذي عناه المسيح كان قد مضى على وفاته نحو أربعمائة عام .



أما عن التجارب المعملية التي تؤكد تكرار مرات الحياة على الأرض فهي كثيرة جداً . وقد قام بإجرائها علماء كثيرون في باريس ولندن وموسكو ونيويورك وبرلين ، وفي مصر أيضاً . ومن هذه التجارب نذكر فيما يلي واحدة أوردها الكونت كولونيل البيردي روشا ، مدير المدرسة الفنية العسكرية بباريس ، مع تجارب أخرى ، في كتابه « الحيوات المتعاقبة » ونقلها عنه الدكتور رؤوف عبيد الأستاذ بكلية حقوق جامعة عين شمس بالقاهرة في الجزء الثناي من مؤلفه « الانسان روح لا جسد » وننقلها هنا عنه .

يقول دي روشا أن السيدة « ج » البالغة من العمر ٣٩ عاماً ، نومت تنويماً مغناطيسياً ، وأنه نجح في ارجاعها بذاكرتها الى ثالث وجود لها ، عندما كانت تعيش في مدينة بريانسون سنة ١٤٩٨ . . فقالت أنها كانت في حياتها تلك جندياً مات بطعنة حربة . وكان الحوار معها كما يلي :

س : وفي أي مكان أصبت بجرحك القاتل ؟

جـ : في مارينيان سنة ١٥١٥ .
س : وفي أي جانب كنت تحارب ؟
جـ : مع الفرنسيين ، وتحت امرة فرنسيس .
س : أي فرنسيس ؟
جـ : فرنسيس ملك فرنسا .
س : وما اسمك ؟
جـ : ميشيل بيري .
س : ومن ذا تحارب ؟
جـ : اولئك السويسريين الخنازير .

ثم استجوبها عن حياتها السادسة فكانت الاجابات كالآتي :

س : أين انت الآن ؟
جـ : في ١٣٠٢ . . وأنا الآن شاب مدرس أبلغ من العمر ١٨ عاماً وأقيم مع أسرة الكونتس جيز .
س : وما اسم ملككم ؟
جـ : لست متأكداً منه ، وأعتقد أنه الملك فيليب لوبون « فيليب الطيب » .

ثم استجوبها عن حياتها السابعة فكانت الاجابات كالآتي :

س : أين أنت الآن ؟
جـ : أنا في سنة ١٠١٠ ميلادية ، وعمري ٨٧ سنة ، وأعمل رئيسة في دير ، وأعتقد أن نهاية العالم قد اقتربت .
س : هل تستطيعين أن تخبريني عن اسم الملك ؟
جـ : إنه روبرت الثاني .
س : وحين كنت في السبعين من عمرك ، من كان الملك ؟
جـ : كابت .
س : وفي الستين ؟
جـ : لويس الرابع .
س : وفي سن ٣٦ ؟

جـ : لـويس الرابـع ، ويقولـون أنه رجـل ليس جميـل المنـظر ، فهـو سمـين متورم ، ولم أره قط . .
س : وحين كنت في سن ٢٤ . . ماذا كانت السنة ؟
جـ : ٩٤٧ ميلادية .
س : ومن كان الملك ؟
جـ : لويس الرابع .
س : وحين كنت في سن الخامسة عشرة ؟
جـ : هو نفسه لويس الرابع .

ثم سأل السيدة المنومة عن حياتها الثامنة فأجابت بالآتي :

س : من أنت الآن ؟
جـ : قائد الفرنجة ، وقد أسرني أتيـلافي شالـون سيرمـارن ، وهناك أحـرقوا عيني .
س : في أية سنة ؟
جـ : سنة ٤٤٩ .
س : هل تعتقد في اله ؟
جـ :
وفوقنا من نسميه ثيوس .
س : وكيف تعبدونه ؟
جـ : نضحي له بالرجال فنحرقهم أحياء !

وعن الحياة التاسعة . . أجابت المنومة مغناطيسياً بما يلي :

س : من أنت الآن ؟
جـ : أنا أحد حرس الامبراطور روبوس .
س : وأين كان هذا ؟
جـ : في روميلوس « روما » سنة ٢٧٦ ميلادية .
س : وماذا كنت تصنع في الخامسة والعشرين ؟

جـ : كنت أقيم في تورينو مع زوجتي .

وعن الحياة العاشرة كانت الاجابات كالآتي :

س : ما اسمك ؟

جـ : أديسية .

ولما سئلت عن اسم البلد التي كانت فيه ذكرت الاسم ، ولكنها لما سئلت عن التاريخ ، قالت أنها لا تعرف ولكن الآلهة تعرف .

والمدهش في هذا كله أنه لا السائل ، ولا المسئولة ، كانا يعرفان شيئاً عن هذه التواريخ . ولكن حين روجعت كتب التاريخ الخاصة بهذه الأزمنة كانت كالآتي :

فرنسيس الأول	: ١٥١٥ ـ ١٥٤٧
فيليب لوبون	: ١٤٧٨ ـ ١٥٠٦
روبرت الثاني	: ٩٩٦ ـ ١٠٣١
لويس الرابع	: ٩٣٦ ـ ٩٥٤
أتيلا	: ٤٣٤ ـ ٤٥٣

وبمقارنة هذه التواريخ بتلك التي ذكرتها السيدة « ج » وهي واقعة تحت تأثير التنويم المغناطيسي ، إتضح أنها تكاد تكون متطابقة ما عدا حالة أو اثنتين في حياتها السادسة والسابعة ، فإن التواريخ تختلف عن الواقع ببضع سنين فقط .

وقد سرد دي روشا حالات أخرى من هذا القبيل ، كما واصل غيره نفس التجارب في عدة بلاد ، فحصلوا على نتائج مشابهة . .

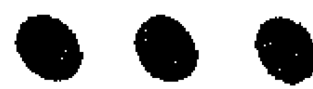
ولعل أهم ما يمكن أن تؤكده لنا تجربة دي روشا هو أن الذاكرة الانسانية مقسمة الى أقسام تتساوى في عددها مع عدد مرات الحياة التي عاشتها النفس ، صاحبة الذاكرة ، على الأرض . ويمكن أن تتسع هذه الذاكرة لأقسام أخرى إذا تكررت حياة النفس لمرات أخرى جديدة .

ويعتبر كل قسم من هذه الأقسام ذاكرة مستقلة يختزن فيه ما يخص حياة واحدة فقط ، لكن يبدو أن الحواجز الرقيقة التي تفصل بين أقسام الذاكـرة ، تتلاشى في حالات نـادرة جداً . وفي هـذه الحالات تقفـز الخبرات وتفـاصيل الأحداث السابقة فجأة الى الذاكرة الحالية ، ويتذكر المرء حينئذ تفاصيل دقيقة لأحداث عاشهـا منذ مئـات السنين في حيـاة أخرى سـابقة لـه لا تمت لحياتـه الحالية بأي صلة ، ولعل هذا يفسر ظهور حالات النبوغ المبكر عند أشخاص لم يتجـاوزوا بعد من العمـر سن الرابعـة أو الخامسـة ، ولديهم من الخبـرة ما يمكنهم من أن يقـوموا بـأعمال فنيـة أو ذهنية تتـطلب مرانـاً وممارسـة تستغرق عشرين أو ثلاثين سنة على الأقل . ورغم أن الناس قد استراحوا في تفسيرهم للنبـوغ المبكر بـأنه مـوهبة من عنـد الله ، إلا أنه يبـدو تفسيراً سـاذجاً ـ رغم اقتـرانه بـالإرادة الإلهية ـ لأن الله سبحـانه وتعـالى حض البشـر في كـل كتبـه السماوية على السعي اليالمعرفة والاستـزادة من العلم ، وكان قـادراً على خلق البشـر جميعـاً أصحـاب مـواهب ، وهـو القـادر الـوهـاب . لكن الحـوادث والتجارب المعملية تؤكد غير ذلـك ـ ومن هذه الحـوادث نذكـر واحدة وقعت عام ١٩٦٠ في مدينة طرطوس السورية الواقعة على سـاحل البحـر المتوسط ، وأثارت جدلاً طـويلاً في الصحف والمنتـديات السـورية ، وتنـاقلتها وكـالات الأنباء العالمية .

وبطل هذا الحـادث فتى في الحاديـة عشرة يـدعى وليد . وكـان تلميذاً فاشلاً في دراسته الابتدائية، فألحقه والده باحدى ورش اصـلاح السيارات في المـدينة . وعنـدما بلغ وليـد الخامسـة عشر ظهـر عليه نبـوغ ، وذاع صيته في المـدينة بـأسرهـا ، ثم امتد الى المـدن المجاورة ، وكـان وليد يتصـدى لأكـثر مـوتورات الـديزل تعقيـداً ، بل أن من بهـرهم نبوغـه كانـوا يعرضـون عليـه موتورات ديزل جديدة وحديثـة فيرسم لهم أجـزاءها الداخلية ويحـدثهم عن التعديلات الجديدة التي تم ادخالها عليها ، وفائدة هذه التعـديلات في زيـادة كفـاءة الموتـور . وعندمـا بلغ وليد السنـة السادسـة عشرة من العمـر حـدثت المفاجأة التي اذهلت الجميع ، فقد تحدث لغة المانية صحيحة . وقال أنـه كان مهندساً ألمانيا يعمل في تصميم الموتورات . . وأن اسمه هـانز . . . وأنـه توفي

عام ١٩٤٢ ـ قبل عامين فقط من مولده في مدينة طرطوس السورية ـ أثر حادث قرب مدينة فرانكفورت بألمانيا ، تحطمت فيه سيارته ولقي هو مصرعه . والغريب الذي حدث بعد ذلك أن طبيباً سورياً يدعى غسان المصري ، ممن يقطنون في طرطوس ، استبد به الفضول فسافر الى المانيا ليستوضح حقيقة الأمر ، فاذا به أمام الحقيقة الكاملة . . أن وليد الميكانيكي السوري غير المتعلم ، أو هانز المهندس الألماني العالم ، صادق في كل كلمة نطق بها . وعاد الطبيب السوري غسان المصري الى مدينة طرطوس ومعه زوجة وابن المهندس الألماني هانز والبوم صوره وهو طفل وشاب ورجل على أبواب الكهولة . وكانت صور هانز الفتى الألماني تشبه وليداً تماماً ، باستثناء أثر جرح في جبين وليد الفتى السوري ، أصيب به في مشاجرة بينه وبين بعض الصبية قبل التحاقه بالعمل في الورشة الميكانيكية لاصلاح السيارات بطرطوس بحوالي شهر واحد . أما اللقاء بين السيدة هانز وابنها ووليد فكان فريداً غريباً . . اختلطت فيه الدهشة . . مع الخوف . . مع الدموع . . مع العناق . . مع الحيرة . . مع النظرات البلهاء . . مع صيحات الله أكبر التي أطلقها عدد من السوريين الذين شاهدوا الواقعة !

وهذا الحادث يضعنا ـ هو الآخر ـ أمام حقيقة امكان العودة الى الحياة الأرضية مرة أخرى ، وجهاً لوجه ، ونحن لا ننقله ، عن رواة . إنما عايشناه وشهدنا تفاصيله التي كانت مدينة طرطوس مسرحاً لها . وأما وليد الميكانيكي السوري . أو هانز المهندس الألماني ، فلا يزال على قيد الحياة حتى الآن . وقد انتقل الى فرانكفورت في ألمانيا وأقام فيها ، لكن زياراته لأسرته الثانية في طرطوس لم تنقطع . وهو يعي تفاصيل حياتية تماماً لأن ذاكرتيه اختلطتا بعد تلاشي الحاجز الفاصل بينهما ، وأصبحتا ذاكرة واحدة . وقد توفيت زوجته الألمانية في عام ١٩٦٤ بعد اصابتها بسرطان في الدم . وعند دفنها في مقبرة هانز كانت رفاته السابقة لا تزال موجودة !!



وقصة أخرى من الصين ، أذاعت تفاصيلها وكالات الأنباء العالمية

مؤخراً ، ونشرها ملحق صحيفة « الأهرام » الصادر يوم ٢٠ من مارس ١٩٨١ .

وبطل هذه القصة طفل اسمه « وي رويانج » ، استطاع وهو في السادسة من عمره أن يقرأ ويكتب آلاف الكلمات الصينية . وعندما بلغ الثانية عشرة ، فوجىء أفراد أسرته الذين يعيش معهم في مدينة « لانزهو » شمالي الصين ، بأنه يستطيع النفاذ ببصره خلال الناس والأشياء ، وكأن عينيه مزودتان بأشعة أكس ، ويستطيع أن يشخص الأورام التي يعاني منها المرضى ، وأن يرى بوضوح ما يجري في الغرف المجاورة ، وفي البيوت الأخرى ، دون أن يدخل اليها !

وتقول والدة « وي رويانج »اكتشفت في ابنها هذه القدرة بالمصادفة في الثالثة من مارس ١٩٨٠ . وقد أدهشها ذلك في أول الأمر ، ولكن لأنها تعمل أستاذة في المعهد الطبي بلانزهو ، قررت أن تتناول الأمر كله بطريقة علمية . فأجرت لأبنها عدة اختبارات اجتازها بمنتهى السهولة . . وكان من بين هذه الاختبارات أن الأم كتبت حرفاً على ورقة ووضعتها بالقرب من أذن ابنها ، فقرأها دون أن يراها بعينيه !

وقالت الأم أن ابنها يستطيع استخدام هذه القدرة الغريبة حين يريد . وأنه حين يقرر ذلك ، يشعر بطنين في اذنيه ، ثم يرى بعد ذلك اشعاعات تنبعث من الأشخاص والأشياء ، ويصبح كل شيء شفافاً . .

واستطاع الصغير « وي رويانج » مؤخراً ، أمام حشد من الصحفيين العاملين في صحيفة « يانجشنج وابناد » اليومية الكبرى التي تصدر في جنوبي الصين ، أن يذكر بالتحديد مكان قلم حبر في درج مكتب ، في إحدى غرف الطابق السابع ، بينما كان هو جالساً في الطابق الأول ! . . وأن يصف تفاصيل أي جزء من جسم أي انسان يقف أمامه ، بدقة متناهية وصلت الى مائة في المائة ، وكأنه ينظر الى صورة أشعة ، رغم أنه ليست له معرفة بالطب !

واستطاع الطفل ، أمام الصحفيين أن يشخص ورماً صغيراً في عين امرأة تجلس على بعد أربعة أمتار منه . وقال لرجل يدعى « دانج » أنه يعاني من بقعة سوداء على الجزء الأيمن من القلب . وهذا ما تأكد منه دانج بعد ذلك ، عندما قام بتصوير قلبه بالأشعة !

وفي حديث صحفي نشرته صحيفة « نانفانج ريبارد » ، التي تصدر في جنوبي الصين أيضاً ، قال الطفل « وي رويانج » أن من بين الألعاب المحببة اليه ، تحديد أماكن مواسير المياه والمجاري ، وكابلات الكهرباء ، الموجودة تحت الأرض ، وأنه يستطيع أن يعرف بسهولة كل ما تفكر فيه والدته !!

وعندما عرضت صحيفة « نانفانج ريبارد » هذا الطفل على الأطباء والعلماء الصينيين ، لم يقدموا أي تفسير بيولوجي ، كل ما قالوه أنهم يعتقدون بأن هناك ارتباطاً بين قدرة الصبي غير العادية ، وبين الطنين الذي يشعر به في أذنيه . . أما ذلك الطنين نفسه ، فلم يعرفوا أي تفسير علمي له !!

وقد نشرت صحيفة « نانفانج ريبارد » بعد ذلك حالات أخرى ، لأطفال آخرين يتمتعون بقدرات غير عادية . بينهم الطفل الصغير « شن يجيا » الذي لم يتجاوز بعد الشهر الثالث والعشرين من عمره.، ويعرف ما لا يقل عن ألف حرف من الحروف الصينية ، وهو أمر خارق حقاً إذا ما عرفنا مدى تعقيد بعض هذه الحروف !!

وطفل آخر يدعى « لي بوجاينج » ، في السادسة من العمر اجتاز بنجاح الامتحان الذي يؤهله للالتحاق بالمرحلة الثانية من التعليم الثانوي . وهو امتحان مقرر أصلاً للفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ و١٥ سنة !

وقد قرأ « لي بوجاينج » حوالي خمسين كتاباً ، من بينها بعض المؤلفات الأدبية ، رغم أن والدته لا تقرأ ولا تكتب !!

والتفسير العلمي لذلك ، هو أن هؤلاء الأطفال عاشوا في عصور سابقة ، وأنهم بلغوا أثناء ذلك درجات عالية من العلم والخبرة . . ثم قفزت

هذه المعلومات فجأة من عمق الذاكرة القديمة الى الذاكرة الحالية لتندمج مع خبراتهم المحدودة فأصبحوا أصحاب خبرات لا تتفق مع أعمارهم .



واذا كانت الأمثلة التي سقناها في السطور لسابقة تبدو غريبة بعض الشيء ، فإن الأغرب منها ، تلك القدرات الخارقة التي يتمتع بها بعض الناس ونتحدث عنها في صفحات تالية .

إن رؤيـة أحـداث المـاضي والمستقبـل ، والتحدث الى نفـوس الموتى ، هي إحدى قـدرات النفس الانسـانية . وهـذه القـدرة تكـون عـلى درجـة كبيـرة من النشـاط ، عندما تكون النفس منطلقـة خارج أغـلال الجسـد المـادي ، كـما في حالات النوم ، أو أثنـاء الشرود أو السرحان !!

هذا الأب الميت
ماذا يقول ..؟؟

نفسي .. ونفسك .. ونفس أي واحد من سائر الناس ، ليست موجودة داخل هذا الجسد المادي الذي يمشي على الأرض بقدمين فقط ، إنها فيه وحوله أيضاً .

وما يوجد من النفس خارج الجسد ، يبدو كغلاف مشع تختلف درجة الاشعاع فيه من موضع الى آخر . الحكماء الهنود توصلوا الى معرفة هذه الحقيقة منذ القدم . والرسامون الأوائل عبروا عنها بهالات من الضوء تحيط بالجسد ، ولم تلبث هذه الهالات أن تضاءلت بعد ذلك حتى أصبحت مجرد دائرة مضيئة فوق الرأس ، ما زلنا نراها حتى الآن في صور الملائكة والقديسين .

والعلم الحديث يقول : إن مراكز القدرات الانسانية ، الموجودة في النفس هي مصدر الاشعاع المحيط بالجسد المادي ، لأنها تتلقى الطاقة الكونية وتنتج منها موجات اشعاعية . وهذه المراكز موزعة على مواضع مختلفة من الجسد بدايتها عند نهاية العمود الفقري ، ونهايتها عند نقطة تقع بين الحاجبين في الوجه . أما أكبر المراكز فموجود في قمة الرأس ، واسمه المركز التاجي ، وفيه تتألق بشدة اشعاعات يزيد عددها على ٩٥٠ اشعاعاً يغلب عليها اللون البنفسجي ، وفي وسطها ١٢ اشعاعاً تتوهج بلون ذهبي خاطف . ويمثل المركز التاجي نقطة الاتصال بين الجسد المادي والنفس الانسانية التي تغشاه .

إن الاشعاع الذي ينضح من أي جسد حي ، هو نبض الحياة ، أو هو دليل الحياة ، وهو أيضاً دليل على وجود النفس في الجسد ، لأن الأجساد الميتة لا يصدر عنها أي اشعاع . وقد أمكن التأكد من ذلك ، عن طريق التصوير بكاميرات دقيقة تستخدم الأشعة تحت الحمراء ، وأمكن أيضاً تصوير أجساد حية بعد أن غادر أصحابها أماكنهم ، لأن اشعاعات أجسادنا تظل موجودة لفترة قصيرة في الأماكن التي نغادرها قبل أن تتلاشى تماماً . وكم من الصور التقطت لأناس في أماكن بعد أن غادروها ، واستخدمت تلك الصور بعد ذلك كوثائق لا يمكن التشكيك فيها !

هذا ما أكده العلم بوسائله وأجهزته الدقيقة . وعلى ضوئه نستطيع أن نقرر ، باطمئنان ، أن الجسد المادي للانسان ، ليس الا مجرد وعاء تزاول النفس من خلاله استخدام قدراتها اثناء فترة حياتها الأرضية . وهي تستطيع أن تغادر هذا الجسد لفترات قصيرة جداً ، ثم تعود اليه . وفي أثناء ذلك تبقى النفس على صلة بالجسد المادي عن طريق الحبل الأثيري ـ الذي يتميز بطبيعة مطاطة جداً ـ لتهيمن عليه وتمده بقدر من الطاقة يكفي لابقائه على قيد الحياة . ولعل هذه الحقيقة هي الأصل العلمي الذي توارثه انسان هذا العصر ، عن انسان عصر سابق ازدهر فيه العلم ، ويستند عليه العامة الآن ـ دون أن يدركوا ـ عندما يحذرون من ايقاظ شخص نائم بصورة مفاجئة ، خشية أن يموت !

والتفسير العلمي يقول : إن الايقاظ المفاجىء لا يخرج عن كونه استدعاء عاجلاً للنفس ، التي قد تكون هائمة على بعد هائل من جسدها المادي . . ويكون مجيئها السريع أشبه بمجيء تيار كهربائي قوي ، فجأة ، إلى جهاز راديو ، مما قد يترتب عليه احتراق أحد الصمامات الضعيفة ، فيتعطل الجهاز بشكل كامل !

ولكن أين تكون النفس ، وماذا تفعل ، أثناء فترات غيابها المؤقت عن جسدها المادي ؟

الجواب انها تكون منطلقة بلا قيد في أرجاء الكون الأثيري الفسيح الذي هي في الأصل تنتمي اليه . وهي أثناء ذلك الانطلاق لا تقف أمام حاجز ، ولا يعوقها عائق . . وترى وتسمع بغير حدود . . وترتاد أماكن لم تطأها قدم صاحبها طوال حياته الحالية . . وينتفي بالنسبة لها حينئذ ما نسميه بالزمن تماماً . فلا ماضي ولا مستقبل . . ولا مسافات . وقد ترى النفس أثناء تجوالها أحداثاً وقعت في أزمنة غابرة !

وكثيرون منا يستيقظون من نومهم ليقولوا أنهم رأوا أنفسهم ـ أثناء الحلم ـ في أماكن غريبة رأوها من قبل في أحلام سابقة فقط ! . . أو ليقولوا

أنهم جلسوا مع آبائهم الذين ماتوا منذ سنين ، وتحدثوا معهم في أمـور تتعلق بهم . ومع أننا نكون أثناء الحلم مدركين أن هؤلاء الآباء قد مـاتوا منـذ زمن طويل ، إلا أننا قد نسألهم . . « ألستم بميتين ؟ . . » وفي هذه الحالة يتهربون من الاجابة !

وقد يعاون الآباء الميتون أبناءهم الأحياء في حل مشكلة معقدة يعـانون منها في الحقيقة . وقد يفضون اليهم بأخبار أحداث ستقع لهم ، أو يحـذرونهم من الشروع في عمل كانوا ينوون البدء فيه . .

وفي حـالات كثيرة طلب أحـد الآباء الميتـين من ابنه سـداد دين لأحـد الأشخاص الأحياء . ولم يكن الابن يعلم عن ذلـك الدين شيئـاً في الواقـع . وعندما يستيقظ من النـوم ، ويذهب الى صـاحب الدين ، يكتشف ان الأمـر حقيقي . . وأن صاحب الدين كان قد قرر عدم المطالبة بماله لأنه لم يكن لديه مـا يثبت ذلـك ، أو لأنـه خشي أن يشـك الابن في نـزاهتـه ، أو أن يتهمـه بالنصب !

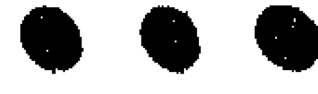
إن رؤيـة أحداث المـاضي والمستقبل ، والتحـدث الى نفوس المـوتى ، هي إحدى قدرات النفس الانسانية . وهذه القدرة تكون على درجة كبيرة من النشاط ، عندما تكون النفس منـطلقة خـارج أغلال الجسـد المادي ، كما في حالات النوم ، أو في اثناء الشرود أو السرحان . ومن منا لم يشرد وهو جالس في بيته بين أفراد أسرته، أو أثناء وجوده في مكان ما بين أصدقائه ، ثم شدتـه الى الـواقع لمسـة يد ، أو نـداء بصوت مـرتفـع ، ليكتشف أن أحـدهم ظـل يتحدث اليه ، لبضع دقائق ، دون أن يسمع من كلامه كلمة واحدة ؟!

وعندما نسأل الأشخاص المحيطين بشخص شارد ، فـانهم يقررون أنـه كان موجـوداً بينهم بجسده فقط . أمـا أحاسيسـه فكانت غـائبة عنـه تمامـاً ، لدرجة أن أحدهم وخزه بدبوس عدة مرات فلم يشعر !

وذات مرة سئل شخص أفاق لتوه من لحظة شرود . وقد ارتسمت على وجهـه علامـات الغضب . سألـوه اين أنت ؟ . . فقـال : « كنت أفكـر في

أرض زراعية أملكها ، ينازعني على حدودها رجل يملك أرضاً مجاورة . وقد رأيته الآن يردم القناة التي تفصل بين أرضي وأرضه ،ويحفر بدلاً منها قناة أخرى داخل حدود أرضي ! . . » .

والغريب الذي تأكد بعد ذلك أن الجار كان يقوم بردم القناة ، يعاونه عدد من الرجال . في نفس اللحظة التي شرد فيها صاحب الأرض !!



وحكاية أخرى رواها لي صحفي مصري ، دون أن يعرف اهتمامي بالنفس الانسانية وقدراتها وهو صحفي جاد يتمتع بثقة من يعرفونه . وكان هدفه من رواية الحكاية إراحة نفسه من عبء الاحتفاظ بها لشدة غرابتها . .

لقد ظل هذا الصحفي يرى حلماً واحداً لا يتغير . بناء قديم قائم وسط خلاء موحش . في واجهته درجات سلم حجرية تؤدي الى غرفة بلا سقف ، متهدمة الجدران ، تتناثر على أرضها بعض الأحجار الكبيرة والصغيرة. وعند نهايتها ممر ضيق مسقوف تنضح جدرانه برائحة عفنة ، ويشعر المرء عند دخوله بالخوف والرهبة . وينتهي هذا الممر الى غرفة فسيحة مظلمة ، لا توجد فيها سوى فتحة واحدة ضيقة تفضي بدورها الى ممر حجري طويل ، على جانبيه غرف صغيرة ، في أعلى كل منها كوة صغيرة يدخل منها الضوء والهواء . ويظل صاحبنا أثناء الحلم يتنقل بين هذه الغرف وهو يشعر بالضيق والخوف . ثم يستيقظ من النوم فجأة ليتنفس الصعداء .

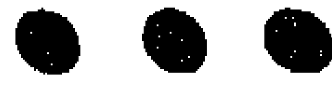
كان هذا الحلم يتكرر ، على فترات متقطعة ، لمدة ثلاث سنوات كاملة ، نفس المكان . . نفس التفاصيل . . بنفس الترتيب ، كأنه شريط سينمائي يتكرر عرضه!

وفي نهاية السنوات الثلاث ، سافر الصحفي الى الجزائر لحضور أحد المؤتمرات السياسية . وكانت أول مرة تطأ فيها قدماه أرض الجزائر . وبعد انتهاء المؤتمر ، وجهت الحكومة الجزائرية الدعوة الى وفود الصحفيين لزيارة بعض المعالم الأثرية والسياحية القريبة من العاصمة . وعندما توقفت سيارة

الأتوبيس المكيفة ، أمام سجن قديم قائم في الخلاء ، بعيداً عن مدينة الجزائر بحوالي أربعين كيلو متراً ، كان الصحفي المصري هو الشخص الوحيد ، بين الجميع . الذي استبدت به الدهشة . لقد وجد نفسه ، فجأة ، وجهاً لوجه مع البناء الموحش الذي ظل يراه في الحلم !. . فانطلق أمام الجميع ، دون أن يحفل بالمرشد السياحي المرافق للوفد الصحفي ، وقفز فوق درجات السلم الحجري ، وعبر الغرفة المتهدمة غير المسقوفة الى الممر الضيق الرطب ، ليصل الى الغرفة الثانية المظلمة ، وهو يعرف طريقه جيداً الى الفتحة الضيقة المؤدية الى الممر الحجري الطويل الذي تقع على جانبيه الزنزانات الضيقة .

وقد حرص على دخول كل واحدة من تلك الزنزانات ، وتأكد من وجود الكوة الصغيرة في أعلى كل منها ، التي يدخل منها الضوء والهواء !!

ومنذ ذلك اليوم لم يعد يرى الحلم المفزع مرة أخرى !!



رجل آخر ، مهندس ، عاد الى بيته ذات يوم فوجد طفله الوحيد راقداً على فراشه ، وعندما سأل زوجته ، انهمرت دموعها ، وقالت بصوت يخنقه البكاء، أن الطفل تناول أقراصاً منومة !

غضب الرجل ، واتهم زوجته بالاهمال ، ثم تطور النقاش بينهما ليصبح شجاراً . ورغم أن الزوجة كانت طبيبة . إلا أن الزوج استدعى طبيباً ليطمئن على سلامة ابنه . وهدأت العاصفة ، لكنها احتدمت مرة أخرى في المساء ، مما اضطر الزوجة الى مغادرة المنزل تاركة خلفها الزوج والطفل . واستبد الغيظ بالرجل . وتمزقت في داخله كل أواصر الارتباط التي تشده الى زوجته ، التي طاوعها قلبها على ترك ابنها مريضاً واهناً لا يقوى على مغادرة الفراش ؟!

وعندما استلقى الزوج على سريره ، تذكر كل الأخطاء القديمة ، حتى الأخطاء التافهة تضخمت لتصبح دليلاً دامغاً ضد الزوجة المهملة ، التي شغلها عملها عن البيت والطفل والزوج . وقرر في نهاية الأمر الخلاص منها

بالطلاق . وقبل أن يستسلم للنوم كان قد رتب في رأسه كل الخطوات .

لكن والده المتوفي جاءه في الحلم . قال له لا تتسرع . وقال له أيضاً أن الزوجة كانت مشغولة باعداد الطعام في المطبخ ، عندما صعد الطفل فوق كرسي ، وتناول علبة الأقراص المنومة ، وابتلع منها أربعة ، وأعادها إلى مكانها على الرف ، ثم ذهب الى والدته في المطبخ وأخبرها أنه فعل كما تفعل هي . إنها المثل بالنسبة للطفل . . وحبه لها هو الذي جعله يقلدها ويتشبه بها !

وقال الأب الميت أن الزوجة هلعت من تصرف الطفل . . . وأنها أجرت له الاسعافات اللازمة . . وأن الطفل الآن بخير . . وانه يعاني فقط من بعض الأعياء . وأنه سيعود الى طبيعته في الصباح وكان شيئاً لم يكن . . ولذلك ، فالاصرار على الطلاق لا مبرر له . لأن الزوجة لم تخطىء . لكن الزوج احتد على أبيه في الحلم ، وقال له أن قرار الطلاق لا رجعة فيه . . فما كان من الأب الا أن صفعه على خده الأيسر وانصرف عنه غاضباً ! واستيقظ الزوج من نومه وهو يستعيذ بالله من الشيطان . . لكنه كان لا يزال يشعر بألم الصفعة ! . . وعندما أضاء المصباح ونظر الى المرآة ، رأى على خده الأيسر خطوطاً حمراء بشكل أصابع كف اليد !

وعاد الى الفراش مذهولاً . ولم يغمض له جفن حتى تسللت اشعة الشمس من خلال شيش النافذة . والذي حدث بعد ذلك انه استمع الى كل التفاصيل من زوجته . كانت هي نفس التفاصيل التي قالها الأب الميت له في الحلم ، ولم تكن الزوجة قد روتها من قبل أثناء احتدام عاصفة النقاش بينها وبينه !!

ماذا يحدث ؟ . .

من يذهب إلى من ؟

هل يذهب الحي الى الميت ؟ . . أم أن الميت هو الذي يجيء الى الحي ؟.

كيف يتم اللقاء والحوار بين ميت غائب وحي حاضر ؟ . .

كيف يعرف رجل مات منذ سنين يجيش في نفس رجل آخر على قيد الحياة ؟! وكيف يصنع ميت حياً ويترك على خده أثراً مادياً يدل على ذلك ؟!

كيف ينتقل رجل حي ، وهو نائم ، إلى أرض أخرى ، في دولة أخرى لم تطأها قدماه ، ويرى تفاصيل بناء مهجور بمثل هذه الدقة المتناهية ؟!

وإذا كان العلم يقول ان النفس الانسانية تستطيع أثناء فترات النوم والشرود أن تغادر الجسد المادي وتجوب آفاق الكون الأثيري ، فانه يقول أن نفوس الموتى تكون هناك أيضاً !

وسواء رفضنا هذا التفسير أو قبلناه ، فان ذلك لن ينفي الحقائق التي يلمسها كل منا بمقدار معين !

إن بيننا من يفضي اليه أب ، أو أم ، أو قريب ، أو صديق ميت بخبر لم يكن يعلمه ثم يتضح صدقه فيما بعد . . هذه حقيقة أخرى !

إن بيننا من يصادف إنساناً لم يره مطلقاً ، وجزم بأنه رآه من قبل وبعد أن يجهد نفسه في محاولة يائسة للتذكر ، يريح عقله بأن يردد القول الشهير « يخلق من الشبه أربعين » . . هذه حقيقة ثالثة !

إن بيننا من يسافر الى بلد لأول مرة فيشعر أنه ارتاد هذا المكان قبل ذلك ، وأن في نهاية الشارع يقع دكان لبيع السجائر ، وأن البائع قصير وسمين وأصلع . . وعندما يصل الى هناك يجد أن ذلك كله شيء حقيقي . . هذه حقيقة رابعة !

وفي الريف المصري يؤكد بعض الناس أنهم رأوا فلاناً يطوف معهم حول الكعبة بينما كانوا يؤدون فريضة الحج ، وفلان هذا لم يغادر القرية ، ولم تطأ قدمه أرض الحجاز . . وعندما يسألونه فانه يصف كل شبر فيها ، ويحدثهم عن أشياء لم يرها بعضهم ويؤكد بعضهم الآخر أنه رآها . . ثم يستريح الجميع من الحيرة عندما يقول واحد أن فلاناً هذا من « أهل

الخطوة » !! وهذه حقيقة خامسة . .

وفي القرآن الكريم يقول تعالى في الآية الأول يمن سورة الأسراء :

﴿ سبحـان الـذي أسـرى بعبـده ليـلاً من المسجـد لحرام الى المسجـد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير » .

وما زال علماء التفسير يجتهدون حتى الآن في تفسير هذه الآية الكريمة ، بعضهم يقـول أن رسـول الله ، صـلى الله عليـه وسلم ، انتقـل من المسجـد الحـرام الى المسجـد الأقصى بجسـده . . وبعضهم الآخر يقـول أن جسـد الرسول لم ينتقل !

ونحن لا نريد أن نضيف الى إجتهادات علماء التفسير جديداً ، ولكننـا نريد بمـا قلناه قبـل ذلك ، أن النفس الانسـانية لـديها القـدرة التي تمكنها من السفـر في الزمن . . وهي أثنـاء ذلك تـرى وتسمع ، وتتصـل بنفوس أخـرى وتحتك بها وتخاطبها !

واذا كان هذا الاستنتـاج يجعلنا نـواجه عشـرات جديـدة من علامـات الاستفهام ، فان على الصفحات التالية محاولات للاجابة عليها !

لا زمن بغـير أحـداث . .
ونحن ندرك الزمن ما دمنا نعيش داخـل أجسادنـا المادية عـلى هـذه الأرض . . وحـين نغـادر الأرض الى عالم الغيب فاننـا نعيش عندئـذ في اللازمن . المسافـات تنعدم . . . الفـواصل بـين المـاضي والحـاضـر والمستقبل يتلاشى . الرؤية تمتد الى مـا لا نهايـة . . كـل شيء يبـدو واضحـاً . . أحـداث المـاضي والمستـقبـل مـوجـودة في لحـظة واحدة ، على خط واحـد ، بدايتـه تمتد الى عمق بداية الخلق ، ونهايته تلامس لا نهائية المستقبل !

المستقبل لا يجيء
نحن نذهب اليه !

إن ذاكـرة الانسان ـ أي إنسـان ـ ما هي إلا شـريط تسجيل لأحـداث عاشها ، ويتسع لأحداث أخرى ستقع في المستقبل . . كل الأحـداث تتتابـع وتتسلسـل بطريقـة منتظمـة وفق ترتيب حـدوثها . . ويستـطيـع الانسـان ان يستـدعي ، في أية لحـظة ، أي جزء من هـذاالشريط ليـرى الحدث المسجـل عليه . . وربما يرى أثناء ذلك جزئية لم ينتبه اليهـا عندمـا كان يعيش الحـدث نفسه لحظة وقوعه . وعندئذ يتساءل : كيف وقع ذلك ولم أدركه ؟

والأحداث التي تقع لشخص ما ، لا تكون مرتبطة بالزمن الذي وقعت فيه فحسب ، بل أيضاً بالمكان الذي كان مسرحاً لها . . أو بالمكان الذي كان يـوجد فيـه الشخص لحظة سماعه بـوقـوع الحـدث . إن الصلة بـين الـزمن والمكـان وثيقة ، بـل إن الزمن والمكـان يمتزجـان معاً عـلى شريط الـذاكرة الى الأبـد ، فاذا استـدعى الشخص فيها بعـد تفاصيـل حادث مـا ، وقعـلـه من قبـل ، جاءت معـه تفاصيـل المكان الـذي وقع فيـه الحدث دون استـدعاء . كذلك اذا مر انسان بمكان شهد فيه حادثـاً ذات يوم ، فـان تفاصيـل الحادث تقفز من عمق الذاكرة وتطفو فوق السطح دون استدعاء . .

وهكذا تصبح الذاكرة الانسانية مخزناً للأحداث وتفاصيل الأماكن . . . أو هي في الحقيقة زمن مخزون !

لكن ما هو الزمن ؟ . .

إن الاجابة على هذا السؤال الذي قد يبدو بسيطاً ، تصبح معقدة غاية التعقيـد ، حينها نعلم أنـه لا يوجـد شيء اسمه الـزمن . . وإنما يـوجـد فقط الاحساس به . واننا حين نقول « الزمن » لنعني الماضي والحـاضر والمستقبـل لا نكون في جانب الدقة الكاملة . . لكن نكون قريبين منها الى حد ما . . .

والعـالم الكبير اينشتـين صاحب نـظرية النسبيـة يقول « ليس للزمن من حقيقة قائمة بذاتها . . إنه من خواص المادة . . والمستقبل قد يتصل بالحـاضر وقد يلحق بالماضي . . ونحن في حياتنا نقتطع في كل لحظة جزءاً من المستقبل لينضم هذا الجزء الى الماضي » .

وهناك تعريف آخر للزمن يقول انه الماضي والمستقبل . . وأما الحاضر فهو منطقة التلامس بينهما ، أو هو منطقة التداخل بين الاثنين ، التي تشبه المنطقة الرمادية الناشئة عن تداخل الأبيض مع الأسود . .

ونحن لا نستطيع أن نقف الى جانب هذا التعريف لأنه يجعل الحاضر منطقة شبه ظل تتسم بعدم الوضوح . كما أننا نرفض القول بأن الزمن هو المستقبل والماضي وأن الحاضر هو اللحظة التي نقتطع فيها جزءاً من المستقبل ليصبح ما اقتطعناه ماضياً .

أن الحاضر لا يمكن أن يكون « هذه اللحظة » . أو ما تعنيه كلمة « الآن » وإلا كان هذا الحاضر نقطة على خط يمثل نصفاه الماضي والمستقبل ويمتد كل منهما في عكس اتجاه الآخر الى ما لا نهاية ، ولكن يمكن تصور الحاضر فترة يتفاوت طولها من شخص الى آخر ، بحيث تبدأ من لحظة مولد الشخص وتنتهي بغيابه الكامل عن العالم المحسوس ، وبذلك يكون حاضر الطفل الذي يبلغ من العمر الآن خمس سنوات هو الخط الذي يبدأ من هذه اللحظة ويمتد الى الخلف مسافة تنتهي عند لحظة مولده ، وبنفس التصور يصبح حاضر شيخ يبلغ من العمر الآن ستين عاماً ، خطاً ممتداً الى الخلف طوله ستون سنة . . ولا شك في أن كلاً من الطفل والشيخ يمكنه أن يتنقل بسهولة بين الأحداث التي تتجاوز لتصنع خط عمره ـ حين يريد ذلك ـ ويرى ويسمع ويحس تفاصيلها .

وإذا كانت الأحداث التي وقعت لشخص ما في حياته الحالية موجودة في ذاكرته ورهن اشارته ويمكن استدعاؤها في أية لحظة ، فانها تصبح جزءاً من الحاضر وغير منفصلة عنه ، وفي هذه الحالة يمكن القول ، دون تردد ، أن حاضر أي إنسان يمتد ليشمل كل الأحداث التي يعيشها الآن . . أما الأحداث التي وقعت قبل ذلك فبديهي أنها غير قابلة للاستدعاء الى العقل الواعي ، لأنها غير موجودة في الذاكرة الحالية ، وبالتالي فانها تعتبر جزءاً من الماضي . ولا تكون من الحاضر الا بالنسبة للذين كانوا على قيد الحياة وعاصروا حدوثها وعاشوها .

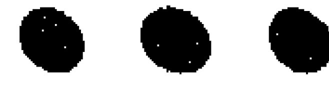
وهكذا يمكن أن نصل الى صيغة واضحة لتعريف الزمن ، فنقول أنه أحداث الماضي والحاضر والمستقبل ، التي تكون خطاً واحداً نقطة بدايته تضرب في العمق السحيق لعمز الانسانية ، وتمتد نهايته لتلامس لانهائية المستقبل . ويتمثل الماضي على هذا الخط بالأحداث التي وقعت وانتهت قبل لحظة المولد ، ويتمثل الحاضر بالأحداث التي وقعت منذ لحظة المولد وحتى الآن ، أما المستقبل فتمثله مجموعة الأحداث التي ستحدث منذ اللحظة التالية للحظة التي نعيشها الآن ، وهذا المستقبل يمتد الى ما لا نهاية .

ولعل هذا التعريف يجعلنا أقرب الى الحقيقة التي نستشعرها ونعجز عن استيعابها ، إلا وهي أن أحداث الماضي والحاضر والمستقبل موجودة في ذات اللحظة ، واننا نحن الذين نتحرك في اتجاه تلك الأحداث حتى ندركها لمعايشتها .

ولكي نكون أكثر وضوحاً فاننا نضرب المثل بمراحل اليوم الواحد فنقول ان الفجر والصبح والظهر والمساء لا تأتي علينا ، وإنما نحن الذين نذهب اليها . وادراك ذلك غاية في السهولة ما دمنا نعرف أن الأرض تدور حول نفسها ، وأن البقعة التي نعيش فوقها من الأرض هي التي تتحرك أمام حزمة الضوء الهائلة المنبعثة من الشمس . فحينما نكون في مواجهة مركز هذه الحزمة الضوئية تماماً فاننا نكون في الظهيرة ، وباستمرار دوران الأرض نبعد تدريجياً عن مركز الحزمة الضوئية فيكون العصر ، ويكون المغرب . . حتى اذا ابتعدنا تماماً عن كل خيوط الضوء ، وأصبح جسم الكرة الأرضية فاصلاً بيننا وبين الشمس . يكون الليل الذي لا يلبث أن ينتهي عندما تقترب بقعتنا الأرضية من الطرف الآخر لحزمة الضوء فنشهد الفجر ثم الصبح . . وهكذا .

معنى هذا أننا نذهب الى الصبح والظهر والمغرب والعشاء بحركة محسوبة بدقة متناهية ، وليست هي التي تجيء الينا . وبنفس القياس نستطيع القول أن المستقبل ـ القريب والبعيد ـ موجود في نفس اللحظة التي يوجد فيها الحاضر ، وربما يساعدنا أكثر المثال الذي نسوقه فيما يلي على أن نجعل تصور هذه الحقيقة قريباً من الادراك .

فلو افترضنا أن رجلين يجريان على خط واحد ، وأن الأول يسبق الثاني بمسافة كيلومتر واحد ، فان ما يراه الأول في لحظة ما ، يعتبر مستقبلاً بالنسبة للثاني في نفس تلك اللحظة . . وسوف يصبح هذا المستقبل حاضراً بالنسبة للثاني عندما يدركه ويراه بعد ساعة أو نحو ذلك . ونستطيع أن نجعل لحظة الرؤية مستقبلاً أكثر بعداً بالنسبة للثاني لو جعلنا المسافة التي تفصل بينه وبين الرجل الأول عشرة كيلومترات مثلاً . لأنه سيرى الأشياء التي رآها الأول بعد خمس ساعات بدلاً من ساعة . وعندما نقول ان العلامات الموجودة على الطريق حقيقة تؤكدها رؤية الأول لها ، فاننا نقرر في نفس الوقت ان المستقبل بالنسبة للرجل الثاني موجود بكل تفاصيله كحقيقة مؤكدة ، رغم انها ستبقى مجهولة بالنسبة له حتى يدركها ، سواء طال الوقت الذي يفصله عنها أم قصر . ونقرر أيضاً أن المستقبل موجود بكل ما فيه ، ولا يجيء ، وإنما نحن الذين نتحرك في اتجاهه حتى ندركه . فاذا أدركناه عشناه ، وإذا عشناه أصبح حاضراً خاضعاً لحواسنا العادية ، ويبقى بعد ذلك ما لم ندركه ، ويمكن أن نسميه مستقبلاً . .



لا زمن اذن بغير أحداث . . ولا زمن أيضاً بغير احساسنا به ونحن نعيش حياتنا على هذه الأرض . أما اذا غادرت النفس جسدها المادي وانتقلت الى عالم الغيب الأثيري ، فانه لا وجود لمستقبل أو ماض ، وإنما يصبح الزمن شيئاً واحداً خاضعاً لادراك النفس التي تحيا في عالم الغيب اللامحدود . أي أن الزمن يتغير بتغير الصورة التي يوجد عليها الانسان ، كما أنه يتغير بتغير الظروف المحيطة بالانسان .

ولعل الدكتور عبد الجليل راضي قد لمس هذا المعنى في كتابه « العالم غير المنظور » حين قال : « الزمن نفسه يتغير لو تغيرت ظروفنا . فاننا اذا تخلصنا من الأرض المادية واحتللنا مكاناً مستقلا لا يرتبط بجاذبيتها ولا بقوانينها سوف لا نشعر بالزمن الذي تعودنا عليه ، ولا يصبح للعمر أو الفناء لدينا أي معنى . أننا عندئذ لا نعرف سوى « اللازمن » . . لا ماض ولا

مستقبل ، ولكن الحاضر وحده هو الذي نعيش فيه » .

أما في الحياة الأرضية ، فان النفس تعيش من خلال جسدها المادي حاضراً منفصلاً عن كل من الماضي والمستقبل بحاجز كثيف يحول دونها ودون الرؤ ية الواضحة للأحداث الموجودة في كل منها فهل تستطيع القفز فوقه ؟.

إن الحقائق العلمية والتجارب المعملية ، كلها تشير الى أن هذا الحاجز الكثيف موجود داخل الانسان نفسه ، وأن القفز فوقه يصبح أمراً مستطاعاً لو توافرت للانسان الإرادة على ذلك ، ولكن هذا لن يكون الا اذا درب الانسان قدراته الكامنة فيه على ممارسة نشاطها . وفي هذا المعنى يقول اليكس كارل ، الطبيب والعالم الفسيولوجي الحاصل على جائزة نوبل عام ١٩١٢ : « إننا نعلم أن البصر المغناطيسي قد يكتشف أشياء مخبأة على مسافات بعيدة ، فبعض الأشخاص يرى حوادث وقعت فعلاً في الماضي ، أو ستقع في المستقبل) . . ».

ويقول كاريل أيضاً : « يوجد في أفراد معينين قدرة على السفر في الزمن . وكأنهم يجولون بسهولة في العالم المادي ، وهم يستطيعون تأمل أحداث الماضي والمستقبل ثم يعودون مرة أخرى الى الحاضر » .

وفي القرآن الكريم أكثر من دليل على أن الانسان يستطيع عبور الحاجز الكثيف ـ أثناء حياته الأرضية ـ إلى الماضي أو المستقبل . ففي الآيات ٤ و٥ و٦ من سورة يوسف ، يقول تعالى :

﴿ إذا قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين . قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً أن الشيطان للانسان عدو مبين . وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق إن ربك عليم حكيم ﴾ .

في هذه الآيات يضعنا الله سبحانه وتعالى أمام حقيقة ذات شقين ،

الأول منهما ، أن يوسف عليه السلام عبر ـ وهو نائم ـ الحاجز الفاصل بين الحاضر والمستقبل ورأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له والشق الثاني أن أباه يعقوب ، عليه السلام ، قد عبر نفس الحاجز ـ وهو متيقظ ـ ليرى نفس الحدث . ولكن الفارق بين يوسف ويعقوب أن الأول رأى الحدث مرموزاً ، والثاني رآه بغير رمز . والدليل على ذلك أن يعقوب قد طلب من يوسف ـ كان لا يزال طفلاً ـ ألا يقصص رؤ ياه على أخوته ، وكانوا أحد عشر أخاً ، ولم يكن ليطلب اليه ذلك أو لم يدرك أن الأحد عشر كوكباً هم أخوة يوسف . والادراك لا يمكن أن يكون الا عن رؤ ية .

ولكن الحدث الذي رآه كل من يوسف ويعقوب كان حتى لحظة رؤ يا يوسف وتفسير يعقوب له مجرد رؤ يا ، وبعد ذلك بعدد من السنين ـ يربو على العشرين على الأقل ـ وقع الحدث بكل تفاصيله . فالآيتان ٩٩ و١٠٠ من سورة يوسف تقولان :

﴿ فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين . ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين أخوتي أن ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم ﴾ .

والنظرة المتأملة لتلك الواقعة تجعلنا في مواجهة أمرين . . الأول أن الله سبحانه وتعالى قد اطلع يوسف عليه السلام ، على الغيب عندما رأى رؤ ياه ، كذلك مكن يعقوب ، عليه السلام . من رؤ ية الغيب فأدرك معنى رؤ يا يوسف . وأما الأمر الثاني فهو أن كلاً من يوسف ويعقوب قد عبرا الحاجز الفاصل بين الحاضر والمستقبل ، ورأيا حدثاً بكامل تفاصيله ، قبل أن يقع بعشرين سنة على الأقل !

وسواء أخذنا بالأمرين أم بأحدهما فاننا نكون أمام حقيقة هامة أكدها القرآن الكريم وهي أن الأحداث موجودة بكل تفاصيلها في المستقبل في ذات

اللحظة التي يوجد فيها الحاضر .

ولربما يقول قائل أن يوسف ويعقوب عليهما السلام من النبيين ، وأن الله سبحانه وتعالى قد رفع عنهما الحجاب ، ولكن ما جاء في سورة يوسف لا يفيد هذا المعنى بقدر ما يؤكد حقيقة وجود المستقبل والحاجز جنباً الى جنب في ذات اللحظة . وأن الانسان أي إنسان - يستطيع القفز فوق الحاجز الى المستقبل ، بغض النظر عن كونه من النبيين أو من غيرهم . يقول الله تعالى في الآية ٤٣ من سورة يوسف :

﴿ وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات يا أيها الملأ افتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ .

تلك كانت رؤ يا فرعون مصر الشهيرة . فقد استطاع فرعون - وهو نائم - أن يعبر الحاجز ويتوغل في المستقبل ، ويرى حدثاً موجوداً بكل حذافيره وتفاصيله . ولم يكن فرعون نبياً مثل يوسف عليه السلام ، بل كان مجرد انسان كافر . لكنه استطاع رغم ذلك أن يقترب من الحقيقة ويلمسها مع أنها كانت لا تزال شيئاً مجهولاً في المستقبل .

وعندما ذهب رجل فرعون الى يوسف الصديق في السجن ، وروى له رؤ يا فرعون ، وطلب منه تفسيراً لها . استطاع يوسف ، وهو في حالة يقظة كاملة ، أن ينفذ الى المستقبل ويتوغل فيه الى مسافة خمسة عشر عاماً . ويرى الحدث ويروي تفاصيله بغير رمز . . فقد قال تعالى في الآيات ٤٧ و٤٩ من سورة يوسف ؛

﴿ قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبلة الا قليلاً مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴾ .

وكان يوسف عليه السلام على يقين من أنه نفذ الى المستقبل ولمس الحقيقة ، الى درجة أنه طلب من فرعون أن يسند اليه الولاية على صوامع

الحبوب بعد تخزينها . وهذا تؤكده الآية ٥٥ من سورة يوسف حين تقول :

﴿ قال اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم ﴾ .

وهكذا ، مرة أخرى ، نرى في القرآن الكريم ما يؤكد وجود المستقبل في ذات اللحظة التي يوجد فيها الحاضر ، ويؤكد أيضاً أن الحاجز القائم بين الاثنين يمكن أن يتلاشى أمام القدرات الانسانية النشطة حتى لو كانت النفس لا تزال داخل جسدها المادي مكبلة وغير قادرة على الانطلاق من اغلاله . وهناك عشرات الأمثلة على ذلك .

وإذا نظرنا الى تاريخ الانسان ، فسنجده حافلاً بعشرات النماذج من الرجال والنساء ، ممن امتلكوا القدرة على التوغل في عمق المستقبل ، بينهم من تمكن من رؤية احداث تحققت على الفور . وبينهم من رأى أحداثاً وروى تفاصيلها بمنتهى الدقة ، قبل أن تقع ـ بنفس التفاصيل ـ بثلاثة قرون كاملة !!

بعض هؤلاء الأشخاص كان ينطلق الى المستقبل أثناء النوم ، ليتجول ويرى . وعندما يستيقظ يروي تفاصيل ما رآه . . وهذه هي الرؤى . أما البعض الآخر فكان يستطيع اقتحام المستقبل والتوغل فيه وهو في حالة يقظة كاملة . وكل ما يعتريه أنه يبدو لمن حوله ، أثناء ذلك ، كما لو كان شارداً . وعندما يفيق من تلك الحالة ، فانه يروي تفاصيل أحداث حقيقية ، تتعلق بأشخاص حقيقيين . . وهذه هي التنبؤات التي تتحقق بحذافيرها . ولو بعد حين !!

وإذا اتفقنا الآن على ان نسمي صاحب القدرة على رؤية أحداث المستقبل ، « عرافاً » فإن من بين أقدر العرافين الذين لمعت اسماؤهم عبر التاريخ ، ميشيل نوستراداموس ، الذي تحدث عنه الكاتب والمفكر الانجليزي كولن ويلسون في الدراسة التي قام بها مؤخراً عن الانسان وقواه الخفية .

كان ميشيل نوستراداموس انساناً عادياً ، لا يختلف عن غيره من أبناء

عصره . ولد في مدينة سانت ريمي بفرنسا عام ١٥٠٣ ، لأبوين مسيحيين من أصل يهودي . وتعلم في صغره اللغات اللاتينية واليونانية والعبرية . وعندما أصبح شاباً التحق بجامعة مونتبلييه لدراسة الطب . وما أن استكمل دراسته الجامعية حتى وجد نفسه منغمساً في مقاومة وباء الطاعون الذي اكتسح ولاية بروفانس . كان يعمل لساعات طويلة دون كلل . وظل يتنقل بين القرى والمدن التي ضربها الوباء طوال المدة بين سنتي ١٥٢٥ و١٥٢٩ . وعندما عاد بعد ذلك الى مدينة مونتبلييه ، مارس الطب وقام بتدريسه في جامعتها لبضع سنوات . ثم شرع مرة أخرى في التنقل والسفر المستمر حتى استقر في مدينة أجين ، حيث تزوج من فتاة جميلة أنجب منها طفلين .

وازدهر عمل نوستراداموس كطبيب ، وذاع صيته . وعرف بحبه لعمله وعزوفه عن الأضواء ، وميله الشديد الى التواضع . لكن وباء الطاعون انفجر مرة أخرى . وكانت زوجته وطفلاه بين ضحايا ذلك الوباء اللعين هذه المرة . فلجأ الى السفر مرة ثالثة . وقضى ثماني سنوات لم يعرف خلالها الاستقرار في مدينة واحدة لأكثر من شهر . وأثناء تجواله هذا ، اكتشف في نفسه القدرة على الاستبصار الأحداث قبل أن تقع . كان يشعر في بعض اللحظات أنه يمتلك حاسة متفوقة ، تمكنه من التوغل في المستقبل بسهولة غريبة . وكانت تلك اللحظات خاطفة كالوميض في البداية . إلا أنه استطاع بعد ذلك ان يستدعي تلك الحاسة حين يريد !

وتحكي احدى القصص أن نوستراداموس شاهد اثناء تجواله في ايطاليا ، شاباً يدعى « فيلكس بيريتي » . وكان ذلك الشاب يرعى بعض الخنازير ، فما كان من نوسترا داموس الا أن ركع على ركبتيه أمام الشاب ، وناداه قائلاً : « قداستك » !

وقد أصبح راعي الخنازير هذا راهباً بعيد ذلك ، ثم أصبح فيما بعد البابا « سيكتس الخامس » !!

وفي عام ١٥٤٧ قرر ميشيل نوسترا داموس أن يستقر في مدينة

« سالون » فتزوج من أرملة . واشترى منزلاً ، وأمضى ما تبقى من عمره في تلك المدينة ، يمارس الطب وكتابة « تنبؤاته » . وحقق لنفسه شهرة واسعة في أوربا كلها بوصفه متنبئاً . وقد كان حريصاً على أن يؤكد أنه لم يكن دارساً لعلوم الغيب .

وبعد ثمانية أعوام من الاستقرار في « سالون » ، نشر الطبعة الأولى من تنبؤاته تحت عنوان « قرون » . وقد صاغ تنبؤاته في مقاطع صغيرة . كل مقطع من أربعة أسطر فقط . وقد تميزت تلك المقاطع بغموض بالغ . ويبدو أنه تعمد ذلك حتى لا يتهمه أحد بممارسة السحر . خاصة أن بعض المقاطع كان يتنبأ بصعود أو سقوط بابوات وملوك .

وعندما سمعت كاترين دي مديتشي ، زوجة هنري الثاني ملك فرنسا ، بقدرة نوسترادادموس على التنبؤ ، استدعته الى قصرها . وأخبرته أن عرافاً قد تنبأ منذ أربعين عاماً بموت الملك هنري الثاني أثناء مبارزة . وأنها تريد منه أن يخبرها اذا كان ذلك صحيحاً ؟ . وعندئذ قرأ نوسترا داموس أحد مقاطع كتابه « قرون » على مسمع من الملكة . وكانت كلمات المقطع تقول بالحرف الواحد :

الأسد الشاب سيغلب العجوز في ميدان الحرب في قتال فردي . وفي قفص من الذهب سيفقأ عينه . فيصبح الجرحان جرحاً واحداً . ثم يموت ميتة قاسية » .

وبعد خمس سنوات من مقابلة الملكة كاترين لنوسترا داموس ، تزوجت ابنتاها . احداهما من فيليب عاهل اسبانيا . والثانية تزوجها دوق سافوي . واشترك الملك هنري في المبارزات الودية التي جرت ضمن احتفالات الزفاف ، ناسياً النبوءة القديمة التي اكدها نوسترا داموس . وبينما كان الملك يتصادم بالرمح مع شاب يدعى جابرييل في المبارزة ، انكسر رمحه ، واخترقت احدى الشظايا القفص الذهبي الذي كان الملك يحمي به وجهه ، فانفقأت عينه ، ونفذت الشظية الى المخ لتحدث جرحين متصلين . وعاش الملك بعد

الحـادث عشرة أيـام ، عـانى خـلالهـا من آلام رهيبـة ، قبـل أن يمـوت ميتـة قاسية !!

وكان لهذا الحادث أكبر الأثر على الملكـة كاتـرين نفسها . فـواظبت من بعده على استشارة ميشيل نوسترا داموس في كل مـا يتعلق بمستقبل أولادهـا . ولكن المفاجأة التي أذهلت الملكـة هي ما وجـدته متعلقـاً بها في أحـد مقاطـع كتاب « قرون » الذي قال بالحرف :

« ستبقى السيدة لكي تحكم بمفردها بعد موت قرينها الفذ عـلى ساحـة الشرف . وبعد حدادها سبع سنوات ستعيش وتحكم عهداً طويلاً » .

وفي زيارات متتالية قامت بها الملكة لميشيـل نوسـترا داموس ، استمعت منه لعدد من النبوءات تتعلق بأبنائها . قال لها أن ابنها الأكبر فرانسيس الذي سيتـولى العرش بعـد والده هنـري الثاني ، سيمـوت بعد تسمم دمـه وهـو في الثـامنة عشـرة من عمره . . وأن ابنهـا الثـاني تشـارلس الـذي سيخلفـه عـلى العـرش سيموت بـداء السل وهـو في منتصف العشرينـات من عمره بعـد أن يتسبب في مذبحة رهيبة ، وأن هنري الأصغر سوف يموت بطعنة سكين !

وذات يوم ذهبت الملكة كاترين لزيارة نوسترا داموس ، وكان في معيتها طفل صغير في السادسة من عمـره ، هو هنـري أمير دافـار ، وعندمـا شاهـد نوسترادامـوس هذا الطفل أصر على أن يراه عارياً ، ودهشت الملكة ، وخـاف الصبي ، ولكن عندما حل الليل ونام ، استدعت الملكـة نوستـرا داموس الى غرفة نـوم الصبي وجردتـه من ملابسـه ، ونظر نـوسترادامـوس ملياً الى ظهـر الصبي وكتفيه وعنقه ، ثم قال للملكة التي كان فضولها قد بلغ ذروته ، « إن هذا الصبي سيكون ملكاً ذا بأس » !

وكان الذين عاشوا بالقرب من الملكة كاترين ، والذين تتبعوا تاريخها ، يعرفون أن كل ما قاله نوسترا داموس لها ، وكتبه عنها ، قد تحقق بحذافيره . فقـد ظلت كاتـرين في حداد عـلى زوجها هنـري الثاني لـمدة تسـع سنـوات . وعاشت وحكمت طوال ثلاثين سنة أخرى ، أو أنها على الأقل قد لعبت دوراً

بالغ الأهمية في شئون فرنسا . فابنها فرانسيس الثاني ، الذي خلف والده هنري الثاني ، ظل معتل الصحة دائم المرض ، حتى مات في الثامنة عشرة من عمره بعد اصابته بتسمم الدم . وابنها الثاني تشارلس التاسع ، كان في العاشرة من عمره عندما جلس على عرش فرنسا ، فحكمت كاترين البلاد حتى كبر . وبعد ذلك بقيت صاحبة النفوذ والكلمة . وقد تسبب تشارلس التاسع بالفعل في مذبحة سانت بارتو لوميو الشهيرة التي جرت لبروتستانت فرنسا . ثم مات بعد اصابته بمرض السل وهو لا يزال في منتصف العشرينات من عمره . . أما هنري الثالث الذي اعتلى عرش فرنسا بعد موت تشارلس التاسع ، فقد طعنه الراهب جاك كليمنت بسكين وهو في المرحاض ، ومات على الفور ، وبعد ذلك جلس هنري أمير دافار على عرش فرنسا رغم أنه كان بروتستانتياً ، وكان بالفعل ملكاً ذا بأس !!

وقد اختلف الباحثون في تفسير تنبوءات نوسترا داموس التي جاءت في كتابه « قرون » . ولا شك أن بعض مقاطع الكتاب قد أثار قدراً كبيراً من الدهشة لاقترابه من بعض المسائل التفصيلية الدقيقة التي يصعب أن تلفت النظر لحظة حدوثها ، أو في مكان وقوعها وزمانه . . خاصة أنه قد تحدث عن أحداث وقعت بعد ذلك بثلاثة قرون . وذكر أماكن ضئيلة الشأن ، وقال أنه ستقع فيها أحداث جسام تجعل من المكان التافه مكاناً مشهوراً مرة واحدة في التاريخ .

من ذلك على سبيل المثال المقطع الذي يقول :

« إن زوجين ملكيين يأتيان من طرق ملتفة وعرة ، عبر غابة « رينز » ويتوقفان عند صخرة « هيرن » البيضاء ، ثم يدخلان قرية « فارين » ، قبل أن يسقط الرأس ، وتثور العواصف ، وتشب النار ، وتسيل الدماء ، وتنقطع الأطراف والرؤوس » .

في هذا المقطع كان ميشيل نوسترا داموس يتحدث عن الملك لويس السادس عشر وزوجته الملكة ماري انطوانيت ، أثناء رحلتها المشؤومة في محاولة الهرب من فرنسا ، قادمين من باريس ، فيعبران غابة رينز ، يتوقفان

عند تل هيرن الصخري الأبيض ، أمام الحرس الذي لا يفطن لهويتهما ويسمح لهما بالمرور ليدخلا قرية فارين ،حيث يلقي القبض عليهما بسبب خيانة الكونت دي ناربون الذي وشى بهما !

وبعد اعتقال الملك والملكة ينفجر حكم الارهاب الذي يقتلان اثناءه بالمقصلة ، ويقتل ايضاً المئات بقطع الرؤوس والأطراف !!

ومن المذهل ان نوسترا داموس تحدث في المقطع التالي مباشرة ، عن « سوس » وهو اسم البقاع الذي سيقوم باعتقال لويس السادس عشر ويحتجزه في منزله . وعن « ناربون » الذي سيشي بالملك ويكشف شخصيته ، وكان ناربون وزيراً للملك لويس ومتواطئاً مع الثوار في نفس الوقت . وهو الذي وشى بالملك بالفعل !!

وعن الثورة الفرنسية أيضاً قال نوسترا داموس « في عام ١٧٨٩ نار ودماء وحديد وحبل » . وقال أيضاً « إن كل من ابتكر تلك الأشياء واستخدمها سيموت بها » وذكر مذبحة « نانت » بالاسم وقال : « أن « كاريير » سينفذ فيه حكم الاعدام » . ونانت هي المدينة التي حكمها السفاح المجنون كاريير أثناء فترة الارهاب الدموي . وعندما حاول أهل المدينة الثورة عليه والخلاص منه ، أباد نصفهم ، وقتل أولادهم في لذة سادية مرعبة ، وفجأة صدر في باريس الحكم باعدام كاريير . وتم تنفيذ الحكم !!

ويقول الباحثون ان نوستراداموس كان فذاً عندما تنبأ لنفسه بالموت ، وكتب ذلك في كتابه « قرون » . فقد قال بالحرف « أنه سيعاني من مرض النقرس وأنه سيموت بعد الانتهاء من أداء مهمة يكلفه بها أهل مدينته « سالون » في مدينة « آرليه » .

وقال في هذه النبوءة أيضاً أن أقرباءه واصدقاءه واخوته سيعثرون عليه بالقرب من فراشه عندما يكون في طريقه الى الله .

وبعد سنوات قليلة من هذه النبوءة أوفده أهل سالون مرة أخرى بيوم واحد عثر عليه أقرباؤه وأصدقاؤه وأخوته ميتاً بالقرب من سريره . ودفنوه ،

بناء على ما جاء في وصيته ، في جدران إحدى الكنائس .

أما آخر تنبؤات نوسترا داموس فهي تلك التي حدد فيها عام ١٩٩٩ موعداً لوقوعها . فهو يقول ، في أحد مقاطع كتابه « قرون » :

« مثل ملك الغزاة العظام القدماء الهائل ، في عام ١٩٩٩ . . في الشهر السابع . . سيهبط ملك الغزاة العظيم من السماء . في هذا الزمن سيحكم مارس لصاحب قضية الحق » .

وقد فسر بعض العلماء هذه النبوءة بأنها نهاية العالم ، وقال بعضهم الآخر أنها قد تعني غزواً من الفضاء الخارجي . . وقال البعض الثالث أن عبارة « ملك الفزع العظيم » قد تعني القنبلة الهيدروجينية . وقال البعض الرابع أن نوستراداموس قد وصف في مقاطع أخرى من كتابه جنكيزخان بـ « ملك الغزاة العظام » . وإذا كان نوسترا داموس قد بدأ النبوءة بتلك العبارة ، فربما كان يريد الاشارة الى أن الخراب الذي سيتعرض له العالم في عام ١٩٩٩ ، سيأتي من نفس الجهة التي جاء منها جنكيزخان . خاصة أنه تحدث في مقاطع أخرى من كتابه عما سماه « بالرعب الأصفر » !!

ونحن لا نريد أن نقطع بأن نبوءة نوستراداموس الأخيرة سوف تتحقق بالضرورة عندما يحين الشهر السابع من عام ١٩٩٩. وإنما الذي أردنا أن نقوله بسرد نبوءاته التي تحققت بحذافيرها ، أن التاريخ حافل بأصحاب القدرة على اختراق الحاجز الذي يفصل بين الحاضر والمستقبل . وعندئذ يستطيعون بسهولة رؤ ية تفاصيل أحداث حقيقية قبل أن تقع بمئات السنين !

فهل تقف قدرة الانسان عند هذا الحد ؟ . . إن الصفحات التالية تحمل الاجابة على هذا السؤال ، وعلى عشرات الأسئلة الأخرى !!

لقد كانت حاسة الشم القوية، وحاسة السمع فوق العادية، والتنبؤ بالخطر قبل وقوعه، من القدرات النشطة عند الانسان قبل خمسة ملايين من السنين ... لكنها سقطت فيما بعد فريسة للاهمال عندما أصبح الانسان في غير حاجة اليها .. إلا أن هذه القدرات لم تختف اختفاء تاماً، بل إنها تستيقظ فجأة عند البعض حين تطرأ ظروف تؤدي إلى وجودها !!

وكانت السيارة الأخرى سوداء بالفعل !!

في حالات كثيرة جداً ، كان في وسع الانسان أن يكتشف قدرات غير عادية عند الطير والحيوان . . ولكن ما أقل الحالات التي استطاع فيها الوصول الى معرفة أسرار تلك القدرات . .

وفي كتاب « حواس غامضة » ذكر مؤلفه فينوس . ب . دروتشر ، أن الطائر المسمى « ذا القبعة السوداء » يطير أثناء الليل مسترشداً بالموجات الضوئية التي ترسلها النجوم !

وأن قوافل أسماك السلامون تعرف طريقها ، أثناء هجراتها السنوية عبر البحار والمحيطات ، بواسطة حاسة شم بالغة التطور ! . .

وأن النحل يهتدي أثناء طيرانه بأشعة الشمس !

وأن الحمام الزاجل يحدد موقعه أثناء طيرانه الطويل مستعيناً بأشعة الشمس في قراءة خطوط الطول والعرض ، ومقارنتها بخطوط طول وعرض مواقع بيوته التي يحتفظ بصورتها في ذاكرته !

وأن في جميع أنهار العالم تعيش أناث ثعابين السمك عند المنبع ، ويعيش الذكور عند المصب ، وفي موعد محدد من كل عام تتجه الاناث نحو المصبات ليرافقها ذكورها في رحلة طويلة الى جزر الهند الشرقية في المحيط الهادي ، حيث تتزاوج وتضع بيضها ثم تعود بعد ذلك الى نفس الأنهار التي جاءت منها . . وعندما يخرج الصغار من البيض ، ويكتمل نموها ، فانها تقطع نفس الرحلة عبر بحار وأنهار لم ترها من قبل لتصل إلى موطن أبوابها !!

وأن مجموعة من علماء جامعة ويلهلم في مدينة شافن الألمانية أخذوا عدداً من القطط داخل حقيبة مغلقة ، في جولة طويلة بالسيارة حول المدينة . . وعندما أطلقوا سراح القطط فجأة ، في ميدان له أربعة وعشرون مخرجاً ، استطاع معظم القطط ان يتجه مباشرة ، ودون تردد ، كل الى المخرج الذي يقع في اتجاه بيته !.

ولا بد أن الانسان أيضاً كان يستطيع ، منذ خمسة ملايين سنة ،

استخدام قدرات مشابهة ، بنفس الكفاءة ، ليتمكن من التنبؤ بالخطر قبل وقوعه ، عندما كان يبحث عن طعامه في غابات شاسعة ، أو سهول مكشوفة ، تشاركه العيش فيها مخلوقات أقوى وأضخم تمتلك قدرات متفوقة للشم ، والسمع ، والرؤية ، والحركة . . والبطش أيضاً . وإلا لكان أسلافنا الأوائل قد فنوا عن آخرهم أثناء صراعهم المرير ، من أجل البقاء في مواجهة تلك المخلوقات العملاقة المتوحشة !

لقد كانت حاسة الشم القوية ، وحاسة السمع فوق العادية والتنبؤ بالخطر قبل وقوعه ، من القدرات النشطة عند الانسان القديم . . لكنها سقطت فيما بعد فريسة للاهمال عندما أصبح الانسان في غير حاجة اليها ، بعد انتقاله من الغابة والسهل الى القرية ثم المدينة ، إلا أن هذه القدرات لم تختف تماماً . . فهي تستيقظ فجأة عند البعض حين تطرأ ظروف تتطلب وجودها !!

وإذا كنا قادرين على تفسير اهتداء الحمام الزاجل الى بيوته ، فانه من المهم أيضاً أن نعرف كيف يستطيع الانسان استخدام قدراته غير العادية بنفس السهولة والكفاءة ، التي يستخدم بها الحمام الزاجل قدراته . . ولا سبيل لنا الى ذلك بغير الاستعانة بما يقوله العلم في هذا المجال . . فماذا يقول ؟!

كل الدراسات والأبحاث ، التي اتخذت من الانسان محوراً لها ، أجمعت على أن العقل اللاواعي للانسان يعمل بسرعة ودقة تفوقان كثيراً ما يستطيعه عقله الواعي ، لأنه يستخدم معلومات أكثر دقة تتوافر له عن طريق حواس تفوق قدراتها قدرات الحواس الخمس العادية . .

وإذا سلمنا بهذه الحقيقة ، فاننا سوف نتمكن من تفسير الكثير مما يستطيعه بعض الناس ، ويبدو في نظر البعض الآخر غير عادي أو من الخوارق . .

لكن ما هو المقصود باللاوعي عند الانسان ؟

بتبسيط شـديد ، يمكن أن نعتبـر ذاكرة الانسـان قسمين . . الأول هـو « اللاوعي » ويحتفظ فيه الانسان بالمعلومـات والخبرات التي لا يحتـاج اليها في حياته العادية ، والثاني هو « الوعي » الذي يتسـع للمعلومات والخبـرات التي يستعين بها الانسان في حياته العادية ، وتتحكم في كل تفسيـراته لما حولـه ، وتتحكم في سلوكه أيضاً .

ويوجد بـين القسمين حـاجز رقيق يمكن أن يتـلاشى في ثلاث حـالات لتختلط الخبرات والمعلومات فيهما ، ويتغير تبعاً لذلك سلوك الانسان ونـظرته لمـا حـولـه !. وعنـدئـذ قـد نعتبـر من يحـدث لـه ذلـك « مجنـونـاً » ، أو « عبقرياً » . . . أو من « أصحاب الكرامات » !!

والحالات الثلاث التي يتلاشى فيها الحاجز بين قسمي الذاكرة هي :

● التعرض لصدمة عصبية عنيفة .

● الصفاء الذهني لفترة زمنية مؤقتة ، قد تتكرر عدة مرات على فترات متفرقة ، دون أن يكون للارادة أي دور في ذلك .

● التـركيز الشـديد ـ بـالارادة ـ للانسـلاخ عن الواقع المحيط بـالجسـد المـادي ، واطلاق العنـان للقـدرات لكي تحلق في الآفـاق البعيـدة ، أو لكي تخترق الحجب والحواجز ، فتتمكن من رؤ ية أكثر عمقاً وسمع أكثر بعداً . .

ولعل بيتر هيركوس ، وهو من أشهر العـرافين الهـولنديـين يلقى بعض الضوء على ذلـك في كتابـه « نفسانيـات » حين يقـول أنه كـان في عام ١٩٤٣ يعمـل نقاشـاً في طلاء حـوائط المنازل ، عنـدما سقط من فـوق سلم مـرتفـع فأصيب ببعض الكسور في جمجمته وغاب عن الوعي ، ولما أفاق في المستشفى الذي نقل اليه بمدينة لاهاي ، اكتشف انه أصبح يمتلك نوعاً من القـدرة على رؤ ية الأشياء الخفية . . فكان يستطيع أن يعرف بسهولة ما يفكر فيه الأطباء والمـرضى . . وأن يعرف تفـاصيل دقيقـة عن حيـاتهم الخـاصـة ، رغم عـدم معرفته السابقة بهم !. ولكن الغريب أن هيركوس لم يعد قادراً على العودة الى مزاولة عمله القـديم كنقاش . . وهـو يقول أن السبب في ذلـك يرجـع لعدم

قدرته على كبح جماح فضوله وهو يرى ما يخفيه الناس في سرائرهم ، واضحاً ومكشوفاً الى أقصى حد . ويقول هيركوس أيضاً أنه عندما كان يبدأ حديثاً مع أي شخص ، فانه كان ينشغل عن تفاصيل الحديث بتفاصيل أخرى يراها بوضوح عن جوانب متنوعة من حياة محدثة ، وحياة أفراد أسرته وأصدقائه .

إن عقل هيركوس أصبح أشبه بجهاز راديو يلتقط عدة محطات في نفس اللحظة ، ولكنه تمكن بعد ذلك من تدريب نفسه على التركيز على جانب مما يراه . وكان يبهر الناس بقدرته غير العادية على قراءة ما يخفونه في دخائلهم ويعتبرونه من الأسرار الدفينة !

وإذا كان هيركوس قد امتلك هذه القدرة الفذة نتيجة لاصابته بصدمة عنيفة تكسرت لها عظام جمجمته ، فان هناك نوعاً آخر من الأشخاص الذين دربوا انفسهم على استخدام قدراتهم غير العادية ، بالتركيز الشديد والارادة الصلبة ، فقصاص الأثر مثلاً يستطيع استقراء صفحة آديم الأرض فيرى على التراب أو الرمال ، بوضوح كامل ، ما يعجز غيره عن رؤيته !.. وهو قد تعلم ذلك من أبيه ، الذي تعلمه بدوره من جده .. وحين تسأل قصاص الأثر كيف يستطيع .. فانك سوف تدهش حين يقول لك انه لا يعرف كيف يستطيع !.. وهو صادق تماماً فيما يقول . وحقيقة الأمر أنه استطاع ، بالتدريب والمثابرة والارادة أيضاً ، أن ينشط في داخله القدرة على الرؤية غير العادية ، وهذه القدرة موجودة عند سائر الناس ، ولكنها تظل خامدة لعدم الحاجة اليها .

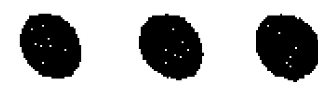
وفي أحيان كثيرة تستيقظ ، فجأة ، داخل أي انسان عادي ، القدرة على التنبؤ بالخطر الوشيك قبل وقوعه . تلك القدرة التي كانت عادية ومألوفة عند الانسان القديم ، الذي عاش في الغابة قبل خمسة ملايين من السنين . وقد جربت هذا بنفسي ، كما جربه غيري ، وأستطيع أن أؤكد أنه لم يكن للمصادفة أي دور في ذلك ، لأن الأمر قد تكرر بدقة متناهية ولمرات متعددة ، كما أستطيع أن أؤكد أيضاً بأن ارادتي لم يكن لها دخل فيما كنت أشعر به !

ذات يـوم انتهيت من عملي في أخبـار اليوم في السـاعة الـواحـدة بعـد منتصف الليل . وبينما كنت أهبط درجات السلم ألح عليّ خاطـر قوي بـأنني سأجد سيارتي فارغة من البنزين ،ولكن سرعان ما تذكرت أنني ملأت خزانها في الصباح . وأن ما فيه يكفيني لمدة أسبـوع على الأقـل . وعندمـا جلست في مقعدي خلف المقود وأدرت المفتاح ، لم يتحرك مؤشر البنزين من مكانه فـوق الصفـر . . واكتشفت فيما بعـد أن أنبوب المـطاط الذي يصـل ما بـين الخزان والموتور ، قد انقطع لسبب غير معروف ، وأن البنزين قد تسـرب الى الأرض حتى آخر نقطة منه !

ومـرة أخرى كنت قـد أويت الى فراشي في الثـانية صبـاحـاً ، بعـد أن انتهيت مباشرة من حديث تليفوني مع أحد الأصدقاء . وكـانت ليلة من ليالي الصيف الحارة ، ولم يكن في الخارج نسمة هواء واحدة . وفجأة . . خـطر لي أن سلك التليفون الممدود فوق سطح العمـارة قد انقـطع . . واستبد بي هـذا الخاطر حتى أرهق تفكيري ، فمددت يدي الى سماعة التليفون لأكتشف أنـه صامت لا حياة فيه . . وعندما صعدت الى سطح العمارة اذهلتني المفاجأة . . أن السلك كـان مقطوعـاً بالفعـل !!. . ولما قمت بتـوصيله وربطه ، عـادت الحرارة الى التليفون مرة أخرى . .

وحكاية ثالثة رواها لي صديق وهو يرقد فوق سـريره في المستشفى بعـد اصابته بكسر في عظمة الفخذ ، وكسر آخر في عـظمة التـرقوه ، عنـدما وقـع تصادم بين سيارة التاكسي التي كان يستقلها . وسيارة أخرى مسـرعة ، عنـد تقاطع شارعي ٢٦ يوليـو وحسن صبري في الـزمالـك ، كان الصـديق ـ وهو موسيقي في احدى الفرق المشهورة ـ قد انتهى من تسجيل احدى المقطوعـات المـوسيقية في الحـادية عشـرة ليلاً بـأحد استـوديوهـات مبنى التليفـزيـون عـلى كـورنيش النيل . ومن أمـام المبنى، استقل سيـارة التاكسي ، واتخـذ مجلسـه بجانب السائق ، وطلب منه التوجه الى حي المهندسـين بالجيـزة حيث يوجـد منـزله . وبينـما كانت السيـارة تشق طريقهـا فوق كـوبري أبـو العلا ، أحس الصـديق بأن سيـارة سوداء مسـرعة سـوف تـأتي من شـارع حسن صبـري ،

وسوف تصدم التاكسي من الناحيـة التي يجلس فيها السـائق ، وأحس برغبـة قوية في أن يخبر السائق بـذلك ، لكنـه تراجـع في اللحظة الأخيـرة خشية أن يسخر منه الرجل ، أو أن يبدو تصرفه نوعاً من البلاهـة !. وبعد ثـوان قليلة وقع التصادم في المكان المحدد عند تقاطع الشارعين ، وكانت السيارة الأخرى سوداء بالفعـل . . أما السـائق فقد مـات على الفـور لأن الصدمـة كانت من ناحيته !!



وحادث آخر ظل أهالي حي روض الفـرج بالقـاهرة يـروونه كـما تروى الأساطير لعدة سنوات . كـان ذلك في عـام ١٩٤٥ وكان يـوماً من أيـام شهر رمضان . وقد اعتاد أهل الحي على انتظار بـائع الفـول المدمس ،الـذي يقف بعربته قرب المسجد في أول الحارة ، قبل العصر بقليل ، فيسعون اليه حاملين الصحون والسلاطين .

وفي ذلـك اليوم استقر بائـع الفـول في مـوقعـه ، وتـزاحم من حـولـه النـاس . وقبل أن يشـرع في ملء الصحن الأول ، فـوجىء الجميع بـالشيـخ حسن يخرج من باب المسجد مهرولاً ، وهو يصيح بأعلى صوته محذراً . . ثم يندفع نحو العربة ويقلبها بما عليها وسط ذهول واستنكار الواقفين . وانكسـر القدر الفخاري الأسود الكبير ، وسـال الفول السـاخن على تـراب الحارة . . وهم البائع كالمجنون نحو الشيخ حسن ليصب عليه جام غضبه وانتقامـه لكن الشيخ تراجع الى الوراء وأشار باصبعه الى الفول المسكـوب فاذا وسـطه ثعبان ضخم ، كان قد تسلل الى القدر وهو فارغ ، فاستوى مع الفول !!

ومنذ ذلك اليوم ذاع صيت الشيخ حسن بـين أهالي حي روض الفـرج والأحياءالمجاورة . قال البعـض أنه « صاحب كرامات » . ونسج أهـل الحارة قصصـاً أخـرى عن قـدرات الشيـخ حسن الخـارقـة . . ورغم أنــه لم يفعـل « كرامات »أخرى ، إلا أنه ظل موضع احترام وتقدير أهـل الحي الى أن مات بعد ذلك بسنتين !!

واذا كان في وسع الشيخ حسن ، وصديقي عازف الموسيقى ، وبيتر هيركوس ، وقصاص الآثر ، رؤية ما لا يستطيع غيرهم أن يراه في الواقع . . فان هناك نوعاً آخر من الناس يمتلك القدرة على التركيز الشديد لرؤية ما سيقع في المستقبل !

إن سيدة مصرية اسمها فاطمة . . وهي محامية وصحفية أيضاً . . في وسعها أن تنظر في بقايا القهوة العالقة بجدران الفنجان ، ثم تكتب بعد ذلك على ورقة ، بضعة أسطر يتحقق كل ما تتنبىء به !

وعندما قررت أن أخوض التجربة بنفسي ، جلست أمام فاطمة ، وأعطيتها فنجاني . . . وبعد أن أطالت النظر في النقوش التي اشتركت حبيبات البن في تكوينها على جدران الفنجان ، أخرجت قلماً وكتبت على ورقة بيضاء ثلاث نقاط :

● قريب لك ، أول حرف من اسمه « ح » يأتي من بلد بعيد ومعه هدية ذات حجم كبير !
● تقوم باعداد اجراءات سفر للخارج ولا تسافر !
● تنتقل من مسكنك إلى مسكن آخر !

وطويت الورقة بعد قراءتها ، وحكمت على فاطمة بأنها تتخذ من قراءة الفنجان مادة للتسلية . . فليس لي أقارب في بلاد بعيدة . . وظروف عملي لا تسمح لي بالسفر . . وأقيم في منزل أمتلك نصفه ، ونصفه الآخر ملك لوالدتي المتوفاة !

وبينما كانت شفتاي ترددان بعض كلمات المجاملة التي حاولت بها اخفاء ما يدور في رأسي عن دجل فاطمة ، رأيت خلف الابتسامة الهادئة المرسومة على قسمات وجهها ، ثقة بالنفس لا حد لها ، وربما أيضاً علماً كاملاً بما يدور في خلدي . . . فانصرفت . .

ولكن . . عندما وصلت الى منزلي ، الذي يقع قرب الهرم بالجيزة ، وجدت على بابه أولى المفاجآت . سيارة تاكسي فوق سقفها حقيبة كبيرة وعدة

صناديق كرتونية . وبجانب السيارة والد زوجتي المقيم بدمشق . دهشت . . كيف نسيت أن اسم والد زوجتي « حسام » . . وأن أول حرف من اسمه هو « ح » ؟! . . وماذا يكون داخل هذه الحقيبة الكبيرة ؟!

لكن الدهشة زادت بعد ذلك ، حين أخبرني الرجل أنه أحضر لي سيارة فولكس فاجن هدية . . وأن عليَّ أن أذهب معه الى الاسكندرية في اليوم التالي لاخراجها من الجمرك !

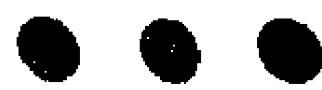
لم أخبر أحداً بما كتبته فاطمة . لعلها الصدفة وحدها . . أو لعل الأمر كله يسفر عن نكتة كبيرة . . إلا أن القضية تطورت بعد ذلك بشهر واحد ، حين طلب مني والد زوجتي أن أقوم باستخراج جواز سفر بطفلتي ، وأن أحصل على تأشيرة خروج لهما ، لأن جدتهما ترغب في أن يقضيان معها الصيف في سوريا وقمت بالفعل باعداد أوراق وتذاكر السفر . . . ولم أسافر أنا !!!

تحققت النقطة الثانية من النقاط الثلاث التي كتبتها فاطمة بخط يدها على الورقة البيضاء بعد أن أطالت النظر في فنجاني . . . فماذا عن النقطة الثالثة ؟

مضت ثلاثة أشهر ، فوجئت في آخرها بأخوتي ، وهم ورثة النصف الخاص بوالدتي من المنزل الذي أقيم فيه ، يقررون جميعاً بيع المنزل ، باصرار غريب ، ورغم أنه قد مضى على وفاة الوالدة أكثر من سنتين . لم يشيروا خلالها الى رغبتهم في تصفية الأرث ، من بعيد أو قريب !

وكان لا بد من الخضوع لرغبة الأخوة . . وكان لا بد من تسليم المنزل خالياً للمشتري . . وكان لا بد أيضاً من البحث عن منزل آخر لأسكن فيه مع أولادي . .

وانتقلت من مسكني الى المسكن الجديد . لتتحقق آخر النقاط الثلاث !!

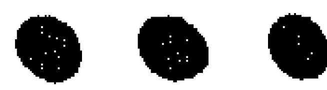


وفنجان آخر ، قرأ فيه رجل آخر ، شيئاً آخر تحقق !

والقصة هذه المرة وقعت لرئيس تحرير احدى الصحف المصرية . وشاهد عليها رئيس تحرير مجلة مصرية كبرى . . وملخص القصة أن لصاً سرق سيارة رئيس تحرير الصحيفة فأبلغ البوليس وحرر بالحادث محضراً في قسم شرطة العجوزة . . وعرف بالحادث كبار المسئولين من رجال الأمن في القاهرة ، لكن ثلاثة أيام كاملة مرت دون ان يعثر رجال الشرطة للسيارة على أثر ، وفي مساء اليوم الرابع ، كان رئيس التحرير جالساً في بيته بحي العجوزة عندما دق بابه رئيس تحرير المجلة ومعه شاب اسمر نحيف اسمه لمعي ، وفي غرفة الصالون شرب الثلاثة القهوة ، وأمسك لمعي فنجان رئيس التحرير الذي سرقت سيارته وبعد أن أطال النظر فيه وهو يقلبه بين أصابعه قال بصوت واثق أن السيارة موجودة في القاهرة لم تغادرها . . وأن شخصية حكومية سوف تزف البشرى بعد نقطتين ، وابتسم رئيس التحرير صاحب السيارة ساخراً ثم سأل لمعي ، وكيف عرفت أن الشخصية حكومية ؟ فعاد صوت لمعي الهادىء يقول « إنني أرى شعار النسر واضحاً في الفنجان » . وقبل أن يعلق رئيس التحرير بكلمة ، جاءت ابنته تخبره أن شخصاً يريده على التليفون . ونهض ليسمع صوتاً يقول له « أنا الرائد فلان من شرطة منشية البكري . لقد عثرنا على سيارتك ونرجو التفضل باستلامها الآن » !!

وذهل رئيس التحرير . . كان قد مضى على حديث لمعي دقيقتان فقط . . فهل معنى ذلك أن الدقيقتين هما النقطتان ؟

وذهب رئيسا التحرير ومعهما لمعي . . وتسلما السيارة من قسم شرطة منشية البكري ، سليمة كاملة لم ينقص منها شيء . أما لمعي فقد رفض أن يأخذ مليماً واحداً !!



ماذا رأى لمعي ، وماذا رأت فاطمة في الفنجان ؟ وكيف يفسر العلم هذا !؟

العلم يقول أن الفنجان ليس فيه أي شيء . . انه فقط وسيلة يستعين بها كل من فاطمة ولمعي لمساعدته على التركيز الذي يمكنه من الانسلاخ عن وجوده المادي ، وبعد ذلك تنطلق نفسه بكل ما فيها من قدرات لتبحث عن ضالتها حيث تكون !

والتركيز قدرة . . والانسلاخ عن الوجود المادي قدرة أخرى . . وأي قدرة من قدرات النفس الانسانية ، يمكن تنشيطها بالتدريب والمثابرة والارادة الصلبة . .

والعلم يسمى مثل هذه القدرات بأسماء عديدة ، منها « الجلاء البصري » . . ومنها « الجلاء السمعي » . . ومنها « الحاسة السادسة » . .

ولا أحد من العلماء يعرف حتى الآن ما إذا كانت هناك حواس سابعة أو ثامنة أو تاسعة . . . أم لا . . وقد يكون عدد الحواس أكثر من ذلك وقد يكون أقل . . لكن المؤكد ان الانسان يمتلك من القدرات غير العادية الكثير . ولا سبيل إلى إنكار ذلك لأنه التفسير الوحيد المقبول لما يسميه العامة « بالخوارق » . . . أو « المعجزات » . . أو « الكرامات » وعلى الصفحات التالية أمثلة أخرى . . .

إذا كـان أغلب السحـرة من المشعوذين والدجالين ، فان الساحة لا تخلو من أصحاب القدرات غـير العـاديـة ، الـذين يستخـدمـون قـدراتهم ـ حين يـريـدون ـ للقيـام بـأعمال تفـوق التصـور العـادي ، وتتـرتب عليهـا نتـائـج ملمـوسـة خاضعة للتحقق والفحص !. .

الأب جوزيف .. الذي طار

منـذ الأزل ، والانسـان يشعـر في أعمـاقـه بـأنـه يعيش وسط أشيـاء غامضة ، أشيـاء غير مـرئية . . غـير مسموعـة . . غير ملمـوسة . . لكن من المؤكد انها موجودة ، لأنها تؤثر فيه ، ولأنه يتـأثر بهـا ، ولأن هناك دائـماً آثاراً مادية تنعكس بوضوح على البيئة من حوله . . وعـلى حياتـه . . وعلى جسـده أيضاً !

وإذا كان الانسان الأول قـد اعتمد عـلى حدسـه في الاحساس بـوجود تلك الأشيـاء ، فان إنسـان العصـر الحـديث استـطاع ، بـالعلم ، أن يسخـر بعضهـا ، وأن يستفيـد منـه ، وأن يعتمـد عليـه بعـد ذلـك في كـل جـوانب حياته . .

إن الجـاذبية الأرضيـة ، والغمنـاطيسيـة ، والغـازات ، والكهـربـاء ، والمـوجات الكهـرومغناطيسيـة ، والأثـير ، ودورة الشمس ، وحـركـة الأرض والكـواكب وغير ذلـك ، ظل غـامضاً ومـوجوداً في احسـاس الانسان لمـلايين السنـين ، ثم أصبح الآن خـاضعاً للقيـاس والحساب ، رغم أنـه لا يـزال ، وسيظل ، غير مئي . . وغير مسموع . . وغير ملموس !

ولأن ما حققه انسان اليوم ، كـان مستحيلاً عـلى انسان الأمس ، فـان العلماء الآن ، يحـرصـون عـلى أن يـدرجـوا تصـوراتهم التي لا يستـطيعـون تجسيدها ، تحت تسمية « المستحيلات الممكنة » لأن كلمة « مستحيل » لم تعد مقبولة بعد أن صنع الانسـان الموتـور ، والطائـرة ، والصاروخ والتلفـزيون ، ورصد النجوم وقدر المسافات بينها ، وعرف وزن الأرض ، وداس بقدمه على وجه القمر . وأرسل سفن الفضاء الى الكواكب الأخرى .

وإذا كـان الله تعـالى يقـول في القـرآن الكـريم ، الآيـة ٣٣ من سـورة الرحمن :

﴿ يا معشر الجن والأنس ان استطعتم ان تنفذوا من أقـطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاَّ بسلطان ﴾ . .

فإن السماء هنا هي أبعد المستحيلات . . والسلطان هو العلم . أي أن

العلم يجعل أبعد المستحيلات أمراً ممكناً . .

إن الانسان القديم كان مفكراً فقط ، وكان لا بد أن تمضي ملايين السنين ليصبح هذا الانسان دارساً وعالماً .

ولكن هل كان الانسان القديم مشغولاً فقط بما حوله ؟ . .

الحقيقة أن ما في داخله من قدرات غامضة ، كان يرهق تفكيره أيضاً . فكما كان الانسان ينظر الى النسر يضرب بجناحيه في الهواء فيتمنى لو طار مثله ، كان ينظر أيضاً إلى أعماق ذاته ويتمنى لو استطاع أن يخرج ما في تلك الأعماق من قدرات تمكنه من كسر أغلال عجزه وضعفه . وحينما استطاع بعض الناس ، في كل العصور ، أن يحطموا الأغلال التي تكبل قدراتهم غير العادية ، وصفهم الآخرون بأنهم سحرة . . وأن الذي كانوا يفعلونه سحراً !

فما هو السحر ؟

لعل الكاتب الانجليزي المعاصر كولن ويلسون هو أشهر الذين يشغلون أنفسهم الآن بالقدرات الانسانية . وقد أصدر حول هذا الموضوع عدداً من الكتب ، بينها كتاب « القوى الخفية » .

وفي كتاب « القوى الخفية » تناول كولن ويلسون السحر . . تاريخه وأنواعه . . وهو يقول أن الانسان حينما ينتابه احساس قوي بقيمة شيء معين ، فانه ينشط قدراته ويستثير الكامن منها فيما وراء الطرف البنفسجي للطيف الضوئي للعقل .

لقد تطور الانسان الى المرحلة الحالية عن طريق تعلم القيام بأعمال كثيرة آلية . إنه يتعلم ركوب الدراجة أو التحدث بلغة أجنبية ، عن طريق القيام بمجهود واع ، ثم يؤدي ذلك فيما بعد بطريقة آلية

ولكن القيام بأداء شيء بطريقة آلية ، يعني ان الانسان لا يستخدم موهبة التركيز القوي ، مما يجعل قدراته المختلفة تتراجع وتكمن . ومع ذلك فان هذه القدرات تعود للعمل فجأة حين يشعر الانسان بقلق حقيقي على شيء ما . أو الاهتمام الحقيقي بشيء ما !

ولم يكن السحر البدائي شيئاً أكثر من استخدام تلك القدرات . ويؤكد عالم الأجناس البشرية ايفار ليسنر في كتابه « الانسان والله والسحر » أن « الأطباء السحرة » في سيبيريا ، كانوا يستثيرون أنفسهم حتى يصلوا الى حالة من التهوس المقدس ، أو التشوه ، عن طريق دق الطبول والرقص ، حتى يصل لواحد منهم الى الاغماء ، وأثناء الاغماء تصدر عنه أصوات مختلف الطيور والحيوانات . وكان هؤلاء « الأطباء السحرة » معروفين في ذلك الوقت باسم « الشامانات » .

ويصف ليسنر أحد الاحتفالات التي كان الشمانات يقيمونها وصفاً تفصيلياً فيقول أنه كان يتضمن رقصاً فردياً وجماعياً على دقات الطبول ، ثم يشارك المتفرجون الراقصين بالتصفيق والانشاد ، ليندمج الجميع بعد ذلك في حالة بعيدة تماماً عن حياتهم اليومية . . حالة من الثورة والهياج تنتقل كالشرارة من شخص الى آخر ، حتى يقترب الجميع من النشوة ، ويصبح كل واحد في نفس الوقت مؤدياً ومتفرجاً ، طبيباً ومريضاً . .

أما « ميركا أفياد » وهو من علماء تاريخ العقائد ، فانه يصف أولئك الشامانات ، أو الأطباء السحرة . بأنهم « متخصصون في النشوة » . ويقول انهم كانوا يستطيعون استخدام قدراتهم غير العادية في أشياء مثل قراءة الأفكار ، والعرافة ، والسير على النار ، واكتشاف اللصوص بالاستعانة بمرآة !

لقد بلغ الشامان درجة كهنوتية من خلال القيام بأكثر أنواع الطقوس رعباً . وكانت هذه الطقوس تتضمن عملية حك عنيفة للوجه بمادة خشنة ، القصد منها ازالة الجلد القديم ، وحتى الجلد الجديد ، أو البشرة الداخلية ،

تحلك هي الأخرى حتى تزال ، للرمز الى الميلاد الجديد الكامل . وكان الشامان في قبائل الاسكيمو يقضي خمسة أيام كاملة غارقاً في المياه المتجمدة . وهو يعتقد أن نفس شامان آخر ميت قد تحل أحياناً في جسده ، وتسكن فيه ، وتغرقه في آلام هائلة . ويتملكه الاعتقاد بأن جسده قد تمزق أرباً ، وأن نفوس الشامانات الذين ماتوا قد التهمته . . إنه يرى كل ذلك وهي في حالة الاغماء .

ويقول ليسنر أن أحد شامانات الاسكيمو ، وهو شامان عجوز ، قام بتمزيق اوصال جسده أمام الناس ثلاث مرات ، وكان الناس في كل مرة يشاهدون الدم يسيل بغزارة من جسده الممزق . ثم بعد ذلك كان ينهض أمامهم سليمان رغم بقاء بعض بقع الدم على ملابسه !!

ويقول كولن ويلسون أيضاً في كتابه « القوي الخفية » . . « إنه منذ حوالي ستين ألف سنة ، ظهر انسان « كرومانيون » ، وكان أرقى نموذج من النوع الانساني ظهر حتى ذلك الحين . وقد لعب السحر دوراً كبيراً في حياته أكثر مما لعب في حياة النماذج السابقة . .

وحدث ما لم يكن بد من حدوثه . فقد تحول سحر الشامان الى شيء أكثر شخصية . وظهرت الكهانة . ولا بد أن نميز بوضوح بين الكهانة وبين السحر ، فالكهانة هي محاولة الاستخدام المنتظم لقدرات الانسان عن طريق التعاويذ والطقوس ، والبخور والتراتيل ، التي تحلق بالحاضرين داخل المعبد في أجواء روحانية . . مما يجعلهم أكثر خضوعاً وأسلس قياداً . فاذا وضعنا في اعتبارنا أن للكاهن مكانة مقدسة في نفوس هؤلاء الحاضرين ، فاننا نستطيع أن ندرك ، على الفور ، سبب قدرة الكاهن على الاقتاع ثم التأثير مع العلم بأنه يستخدم قدرته العادية فقط .

أما السحر فهو غير ذلك . انه استخدام الانسان لقدراته غير العادية . وهو يعتمد على مستوى من الوعي أكثر سمواً ، وعلى ادراك للحقيقة أكثر اتساعاً مما يمتلكه الناس في العادة ! » .

لكن ، مرة أخرى ، ما هو السحر ؟!

هو أن يستطيع الانسان استخدام قدراته غير العادية ، حين يريد ، للقيام بأعمال تفوق التصور العادي . وأن تترتب على تلك الأعمال نتائج ملموسة خاضعة للتحقق والفحص .

وتاريخ الانسانية حافل بالكثيرين الذين استطاعوا القيام بمثل تلك الأعمال بارادتهم . . وأمام الناس . . وفي وضح النهار . . وعلى سبيل التحدي !!

وإذا كان موسى ، عليه السلام ، قد ألقى عصاه فاذا هي حية تسعى ـ باذن الله ـ وتبتلع الثعابين التي أطلقها سحرة فرعون أمام الملأ ، فان ثعابين السحرة كانت مجرد قطع من الحبال ، استطاع السحرة بقدراتهم غير العادية أن يجعلوا منها ثعابين !!

وإذا قلنا ان الساحر يجعل مشاهديه منومين تنويماً مغناطيسياً جماعياً ، ويدخل في روعهم أن الحبال ، استطاع السحرة بقدراتهم غير العادية أن يجعلوا منها ثعابين !!

وإذا قلنا أن الساحر يجعل مشاهديه منومين تنويماً مغناطيسياً جماعياً ، ويدخل في روعهم أن الحبال الملقاة على الأرض قد تحولت الى ثعابين تتحرك وتدخل في قلوبهم الرعب . . فان ذلك في حد ذاته قدرة غير عادية لا يستطيع كل انسان أن يمارسها . إنها تكون حينئذ قدرة على الاقناع والتأثير ، ولكن بغير تعاويذ ، ولا بخور ، ولا تراتيل ، وليست أيضاً داخل الجو الروحاني للمعبد !!

وفي الهند رجال ينفخون في المزمار فتخرج حية الكوبرا من السلة ، وتنتصب واقفة على مؤخرتها ، ثم تتمايل طرباً . . . مع العلم بأن الكوبرا من أشرس وأخطر أنواع الحيات . وهي أيضاً ، ككل الثعابين لا تسمع ، لأنها ليس لها جهاز سمع كسائر المخلوقات .

كيف ترقص اذن الكوبرا على أنغام المزمار وهي لا تسمع ؟ . . . إنها تستجيب في الواقع لقدرة غير عادية يتمتع بها الهندي الذي يحركها ، وما المزمار الا وسيلة في يد الرجل تعينه على أن يركز إرادته . فاذا وصل الى نقطة « منتهى التركيز » ، فإنه يستخدم قدرته غير العادية في اقناع الحية السامة بأن تمتثل لرغبته ، وعندئذ تخرج من السلة وتنتصب ثم تتمايل بعد ذلك . وعندما يكف الرجل عن النفخ في المزمار ، فانه يتوقف أيضاً عن التركيز . . وتتوقف كذلك أوامره الى الحية بالرقص ، فتعود الى السلة مرة أخرى ! . . والويل لمن يحاول تقليد هذا الرجل دون أن تكون لديه القدرة على ذلك !!

والقدرة على التأثير في الثعابين ليست نشطة عند كل الهنود . كما أنها ليست مقصورة عليهم . فعندنا في مصر وفي البلاد لعربية والافريقية والآسيوية رجال يسمون انفسهم بالرفاعية . إنهم منتشرون في القرى والمدن على السواء . .

وفي عام ١٩٦٠ كنت في زيارة صديق لي في منزله الريفي باحدى ضواحي دمشق ، عندما وجدته في حديقة منزله ومعه رجل أطلق لحيته يرشف كوباً من الشاي في هدوء . وغير بعيد عنه كيس من الشاش مربوط من طرفه ومنتفخ قليلاً عند وسطه ، لفت نظري عندما لاحظت أن ما في داخله يتحرك !

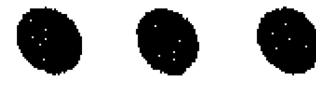
كان جو المكان غير عادي ، ووجه صديقي لم يكن كعهدي به . . كان جاداً بعض الشيء . . مضطرباً بعض الشيء . . وبعد لحظات أخبرني بأن ضيفه من الرفاعية ، وأنه جاء ليستخرج ثعباناً من جحره في الحديقة ، دأب على مهاجمة أعشاش الدجاج وابتلاع البيض . وأنه أخرجه منذ قليل وحبسه في ذلك الكيس ، ولكنه سيقوم بعد قليل باخراج ثعبان آخر قال انه يسكن جحراً آخر أسفل السور !

تلفت حولي وأنا أحاول اخفاء مشاعر الخوف ، لكن الرفاعي طلب إليَّ أن أطمئن ! . . وبعد أن انتهي من شرب كوب الشاي حمل الكيس بما فيه . . واتجه إلى أقصى طرف الحديقة ، وجلس القرفصاء ، وراح يتلو بعض

القراءات . مضت عشر دقائق كنت أسمع خلالها خفقات قلبي ، وعيناي ثابتتان على شفتي الرجل ، بينما صديقي صاحب البيت واقف بجانبي لا يبدي حراكاً . وفجأة تراجع الرفاعي قليلاً إلى الوراء . وبرزت رأس الثعبان من فتحة صغيرة أسفل السور ، لينساب جسمه بعد ذلك مستقيماً صاغراً صوب الرجل الذي فك رباط الكيس بهدوء وثقة لا حد لهما . فاذا بالثعبان يدلف الى الكيس كأنه تحت تأثير تنويم مغناطيسي !

كان مشهداً مثيراً وغريباً ، لم يتح لي أن أشاهده مرة أخرى . وعندما سألت الرفاعي كيف يستطيع ارغام ثعبان ، سام شرس يزيد طوله على المتر بقليل ، على الخضوع له والانصياع لارادته ، لم يقل الرجل اكثر من أن ذلك من فضل الله عليه !

ولكنها قدرة على أي حال ، ولا شك أنها موجودة داخلي ، وداخل كل انسان ، ولو استطاع أي منا تنشيطها وتدريبها فمن الممكن أن نكون جميعاً من الرفاعية !!



ومن أشهر أصحاب القدرات غير العادية ، الأب جوزيف . . أو سان جوزيف . . أو « الراهب الطائر » كما كان يسميه سكان بلدة كوبرتينو في ايطاليا . .

لقد أكد الكثيرون قدرته على القيام بأعمال خارقة . وأشهرها القدرة على الطيران ، وشهد الطبيب ، الذي كان يعالجه ، بأنه دخل عليه غرفة نومه ذات يوم وهو راقد على سريره ، فوجد جسده مرتفعاً عن الفراش مسافة ست بوصات !

والأب جوزيف كان رجلاً عادياً ، اشتغل بالرعي وهو صبي . ثم عمل سائساً في أحد اصطبلات الخيل ، وعندما بلغ الثانية والعشرين من العمر التحق بالكنيسة وأصبح قسيساً . بعد ذلك اكتشف في نفسه القدرة على الطيران . فكان ينام على الأرض على بطنه ثم لا يلبث أن يرتفع شيئاً

فشيئاً حتى تصبح المسافة الفاصلة بينه وبين سطح الأرض ما يقرب من المترين . وعندئذ يفتح ذراعيه فاذا به يندفع الى الأمام وسط ذهول الناس ممن يعرفونه . وحين كان يفعل ذلك كانت تنتابه حالة من الفرح والسعادة الظاهرة .

لقد استطاع الأب جوزيف أن يطير . . ولا يمكن أن يكون ثمة شك في ذلك ، فقد شاهده ملوك ودوقات وفلاسفة ، وقامت الكنيسة بالتحقق من ذلك . . واستمرت في التحقيق الى ما بعد موته بأربع سنوات . ثم انتهت الى منحه لقب « قديس » .

ومن الأفضل الا نسأل أنفسنا عن تفسير لهذه القدرة الغريبة التي كان يتمتع بها الأب جوزيف ، لأننا لا نستطيع أن نفهم العناصر والأدوات والقوى والطاقات المشتركة في مثل هذه الحالة . وأننا لا نستطيع القول بأن الرجل تمكن من الطيران لأنه صالح . . أو لأنه قسيس . . فان البابوات أكبر منه مكانة في سلك الكهنوت ، ومع ذلك لم نسمع أن أحدهم قد طار أو حتى حاول ذلك !

إن الأب جوزيف كأي انسان آخر ، تكمن في نفسه قدرات غير عادية . وقد استطاع أن ينمي تلك القدرات باصراره وصلابة إرادته . ولذلك كان يبدو فرحاً سعيداً كلما تمكن من الطيران !

ومثل الأب جوزيف في بلدة كوبرتينو بايطاليا . رجل مصري اسمه عبد الرحيم المواوي ، عاش فيما بين عامي ١٨٣٤ و١٨٩٦ في قرية رملة الأنجب التابعة لمركز اشمون جريس بالمنوفية . كان فلاحاً عادياً يعمل بالأجر في زراعة الأرض . ولم يكن متزوجاً رغم بلوغه الخمسين . وذات يوم فوجىء أهل القرية بعبد الرحيم عائداً من الحقل فوق حماره ، لكنه كان يرتفع عن ظهر الحمار بمسافة شبرين . وفغر الرجال أفواههم من فرط الدهشة . ولم يقو واحد منهم على الكلام . وفي مغرب اليوم التالي حدث نفسي الشيء . وعندما تجمعوا حول عبد الرحيم وهو يغادر مسجد القرية بعد صلاة العشاء وسألوه كيف يفعل ذلك ، أجاب بأنه لا يعرف وأن كل ما يشعر به أنه يرغب

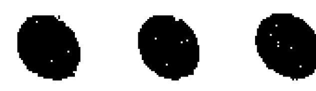
أحياناً في أن يرتفع فوق ظهر الحمار ، وحين يستجيب لتلك الرغبة فإنه يرتفع بالفعل !

وفي ليلة أخرى أرسل عمدة القرية في طلب عبد الرحيم . وحين حضر الى مجلس العمدة طلب منه أن يفعل أمام مأمور المركز والجالسين ، ما يفعله أثناء عودته من الحقل فوق حماره ، ووعده بعشرة جنيهات ذهبية اذا فعل .

وجلس عبد الرحيم على الأرض ، بعد أن شمر جلبابه وعقده عند وسطه ، ولم يلبث أن ارتفع عن الأرض مسافة شبرين . وظل كذلك حتى نهض المأمور ومرر بنفسه عصا غليظة من تحته عدة مرات . . ووسط ذهول الجميع أخذ عبد الرحيم الجنيهات الذهبية العشرة وانصرف !!

لقد عاش عبد الرحيم بعد ذلك اليوم اثنتي عشر عاماً . كان يحلو له أثناءها مداعبة الناس بأن يرتفع عن الأرض أثناء الليل لمسافة ثلاثة أمتار وعندما يمر أحدهم من تحته يناديه باسمعه فينتفض رعباً ، ثم يكتشف انه عبد الرحيم النواوي بعد ذلك !

وعندما مات عبد الرحيم أقام له أهل القرية ضريحاً ، ثم تحول الضريح الى مزار ما زال كثيرون حتى الآن يتبركون بزيارته .



وفي تراث العرب قصة تتحدث عن امرأة اسمها « زرقاء » كانت تعيش في منطقة اليمامة بالجزيرة العربية . وكانت ترى أشياء تبعد عنها بمسيرة ثلاثة أيام .

وذات يوم قالت زرقاء لقومها أنها رأت رجال قبيلة « طسم » يحملون رماحهم وسهامهم والعديد من فروع الأشجار ، فوق بغالهم وجيادهم ، وأنهم يجدون في السير باتجاه أرض عشيرتها ، وعندما سألها أبناء قومها أين رأت هذا الجيش قالت لهم انهم ما زالوا على بعد مسيرة ثلاثة أيام فسخروا منها !

وبعد ذلك بيوم واحد عاودت زرقاء التحذير فلم يصدقها أحد . وبعد مضي يومين كان أحد أبناء عشيرتها يرعى غنمه ، عندما رأى شجيرات كثيرة على مرمى البصر . ولكن هذه الشجيرات كانت تقترب وتقترب . وسرعان ما اكتشف ان خلف الشجيرات رجال يحملون الرماح والسهام . فأسرع الى قومه ينبئهم . وحدث هرج ومرج . وكان مقاتلو قبيلة طسم أسرع فوقعت الواقعة وانهزم قوم زرقاء شر هزيمة . ومنذ ذلك اليوم صارت قدرة زرقاء على الرؤية البعيدة مثلاً . وصار العرب يقولون « أبصر من زرقاء اليمامة » .

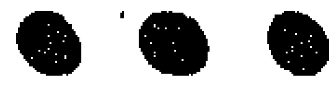


وفي لندن . شاب في السادسة عشرة من عمره اسمه « ستيفن نورث » . يستطيع أن يركز بصره على أي جسم معدني صلب فيثنيه فوراً .

وقد نشرت قصة هذا الشاب صحيفة « ديلي ميرور » البريطانية . وقالت أن هذا الشاب يخضع الآن لفحوص عديدة يقوم بها عدد من علماء الجامعات البريطانية .

ويقول أساتذة الطبيعة في جامعة لندن أن الشاب « ستيفن نورث » يملك القدرة على إرسال أشعة غير مرئية من عينيه تلوي أي قضيب حديدي أو معدني .

أما ستيفن نورث فيقول أنه اكتشف في نفسه هذه القدرة لأول مرة عندما ركز بصره على دراجة يركبها أحدرفاقه فانثنت أجزاؤها وأصبحت غير صاحة للاستعمال . وانه عاد مرة أخرى يجرب قدرته فركز بصره على عقارب ساعته فانثنت . ثم عمود نور فانثنى !!



واذا انتقلنا الى الهند مرة أخرى ، فسنجد الكثيرين من أصحاب القدرات غير العادية . ولعله الفقر ، أو الجوع أو المرض . . أو لعلها جميعاً سببت ذلك الصفاء الذهني ، أو تلك الشفافية ، التي يتصف بها الكثيرون في شبه القارة الهندية . إن هؤلاء الناس تخلوا عن غرائزهم ومطالبهم الجسدية ،

وعاشوا حياتهم بقدراتهم فوق العادية فقط . أن الواحد منهم يستطيع أن يعيش لمدة شهرين بغير طعام . والآخر يستطيع أن ينام فوق أسنة المسامير الحادة والثالث يستطيع أن يغمد الخنجر في بطنه دون أن تسيل نقطة دم واحدة . والرابع يستطيع أن يقطع أحد أصابعه بسكين أمام الناس ويبلل قطعة قماش بدمه ، ثم يعيد الأصبع المقطوعة الى مكانها وكان شيئاً لم يكن !

وفي الهند أيضاً تستطيع أن تشاهد رجلاً يضع حبلاً غليظاً ملفوفاً وسط دائرة من الناس ، ثم ينفخ في مزماره فينتصب الحبل واقفاً ليرتفع طرفه الى أعلى ، ثم يقوم صبي بعد ذلك بتسلق الحبل كأنه يتسلق جذع نخلة ، ويستمر في التسلق على أنغام المزمار حتى يختفي عن أعين الناظرين ثم يختفي الحبل أيضاً . وبعد قليل يهبط الصبي فجأة . . وبعده يسقط الحبل .

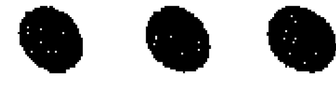
والارتفاع فوق سطح الأرض ظاهرة مألوفة في الهند . ولقد ظن بعض علماء أوربا أن في الأمر خدعة ما ، وحين ذهبوا الى الهند ليتأكدوا بأنفسهم وعثروا على واحد ممن يستطيعون ذلك ، ارتفع الرجل لمسافة مترين . ولم يكن هناك ما يتعلق به ، كما لم يكن تحته شيء يسنده . وطلب العلماء الأوربيون من الفقير الهندي أن يكرر ذلك عدة مرات ففعل . وعندما سألوه كيف يستطيع ذلك قال ببساطة أنه لا يعرف . . فقط هو يريد . . وإذا أراد فانه يشعر بنفسه يرتفع الى مسافة تزيد على عشرة أمتار وليس في استطاعته الارتفاع لأكثر من أحد عشر متراً !!

وعاد العلماء الأوربيون الى بلادهم وليس عندهم أي تعليل علمي لتلك الظاهرة أو غيرها من الأعمال الخارقة التي شهدوها بأعينهم في الهند . وقال بعضهم انه سحر . . وقال آخرون انها قوى أخرى غير منظورة تساعد أولئك الناس ، الجن مثلاً ، وقال أكثرهم تحفظاً أن في الأمر خدعة فوق مستوى الادراك العادي . ولكن المؤكد انها قدرة نشطت وقويت . وهي موجودة عند سائر الناس لكنها في حالة خمود . . فاذا عمل أحدهم على تنشيطها ودرب نفسه على استخدامها ، فانه بالقطع سوف يستطيع !

وفي انجيل متى ، الاصحاح الرابع عشر ، الآيات من ٢٤ حتى ٣١ جاء ما يلي :

« وأما السفينة فكانت قد سارت في وسط البحر معذبة من الأمواج لأن الريح كانت مضادة . وفي الهزيع الرابع من الليل مضى اليهم يسوع ماشياً على البحر ، فلما أبصره التلاميذ ماشياً على البحر اضطربوا قائلين أنه خيال ومن الخوف صرخوا . فللوقت كلمهم يسوع قائلاً تشجعوا أنا هو لا تخافوا . فأجابه بطرس وقال يا سيد إن كنت أنت هو فمرني أن آتي اليك على الماء . فقال تعال فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتي إلى يسوع . ولكن لما رأى الريح شديدة خاف وإذ ابتدأ يغرق صرخ قائلاً يا رب نجني . ففي الحال مد يسوع يده وأمسك به وقال له يا قليل الايمان لماذا شككت » . .

وبهذا قطع السيد المسيح بأن كل انسان لديه القدرة على المشي فوق صفحة الماء . والشرط الوحيد هو الايمان . . أي التطهر . . أي تخلص النفس الانسانية من دنس الجسد المادي وأغلاله ، لتتمكن بعد ذلك من بلوغ غايتها مستعينة بما لديها من قدرات تبدو غير عادية في العالم المادي ولكنها في الحقيقة عادية في عالم اللامادة .

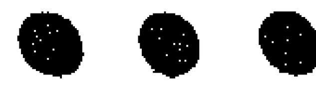


وفي الريف المصري حكاية تروي عن رجل دين كان في طريقة الى مرسي المعدية على شاطىء النيل ليعبر الى الشاطىء الآخر ، وفي أثناء سيره شاهد فلاحاً يصلي ويكثر من الركوع والقيام بما يتعارض مع الطريقة الصحيحة لأداء الصلاة . واعترض رجل الدين ، وقال للرجل أن صلاته غير مقبولة وعلمه كيف تكون الصلاة الصحيحة ، ولم يتركه حتى حفظ الآيات الضرورية لأداء الصلاة . وعندما ركب رجل الدين المعدية في طريقة الى الشاطىء الآخر فوجىء بالفلاح يجري فوق صفحة الماء وهو ينادي عليه . ودهل رجل الدين . وصاح بالفلاح « ماذا تريد ؟ » . . وعندما قال الفلاح أنه نسي الآيات التي ذكرها له صاح رجل الدين قائلاً : « اذهب وقل ما كنت تقوله ولا تنس أن تطلب من الله أن يتقبل مني صلاتي » !!

وهناك أمثلة أخرى . .

مثلاً يمسك رجل بقضيب من الخشب اليابس ، أو يغصن جاف من أغصان الشجر ، ويجس بطرفه سطح الأرض ، ثم يقول أن الماء موجود هنا على عمق أربعين متراً ، أو يقول أن بحيرة من البترول موجودة على عمق خمسمائة متر ، أو يعلن أن طبقة من خام النحاس توجد على عمق عشرين متراً ويبلغ سمكها عدة أمتار .

وهذه الحالة من حالات نشاط احدى القدرات عند انسان ما ، تحدث كثيراً ، وتتكرر في أماكن عديدة من العالم . . وثبت انها صحيحة . ولقد أعلن بعض من توجد لديه هذه المقدرة أنهم لا يشعرون أنهم غير عاديين . وأكد بعضهم الآخر أنهم دربوا أنفسهم على ذلك ، ويستطيعون تدريب غيرهم خلال ساعة واحدة ! .



ورجل آخر أصابه قلق مفاجىء أثر خاطر طرأ على ذهنه . وهو مستلق على فراشه يتأهب للنوم ، بأن اللصوص سطوا على دكانه وسلبوا كل ما فيه . وعندما استبد به القلق نهض من فراشه ، وارتدى ملابسه ، وهرع إلى دكانه ، فاذا ببابه مفتوح على مصراعيه ، ورفوفه خالية وخزانة النقود محطمة ولا يوجد فيها مليم واحد !

كيف يستطيع رجل أن يعرف ما في باطن الأرض بمجرد أن يجس سطحها بقضيب من الخشب شبه الجاف ؟ . . وكيف يشعر رجل آخر بحادث سرقة دكانه في نفس اللحظة التي وقعت فيها السرقة ، وهو بعيد بضع كيلو مترات ؟!

لا بد أن في داخل كل منهما قدرة مكنته من ذلك . وهذه القدرة لا مكان لها في الجسد المادي بطبيعة الحال ، وليست إفرازاً لأي من أجهزة أو غدد الجسد المادي . . إننا نتقبل مثل هذه الظواهر غير العادية بعد أن يدرجها لنا العلم الحديث تحت أسماء متعددة مثل « الحاسة السادسة » . . أو « الجلاء

البصري » . . أو « الجلاء السمعي » . .

ليس الأمر سحراً اذن . ولكننا حين نعجز عن تعليل سلوك أصحاب القدرات غير العادية نلجأ للتبرير السهل الذي ينقذنا من الحيرة ويوفر علينا عناء التفكير !

واذا كان أغلب مدعي السحر من المشعوذين والدجالين فان الساحة لا تخلو أبداً من أصحاب القدرات أمثال شامانات سبيريا . . والأب جوزيف . . وسحرة فرعون . . والرفاعية . . وعبد الرحيم المواوي . . وغيرهم . .

إن الانسان مخلوق غريب وفذ ، وتكمن في أعماق نفسه قدرات أكثر غرابة . وسيظل الانسان غامضاً غريباً . وستظل أيضاً قدراته فوق مستوى الادراك العادي . وعلى الصفحات التالية نماذج أخرى لقدرات أخرى !.

ارتفعت صينية السجائر وحدها من فوق رخامة المنضدة التي تتوسط الغرفة ، واتجهت نحوي كأن شخصاً شفافاً يحملها .. واستمرت الصينية في تقدمها حتى استقرت بي يدي !! .. وكان شيئاً مرعباً حقاً !!

الجن ينفذ .. أوامر هذا الرجل !!

أنت . . وأنا . . وبعض الناس ، نصادف من حين الى حين ، رجالاً ونساء يأتون أفعالاً غريبة ، يحار العقل في تفسيرها ، ويعجز الادراك العادي عن استيعابها .

فرجل لا يلبث أن يأمر قالبين من الطوب أن يتناطحا ، حتى يدخلا في معركة لا تنتهي قبل أن يكسر أحدهما الآخر ! . . . ورجل يمد يده الى الهواء فيأتيك بحافظة نقودك التي نسيتها تحت وسادة سريرك في غرفة نومك !!

ولو أن شخصاً روى لك مثل هذه الحكايات ، لكان من السهل عليك القول بأنها مجرد حكايات . . ولكن حين يتاح لك أن ترى ذلك بعيني رأسك ، يصبح الأمر مختلفاً . . وتصبح علامات الاستفهام والتعجب هي الوحيدة القادرة على التعبير عن الموقف .

وأكثر الناس حذراً ، أمام مثل هذه الظواهر ، هو الذي يقول لا أعرف !. . لكن الحذر لا يحل اللغز ولا يبدد الدهشة والحيرة ، ورغم أننا سوف نصادف في هذا المجال ، الصادق والمدعي ، والذي يستطيع والذي لا يستطيع ، إلا أننا لا بد أن نترك الباب مفتوحاً أمام الذين يتطوعون لالقاء الضوء وتبديد الدهشة . وبين هؤلاء من يفسر غير المألوف من الأعمال الغريبة التي يأتيها البعض ، بأنها من عمل الجن ! . . وسواء كان هذا التفسير صادراً عن أهل علم ، أو عن أهل ادعاء العلم ، فانه يستحق منا أن نتعامل معه بصدر رحب ، وأن نبحث له عن سند من الحقيقة . . يؤيده أو يدحضه . . حتى لا نسقط في غياهب الظلام ، أو نقع في متاهات الغيبيات ، التي تؤدي بنا في النهاية الى حالة تتأرجح فيها بين الحقيقة واللاحقيقة !

ولكن من هو الجن ؟ . . وما هي حدود تعامل البشر معه ؟

قبل الدخول في التفاصيل ، لا بد من الاشارة الى بعض الحقائق التي لا يمكن انكارها أو التشكيك فيها ، من هذه الحقائق ما نراه بأعيننا ونتأكد منه بكل وسائل التسجيل . ومنها ما ورد في القرآن الكريم بوضوح لا يحتاج تفسيره الى اجتهاد، فالله تعالى يقول في الآيتين ١٤ و١٥ من سورة الرحمن :

﴿ خلق الانسان من صلصال كالفخار . وخلق الجان من مارج من نار ﴾ .

ويقول في الآية ٣٣ من نفس السورة :

﴿ يا معشر الجن والانس إن إستطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان ﴾ .

ويقول في الآيتين الأولى والثانية من سورة الجن :

﴿ قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا أنا سمعنا قرآناً عجباً . يهدي الى الرصد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ .

ويقول في الآية السادسة من نفس السورة :

﴿ وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾ .

ويقول الله في الآية ١٧ من سورة النمل :

﴿ وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون ﴾ .

ويقول في الآية ١٤ من سورة سبأ :

﴿ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل من سأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ .



وعلى ذلك فان اتصال الانس بالجن ، واتصال الجن بالانس أمر ممكن ، وأن من الجن من هو كافر شرير . ومنه من هو مؤمن بالله . وأن للجن عقلاً وذاكرة وأحاسيس ، وعيناً ترى وأذناً تسمع ، وأن من الجن من هو أهل علم ومعرفة . وأن الجن لا تعلم الغيب . . وأن الجن ، وإن كان غير ملموس أو محسوس بحواس الانسان العادية ، يستطيع أن يؤدي أعمالاً مادية تلمسها هذه الحواس . وقد كانت الجن تعمل بين يدي سليمان عليه

السلام . وفي الآية ١٣ من سورة سبأ يقول تعالى :

﴿ **يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات . . . .** ﴾ .

ولكن هل يستطيع أي انسان الاتصال بالجن أو أن يعوذ به ؟. . .

الاجابة في منتهى الصعوبة . ولكن بالقطع هناك من يستطيع . . وهناك من يدعي ذلك . ويقع على عاتق كل منا بمفرده عبء التفريق بين من يستطيع ومن لا يستطيع . ولم يوجد حتى الآن الانسان الذي ولد من بطن أمه قادراً على الاتصال بالجن . . كلهم تعلموا وتدربوا ثم تمكنوا بعد ذلك . ونادراً ما خاطب الانسان جناً أو اتصل به بغير تعلم وتدريب وإذا حدث ذلك فان الانسان يكون في هذه الحالة مأموراً وليس آمراً . . يكون أداة في يد الجن ، لا سيداً له .

وفي مدينة بيروت رجل اسمه الدكتور داهش يعرفه اللبنانيون جيداً ، وعرفه المصريون أيضاً في الأربعينات عندما كان يعيش في القاهرة ، ويتخذ من شقة بشارع سليمان باشا مقراً لنشاطه الغريب . ويقول اللبنانيون عن الدكتور داهش انه صنع معجزات . وأنه يساعد المحتاج ، ويأخذ بيد الضعيف وينصر المظلوم ، وهو يسكن حتى الآن بيتاً في احدى ضواحي بيروت ، يشاركه فيه طبيب ، اقتنع بقدرته ، فترك عمله وأغلق عيادته ، ورضي أن يكون تابعاً وخادماً للدكتور داهش مدى حياته !

والدكتور داهش نفسه لا يدعي أنه صاحب معجزات ، ويقول أنه فقط استطاع الاتصال بمن هو أقوى منه ـ يقصد الجن ـ وأنه استطاع ان ينمي في نفسه هذه القدرة حتى اتقنها !. . وهو ككل اللبنانيين يدس أنفه في أي شيء . . والسياسة في مقدمة كل شيء . وهو صديق لمعظم رجال السياسة والحكم . . ويعتبر نفسه رسول سلام ووفاق ، في بلد تتأجج في باطن أرضه نار الحقد والبغضاء ، وتعيش في ربوعه طوائف متعددة متخاصمة ، كتب عليها أن تركب معاً سفينة واحدة فوق بحيرة من الدم والنار !

وقصص الدكتور داهش كثيرة ومثيرة . في مقدمتها قصة القصر الذي اختاره سكناً له . . هو وتابعه الطبيب .

فقد كان هذا القصر خالياً مغلقاً بعد ان تركه الشيخ بشارة الخوري - أول رئيس للجمهورية اللبنانية بعد الاستقلال - ليسكن في قصر الرئاسة .

وقد فوجىء الشيخ بشارة ذات يوم بمن يخبره بأن الدكتور داهش وخادمه يسكنان في قصره ، فثار واستدعى وزير الداخلية ، وطلب منه الذهاب الى القصر والقبض على الدكتور الدجال . وذهب الوزير بنفسه على رأس قوة من رجالا الامن . وساق الدكتور وخادمه الى سجن الرمل على مشارف بيروت . وأشرف على وضعهما في احدى الزنزانات ، تمهيداً لاحالتهما الى المحاكمة بتهمة اقتحام منزل رئيس الجمهورية .

وعاد الوزير مع رجاله الى القصر مرة أخرى لجرد محتوياته ، وتعيين الحراسة على أبوابه . لكن المفاجأة المذهلة كانت في انتظاره داخل القصر . لقد وجد الدكتور داهش جالساً في هدوء على أحد مقاعد الصالون وبجانبه خادمه !!

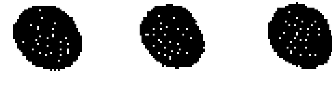
وهاج الوزير وماج . وساق الدكتور داهش وخادمه أمامه الى سجن الرمل مرة أخرى . وأغلق عليهما باب الزنزانة بنفسه وسط حيرة وذهول مأمور السجن وضباطه وحراسه ، ووضع مفتاح الزنزانة في جيبه . وعاد الى القصر مرة ثالثة ليجد الدكتور داهش في استقباله على سلالم القصر !! . وتجمد الوزير رعباً . وعندما تحسس جيبه واخرج منه مفتاح الزنزانة ، وجد بدلاً منه قطعة من الخشب !!

وقال الدكتور للوزير في كلمات هادئة واثقة :

« لا تتعب نفسك . . سأظل هنا لأنني أريد ذلك . . وقل للشيخ بشارة انه لن يخسر شيئاً بوجودي في هذا القصر . . كما أنه لن يكسب شيئاً بحبس الهواء فيه ! » .

وذهب الوزير . .

ووافق الشيخ بشارة الخوري على بقاء الدكتور داهش وخادمه الطبيب ، في قصره طوال مدة رئاسته !



وحكاية أخرى من حكايات الدكتور داهش ، وقعت تفاصيلها في مطار بيروت الدولي ، على مسمع ومشهد من عدد من كبار الشخصيات اللبنانية . بينهم وزراء ونواب وكبار رجال الدين من الطائفة السنية .

كان الجميع ـ والدكتور داهش بينهم ـ في انتظار وصول الطائرة القادمة من الأرجنتين لاستقبال مفتي المسلمين الذي كان يقوم بجولة في دول امريكا اللاتينية لزيارة المغتربين اللبنانيين وجمع التبرعات منهم . .

وعندما وصلت الطائرة ، ونزل المفتي ، وأخذ في مصافحة مستقبليه ، قال له الدكتور داهش :

ـ ألم تنس مسبحتك في حمام الفندق بالأرجنتين ؟

وتحسس المفتي جيوبه ثم قال باسماً :

ـ أجل يا داهش ، هي فعلاً هناك .

ومد الدكتور داهش يده الى الهواء ، فاذا بالمسبحة بين أصابعه . وسلمها للمفتي وسط تصفيق ودهشة المستقبلين !!



وحكاية ثالثة . .

ذهب اليه وفد من شيعة الجنوب اللبناني طالباً تدخله لدى المسئولين في الحكومة ، لبناء مستشفى في الجنوب حيث يعاني الشيعة من الفقر والمرض وعدم وجود مستشفيات . وقالوا له انهم لجأوا اليه بعد ان استبد بهم اليأس والتعب ، من مماطلة المسئولين وتسويفهم !

وبعد أن استمع الدكتور داهش لأعضاء الوفد ، طلب منهم التوجه لشراء ورقة يانصيب . ودهشوا جميعاً . لكنه اقنعهم . . وعندما جاء أحدهم

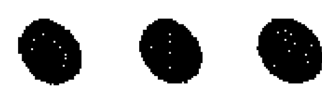
بالورقة ، طلب الدكتور داهش من رئيسهم تسجيل رقمها في مفكرته بخط يده ، ففعل .

ومضى يومان ، جرى بعدهما السحب علنياً . وكانت الورقة التي اشتراها الوفد الشيعي هي الرابحة بالجائزة الأولى ، وقدرها مائة ألف ليرة لبنانية . وفي احتفال كبير اقيم في اليوم التالي ، تسلم رئيس الوفد شيكاً بمبلغ الجائزة من مدير اليانصيب الوطني اللبناني . لكن قبل أن ينتهي الاحتفال ، فوجىء المدير بمواطن من مدينة طرابلس يقدم له ورقة أخرى ، تحمل نفس الرقم الفائز بالجائزة الأولى !

كانت مفاجأة ، لم يجد المدير حلاً لها سوى أن يوقف صرف الشيك الذي سلمه لرئيس الوفد الشيعي . وبعد أسبوع كامل من التحقيق والتحري ، وفحص الورقتين بكل الوسائل تأكد أن لا تزوير ، وأن الورقتين صحيحتان . فاضطرت مديرية اليانصيب لدفع الجائزة مرتين . مرة لمواطن طرابلس ، ومرة لرئيس الوفد الشيعي !

وعندما صرف أعضاء الوفد شيك الجائزة ، وتسلموا المائة ألف ليرة نقداً ، ذهبوا الى الدكتور داهش وشكروه . . ثم انتحى رئيس الوفد بالدكتور داهش جانباً ، وهمس في أذنه بأن الرقم الذي سجله في مفكرته ، يختلف عن الرقم الفائز . فضحك الدكتور داهش وقال للرجل :

ـ لو لم أكن واثقاً من أنكم في أمس الحاجة لبناء المستشفى ، لما اضطررت الى تغيير رقم ورقتكم ، بعد انتهاء عملية السحب مباشرة ، ليتطابق مع الرقم الفائز بالجائزة الأولى !!



وعندما ذهبت الى بيروت في شتاء عام ١٩٦٢ ، كان ضرورياً بعد كل ما سمعته من حكايات الدكتور داهش ، أن اذهب اليه . . وأن أرى بعيني وأسمع بأذني لأتأكد !

وصحبني اليه زميل صحفي لبناني اسمه باسم الخوري . . . وكان حينئذ محرراً في صحيفة « الأنوار » التي تصدر عن دار الصياد في بيروت . واستقبلنا الدكتور داهش بترحاب . ومع أنه ناداني باسمي دون معرفة سابقة ، إلا أنني لم أهتم بذلك ، مفترضاً أن الزميل المرافق قد أخبره به ، رغم أن موعد الزيارة قد تحدد فجأة وبناء على طلبي !

كانت غرفة الصالون ، في بيت الدكتور داهش ، فسيحة ، تناثرت في ارجائها المقاعد ، وتوزعت على حوائطها بعض اللوحات والصور . وفي صدر الغرفة كانت أريكة طويلة ، وعلى الأرض سجادة أنيقة ، تتوسطها منضدة سطحها من الرخام المرمري ، وعليها صينية من النحاس الأصفر المنقوش ، امتلأت بعلب السجائر الأمريكية والفرنسية واللبنانية . وكان للغرفة نافذتان احداهما مغلقة ، والثانية مفتوحة كأنما لتسمح لنسمات الهواء بمداعبة الستارة الحريرية الرقيقة ، المسدلة عليها ، بين الحين والحين .

كان جو المكان وقوراً هادئاً ، وثمة رائحة عطر زكية تهفو ثم تتبدد . وكانت وسط كل ذلك حريصاً كل الحرص على الاحتفاظ بكل حواسي في يقظة كاملة . وانتهت فترة من الصمت سادت لبضع دقائق ، عندما قال زميلي باسم الخوري :

ـ الأستاذ . .

لكن الدكتور داهش قاطعه باسماً :

ـ صحفي من مصر . . كتب استقالته منذ ايام ، ولكنها لم تقدم لمدير اخبار اليوم حتى الآن . . وجـاء الى بيروت ليعمل في صحيفة الأنوار . .

وسكت ، كأنما ليتيح لي فرصة للشعور بالدهشة . فحكاية الاستقالة لم يكن يعلمها سواي أنا وزميل لي في أخبار اليوم بالقاهرة ، تركتها معه ليقدمها بعد وصولي الى لبنان ، حيث كانت الظروف السياسية في ذلك الوقت تحتم ذلك .

وتخلصت بسرعة من دهشتي ، ونظرت الى الدكتور الجالس على طرف

الأريكة ، لأجد الابتسامة الهادئة تملأ صفحة وجهه ، بينما عيناه الضيقتان اللامعتان ترسلان ، في حدة ، وابلاً من النظرات كأنه تيار كهربائي شديد القوة . ثم قال :

ـ لي في القاهرة ذكريات عزيزة ، عندما كان فيها باشوات وبكوات . لكني اضطررت لمغادرتها قبل أن يتمكنوا من الايقاع بي لمحاكمتي بتهمة النصب والدجل . . كنت أعرف الكثير الذي يكفي لادانتهم أمام أي محكمة . . ولي أيضاً أصدقاء كثيرون من أهل الفكر والأدب والطب . .

وسكت لحظة ثم قال :

ـ أنت من مواليد شبرا . .

قنبلة ثانية حاول بها السيطرة عليّ ، ولكن هيهات . ثم قلت وأنا ابتلع ريقي :

ـ أجل .

ونظر الدكتور داهش الى زميلي باسم الخوري قائلاً :

ـ عدد سكان شبرا الآن ، يفوق ضعف عدد لبنان كله .

ثم أكمل حديثه ناظراً إليّ :

ـ مصر هي العرب . . بغيرها لا وجود لهم . . هذه حقيقة ، ولكن ليت مصر تقوى . .

ـ إنها قوية بالقدر الذي يتيح لها أن تواصل الحياة . .

قال بنفس الهدوء :

ـ إن مصر شجرة لا تموت . . ولكنهم يطلقون الدود ليأكل أوراقها كلما اخضرت !!

وانفتح باب الغرفة . وظهر من خلفه رجل في العقد الرابع من العمر ، يرتدي حلة سوداء ، حاملاً صينية عليها ثمار مانجو وعنب بناتي ، وصحنان صغيران وفوطتان ، وسكينتان فضيتان . . ووضع الصينية على

منضدة صغيرة بيني وبين زميلي الصحفي اللبناني ، وانصرف دون أن ينبس بكلمة وأغلق الباب من خلفه . . ثم ضحك الدكتور داهش قائلاً :

ـ قبل أن تسأل ، أجيبك : إنني أقدم لضيوفي فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء !

قلت :

أن كل شيء أصبح ممكناً بعد أن صنع الانسان الطائرة والثلاجة !

قال :

ـ ولكن هذه الثمار قطفت من أغصان شجرها الآن !!

وكان العنب طازجاً نضراً بالفعل ، وكذلك المانجو ، ولم نكد ، أنا وزميلي ، ننتهي من أكل بعض حبات العنب ، حتى وقعت أولى المفاجآت المذهلة.

ارتفعت صينية السجائر وحدها من فوق رخامة المنضدة التي تتوسط الغرفة ، واتجهت نحوي كأن شخصاً شفافاً يحملها !! واستمرت الصينية في تقدمها حتى استقرت بين يدي !. . كان شيئاً مرعباً حقاً . . ظللت أثناءه أتنقل ببصري بين الصينية ، والدكتور داهش ، وزميلي الذي شحب منه الوجه من فرط خوفه ودهشته ، رغم أنه رأى ذلك من قبل !

وجاء صوت الدكتور داهش يقول :

ـ تفضل . . خذ سيجارة من العلبة التي تروقك !

مددت يداً مترددة ، وتناولت سيجارة « كنت » من علبتها . . ولم أكد أضعها بين شفتي ، حتى ارتفعت الولاعة ، وحدها أيضاً ، وانفتحت كأن يداً ضغطت عليها ، مرسلة شعلتها الواهنة . . ثم اقتربت من طرف السيجارة التي كانت ترتعش بين شفتي . . لكني تمالكت أعصابي وجذبت نفساً كافياً لاشعالها ، ولم تلبث الولاعة أن أغلقت ، وعادت الى موضعها فوق الصينية ، التي اتجهت بعد ذلك نحو زميلي ليتكرر ما حدث مرة أخرى . ثم عادت الصينية الى مكانها فوق رخامة المنضدة !!

كـان شيئاً عجيبـاً حقاً . ورغم بـرودة جو الغـرفة ، شعـرت بـالعـرق يتصبب من جبيني ، ومن مواضع أخرى في جسدي ، أما زميلي فكـان يحاول مداراة اضطرابه بجذب انفاس متلاحقة من سيجارته ، وكانت عيناه مركزتين على صينية السجائر ، بينما ازداد وجهه شحوباً !!

واعتدل الدكتـور داهش في جلسته فـوق الأريكة ، ووضـع ساقـاً فوق ساق . وقال بثقة :

ـ دخلت بيتي متشككاً ، ولن أعدك تخرج كذلك !

قلت :

ـ عذري أن ما سمعته عنك عجيب !

قال :

ـ أعرف أن في جيبك الآن ثلاثمائة وسبع عشرة ليرة .

قلت :

ـ لا أعرف على وجه التحديد .

قال :

ـ أخرجها وعدها !

وأخـرجت ما في جيـوبي ، وعددتـه ، فاذا بـه بالضبط كـما قال . . ثم قلت :

ـ تمام

قال :

ـ أعدها الى جيبك ما عدا هذه الورقة فئة المائة .

وعندما فعلت مـا طلبه ، أشـار باصبعـه الى منضدة صغيـرة في أقصى الغرفة عليها بعض الصحف والمجلات ، وقال :

ـ هات احدى هذه الصحف !

ونهضت الى المنضدة وتناولت عدد مجلة الحوادث ، وعـدت إلى مقعدي مـرة أخرى . وصفق الـدكتور داهش ، فـانفتـح البـاب ، وظهـر من خلفـه

الخادم ، فطلب منه مقصاً . واختفى الخادم ليعود بعد دقائق ومعه المقص ، وقدمه لي بناء على أمر سيده ، الذي طلب مني قص بعض أوراق المجلة بنفسي مقاس ورقتي فئة المائة ليرة .

وقضيت حوالي ربع الساعة في قص أوراق المجلة ، حتى تحول نصف عدد صفحاتها الى قطع في مساحة ورقة المائة ليرة ، ولم أتوقف حتى جاءني صوت الرجل قائلاً :

ـ يكفي هذا القدر !

ثم طلب مني وضع ورقتي النقدية وسط تلك الأوراق بعد أن أسجل رقمها على غلاف المجلة بقلمي . ففعلت . ولم أكد أنظر الى الرجل متطلعاً الى ما سيطلبه مني بعد ذلك ، حتى عاجلني بقوله :

ـ انظر إلى الأوراق وأبحث بينها عن ورقتك !

ولم تكد عيناي تقعان على الأوراق حتى رأيت المفاجأة الجديدة . كانت الأوراق كلها قد تحولت الى أوراق نقد حقيقية من فئة المائة ليرة ،وأخذت أقلبها بذهول بحثاً عن ورقتي حتى عثرت عليها . وعندما طلب مني أن أتأكد من الرقم بمقارنته بالرقم المكتوب على غلاف المجلة . هززت رأسي بما يفيد بأنه نفس الرقم . . فطلب مني أن أعيد ورقتي إلى جيبي ، ففعلت . وعدت مرة ثانية أقلب أوراق المائة ليرة وأمعن النظر فيها ، كان بعضها جديداً . وكان بعضها الآخر قد أصابه شيء من البلي من كثرة ما تداولته الأيدي .

وقلت للدكتور داهش متصنعاً عدم الدهشة !

ـ هذا سحر !

قال بتحد :

ـ بل نقود حقيقة جاء بها قريني من البنك ، وأودع في مكانها الأوراق التي قصصتها أنت من المجلة منذ قليل . . وسيقوم قريني باعادتها مرة أخرى !

قلت :

ـ هل أستطيع الاحتفاظ بواحدة منها ؟

قال :

ـ ستترتب على ذلك مساءلة موظف خزينة البنك ، أو أنه سيدفعها من جيبه !

قلت :

ـ اذن ، فهذا كله سحر !

قال :

ـ سأهديك ورقة من فئة الليرة على سبيل التذكار . .

وسكت لحظة ثم عاد يقول :

ـ خذ واحدة من الأوراق التي أمامك ، وقصها بقياس الليرة .

وفهمت أنه قصد أوراق المائة ليرة . وعندما عدت اليها بعيني فوجئت بأنها قد عادت الى طبيعتها الأولى . مجرد أوراق مقصوصة من المجلة . فتناولت واحدة منها ، وأخرجت من جيبي ورقة من فئة الليرة ، وقصصت الورقة بنفس مقاس الليرة . ولم أكد أنتهي من ذلك حتى طلب مني الدكتور داهش التوقيع على الورقة المقصوصة باسمي وبقلمي . على أن أطويها وأطبق عليها أصابع كفي اليسرى . . ففعلت . وعندما طلب مني أن أفتح كفي ، وجدت الورقة قد تحولت الى ليرة لبنانية صحيحة !!

وضحك الدكتور داهش وهو يقول :

ـ هذه لك ، تستطيع الاحتفاظ بها أو انفاقها !

وأخذت أقلب الورقة بين أصابعي في دهشة واستغراب ثم أودعتها مع الليرة الأخرى في جيبي . وهممت بالحديث لكن الدكتور داهش بادرني قائلاً :

ـ القهوة أولاً . . ومن بعدها الحديث . .

وقبل أن ينهي كلمته الأخيرة ، انفتح باب الغرفة ، وظهر الخادم حاملاً صينية عليها ثلاثة فناجين ، واتجه ناحيتي بخطوات رزينة ، وقال باسماً :

ـ خذ هذا الفنجان الذي على يمينك ، أن سكره وسط كما تفضل . .

وعندما وقف أمام زميلي قال والابتسامة لا تزال على شفتيه :

ـ وهذا الذي على يسارك سكر زيادة !

ثم اتجه ناحية الدكتور داهش ، وقدم له الفنجان الثالث ، فتناوله وهو يقول ضاحكاً :

ـ أنا أنا فأشربها سادة ، ولا فضل لك في معرفة ذلك !. .

ثم أردف وهو ينظر اليَّ :

ـ إنه صديقي الدكتور ابراهيم الميداني ، لكنه مصر على أن يجعل مني سيداً له !. .

وخرج الخادم الطبيب بعد أن وضع الصينية على المنضدة الرخامية إياها دون أن ينبس بكلمة ، وأغلق الباب من خلفه .

قلت للدكتور داهش وأنا أرشف من فنجان القهوة :

ـ هل تستخدم الجن ؟

قال :

يعاونني قرين منهم فيما ينفع الناس فقط !

قلت :

ـ هل يعاونك على معرفة الغيب ؟

قال :

ـ لا يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى .

قلت :

ـ كيف اذن عرفت اسمي ، وإنني من مواليد حي شبرا وإنني كتبت استقالتي من أخبار اليوم ولم أقدمها ؟!

قال :

ـ لأن كل ذلك ليس غيباً . . إنه واقع !

قلت :

ـ والمستقبل ؟!

قال :

ـ ليس المستقبل غيباً . لأنه مقرر ، ومكتوب ، وموجود . والله تعالى يقول ﴿ **لكل أجل كتاب** ﴾ . وليس الأجل بالضرورة هو موت انسان . . أو عمر انسان . وانما لكل حدث زمن يقع فيه . وما دام زمن الوقوع قد تحدد ، فلا يصبح من الغيب . .

قلت :

ـ ولكن . .

فقاطعني قائلاً :

ـ هل تعلم ما يجري الآن في الغرفة المجاورة ؟

قلت :

ـ لا . .

ـ إن خادمي يجلس فيها الآن ويرى ويسمع كل ما يدور حوله ، فهل هو يعلم الغيب ؟

قلت :

ـ كنت أقصد ما سيحدث غداً . .

قال :

ـ الشمس الآن تتوسط السماء . . تستطيع أن تخرج الى الشرفة وتتأكد من ذلك وتراه . والمواطن الأمريكي في هذه اللحظة لا يراها . . سيراها بعد أن تدور الأرض ثلث دورة . . أي بعد نحو سبع ساعات . . إنك تعيش الآن حاضراً ، هو في نفس الوقت مستقبل بالنسبة للمواطن الأمريكي . . فهل تعلم أنت ما يعتبره الأمريكي غيباً ؟ . .

ثم قال :

ـ نحن نعيش في عالم الشهادة . كل ما حدث ، ويحدث ، وسيحدث فيه له أجل مكتوب . . وهو ليس غيباً . . أما عالم الغيب فشيء آخر لا يعلمه إلا الله رب العالمين . .

قلت :

ـ والجن ؟!

قال :

ـ مخلوق . . موجود !

قلت :

ـ كيف تستطيع الاتصال به ؟ . . وكيف يأتمر بأوامرك ؟

قال :

ـ أنظر . .

وأشار بأصبعه إلى الصينية التي كانت فناجين القهوة قد استقرت فوقها وفي قاع كل منها بقايا البن . . ومعها كوب ماء لا يزال مملوءاً لم يمسه أحد . . فاذا بالصينية ترتفع من فوق المنضدة ، وتسير وحدها في الهواء صوب النافذة المفتوحة . وبعد اختفائها دوى صوت ارتطامها بالأرض وأعقبه صوت زجاج يتحطم .

قال :

ـ أرأيت وسمعت ؟

قلت :

ـ نعم . .

قال :

ـ انظر أيضاً . .

وأشار بيده نحو النافذة فجاءت الصينية وحدها مرة أخرى ، وعليها الكوب سليماً ومملوءاً بالماء . وحوله الفناجين الثلاثة فوق صحونها ، وفي قاع كل منها ما كان فيه من بقايا القهوة . . واستقرت الصينية فوق رخامة المنضدة بينما سطح الماء في الكوب يهتز من الحركة !!

ولم أجد ما أعلق به . . أما الدكتور داهش فنهض واقفاً وقال بصوت هادىء واثق :

ـ كان بودي أن تطول الجلسة اكثر من هذا ولكن عذري أنني مرتبط

بموعد حانت ساعته . . !!!

وصافحنا الرجل وانصرفنا . واتخذت مكاني بجانب زميلي ، الذي قاد سيارته بتؤدة ومهل عبر شوارع بيروت المزدحمة . حتى وصلنا الى مطعم « الدبلومات » على الروشة ، دون أن ينطق واحد منا بكلمة واحدة .

وبينما كنا نتناول الغداء سألني زميلي :

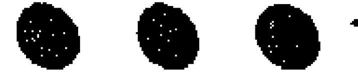
ـ ما رأيك في الرجل ؟

قلت :

ـ عجيب ومدهش بكل المقاييس .

وسيطر علينا الصمت مرة أخرى ، حتى انتهينا من تناول الطعام .

وعندما أخرج زميلي حافظة نقوده ليدفع الحساب للجرسون شهق . . أما سبب شهقته فكان تلك الورقة التي وجدها بين نقوده ، داخل حافظته ، كانت هي نفس الورقة التي قصصتها بمقاس الليرة وعليها توقيعي بخطي وبقلمي !!



وإذا تركنا الدكتور داهش في بيروت ، فاننا سنجد عشرات غيره في أماكن أخرى . في الريف المصري ، وفي القاهرة أيضاً ، نماذج كثيرة ممن يستطيعون الاتصال بالجن ، بينهم من يستخدم هذه القدرة فيما ينفع الناس . . وبينهم من يستخدمها في العبث بالآخرين والسخرية منهم ، وبينهم من يستخدمها في الحاق الأذى بغيره !

والقادرون على الاتصال بالجن يتصفون بصفات غير عادية . تصرفاتهم غريبة . . وسلوكهم أكثر غرابة . وقد يختفي أحدهم عن أعين من يعرفونه أياماً طويلة ، ثم يظهر فجأة كأن الأرض انشقت ليخرج منها ، وعندما يسألونه أين كان ؟ . . قد لا يرد عليهم . . وقد يرد بكلمات لا معنى لها . . وقد يشير بيده اشارة لا يفهم أحد منها شيئاً . . لأنه في الحقيقة لا يستطيع أن يقول شيئاً !!

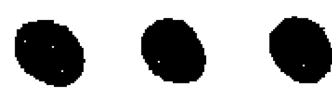
والغريب أن هؤلاء جميعاً ينتهـون الى نهايات مؤلمة . . بعضهم يصيبه مس يفقده إدراك ما حـوله فيهيم عـلى وجهه في الـطرقات كحيـوان ضال . . وبعضهم يمـوت مجهولاً في مستشفى المجـانين . . وبعضهم يشنق نفسـه ، أو يشعل في جسده النار !

وفي حي بولاق ، أشهر أحياء القاهـرة ، رجل اسمـه الشيخ سـلامة . يعرفه جيداً أصحاب الورش وتجار الخـردة في وكالـة البلح . فهو يقضي نهاره متنقلاً بين دكـاكينهم ليحصل عـلى إفطاره ، وغـدائه ، وعشـائه ، وسجـائره أيضاً . لا أحد يرفض له طلباً ، ورغم ذلك فكل طلباته متواضعة !

وأهل بولاق لا يعرفون عن الشيخ سلامة أكثر من اسمـه . قالـوا عنه عندما ظهر في الحي منذ أكثر من عشر سنـوات ، أنه كـان مهندسـاً لامعاً ثم زهد في كل شيء بعـد أن شبع من كـل شيء . . وقالـوا أن له أبنـاء محامـين وأطباء . . وقالوا أنه لم يتزوج طوال حياته . . وقالوا أيضاً أنه من أسـرة كبيرة في الاسكنـدرية . . ثم قـالوا أنـه صعيدي من ديـروط . . ثم قـالـوا أنـه في الأصل مغربي من مدينة فاس !!

أما هو فلم يقـل شيئاً . والحقيقـة ، حتى الآن ، ضائعـة تمامـاً . لكن المؤكد أنه قادر على الاتصال بالجن والاستعانة به !

واللعبة المفضلة لدى الشيخ سلامة ، يمارسها عادة بعـد آذان العصر . عندما تخلو حواري الوكالة من روادها ، ويتجمع التجـار بعد يـوم من العمل والجدل ، حول نارجيلة أو جوزة عامرة بالمخدر . عندئذ يضع الشيخ سـلامة قالبين من الطوب الأحمر وسط الحارة ثم يجلس القرفصاء بعيداً عنهما ، مستنداً بظهره الى الحـائط . وتتحرك شفتاه ببعض الكلمات دون صـوت ، ثم يشير بأصبعه الى قالبي الطوب فيتحـركان وحـدهما ، ويشتبكـان في معركـة حاميـة كأنهما ديكان ويستمر القالبان في كر وفر ومناطحة على مرأى من أهل الحـارة ، حتى يكسر أحدهما الآخر الى نصفين !!



ولعبة أخرى كـان الشيخ سـلامة يمـارسها ـ ولا يـزال ـ داخل الـورش والـدكاكـين . يطلب من أحـدهم كـوتشينـة . . وبعـد أن « يفنط » أوراقهـا يضعهـا على سـطح منضـدة ، أو كـرسي ، ثم يقف بعيـداً ، ويتمتم ببعض الكلمات ، ويشير الى الكـوتشينة فتـرتفع ، كـأنها كتلة واحدة ، حتى تلتصق بالسقف ، وعندئذ يبدأ في اصْدار أوامره بصوت مرتفع . . « العشرة الطيبة ، خطوة الى اليمين » ! . . « السبعة الكومي ، خـطوة الى اليسار » ! . . « الآس الـديناري . خـطوتـان الى اليمـين . . » !! وتستمـر الأوامـر . . وتستجيب الأوراق حتى تتفـرق الكـوتشينـة في سقف الـدكـان دون أن تسقط ورقـة واحـدة !! . ثم يصدر الأمـر اليها بـالتجمع مـرة أخـرى . فتستجيب !! ثم يأمرها بالهبوط الى مكانها على سطح المنضدة ، فتطيعه !!

وذات يوم كان الشيخ سلامة يتناول إفطاره في دكان أحد تجار الخردة . وجـاءت سيدة تلف جسـدها الممتلىء بمـلاءة سـوداء ، وتضـع عـلى وجهها برقعاً ، وصافحت صاحب الدكان الـذي رحب بمقدمهـا ترحيبـاً وقوراً . لكن المرأة انفجرت في بكاء مر . . وراحت تشكو من سلوك زوجها المعلم بسيوني ـ التاجر في الوكالة أيضاً ـ وقالت انه سيعقد قرانه بعد يومين عـلى فتاة في عمـر أصغر أبنائه .

وفهم الشيـخ سلامـة من حديث المـرأة أن لها من المعلم بسيـوني ستـة أبناء . وأنه هجر بيته منذ أسبوع بعد أن استأجر شقة جديدة في عمارة فاخرة بالجيزة ، وأثثها بأثاث جديد ليقيم فيها مع العروس .

وتأثر الشيـخ بدمـوع السيدة ، فـاقتحم حديثهـا مع صـاحب الدكـان وطلب منها ألا تحزن ، لأنه سيجبر زوجها على العودة اليها نادماً راكعـاً ، بعد أن يجعل منه أضحوكة في الوكالة ليكون عبرة لمن يعتبر !

وعندما سألته المرأة عما سيفعله ، قال انه سيجعـل العريس كـالعروس مهما طالت العشرة بينهما !

وترك الشيخ طعامه واندفع لا يلوي عـلى شيء ، واجتاز عـدة حارات

حتى انتهى اليَّ وكان المعلم بسيوني ، فوجده جالساً على كرسي أمامه في أبهى زينة ، وما أن رآه المعلم حتى ابتسم مرحباً بـه . لكنه رأى الغضب عـلى وجه الشيخ المجعد فسأله بدهشة :

ـ خيراً يا شيخ سلامة ؟!

ورد الشيخ بامتعاض :

ـ علمت أنك ستتزوج بعد يومين !

وضحك المعلم قائلاً :

ـ وأنت أول المدعوين . .

لكن الشيخ سأله باستنكار :

ـ وأولادك الستة ؟ . .

فعبس المعلم وقال بفتور :

ـ وما شأنك بهم ؟

فقال الشيخ محذراً :

ـ أربطك يا معلم بسيوني اذا فعلتها !

وضحك المعلم باستهزاء :

ـ اربط سروالك يا شيخ سلامة !!

وضحك الرجال الواقفون حول المعلم والشيخ . فمد الشيـخ يده حتى لمس ذقن المعلم بسُيوني ثـم قال :

ـ وحياة ذقنك هذه . . لأمنعنك عن معاشرة النساء ، وأعلنك كواحدة منهن !!

وانتفض المعلم غـاضباً . وهب واقفـاً ليفتك بـالشيخ ، لكن الـرجـال حالوا دونه ، وأبعدوا الشيخ حتى اختفى .

وبعـد يـومـين سهـرت وكـالـة البلح في فـرح المعلم بسيـوني حتى الفجر . وضجت أرجاؤها بأنغـام الأكورديـون وأصوات المغنـين ، وتطايـرت عشـرات الجنيهات لتستقـر في صدور الـراقصات . . وانفتحت عشـرات من

زجاجات البيرة والويسكي والكونياك . . وعبق جو السرادق الكبير بدخان الحشيش . . وبين الحين والحين كان العريس الكهل يتذكر الشيخ سلامة فيرسم الابتسامة على وجهه ليداري الامتعاض . ثم يتحسس بأصابعه علبة الدهان السحري في جيب الصديري فيمني نفسه بليلة يتوهج فيها كل شيء لدرجة الاشتعال !!

وعندما انفض الفرح وانفرد العريس بالعروس في غرفة النوم ، وقعت الواقعة . وفي الليلة التالية تكرر الموقف بمنتهى القسوة !

وأيقن العريس التعس ، بعد محاولات يائسة ، أن الشيخ سلامة قد فعلها . فأنطلق يجوب حواري الوكالة وبولاق بحثاً عنه ، ولكن دون جدوى . . اختفى الشيخ وأخذ معه عنفوان المعلم بسيوني وفحولته وقدرته التي كان يزهو بها !

ومضى شهر كأنه دهر . واجتمع اصدقاء المعلم في دكانه . وانتهوا الى نصحه بتطليق العروس ، والعودة الى أولاده ، فخضع . وبعد اتمام اجراءات الطلاق ، وعودة المعلم الى بيت زوجته ، بيومين ، ظهر الشيخ سلامة فجأة كأنه خرج من تحت الأرض ! وتسابق الجميع لمصافحته أما المعلم بسيوني فتوسل اليه أن يسامحه . وتلفت الشيخ فيمن حوله كأنه يشهد الرجال على هزيمة المعلم وخضوعه ، ثم نظر الى المعلم بسيوني وقال بصوت سمعه الجميع :

ـ من أجل زوجتك الطيبة ، وأولادك الستة ، أفك رباطك ولكن بشرط !

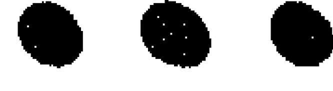
فقال المعلم باستجداء :

ـ كل ما تأمر به ، واجب الطاعة !

قال الشيخ بزهو :

ـ اذا فعلتها مرة أخرى لن أقيم لك قائماً !

وقبل المعلم بسيوني ووعد . وعادت اليه قدرته الجنسية مرة أخرى ، وأصبح كل الرجال في وكالة البلح يحسبون للشيخ سلامة ألف حساب !!



إن ما فعله الشيخ سلامة في المعلم بسيوني ، رغم غرابته يمكن أن يفسره العلم بأنه نوع من الايحاء . أو التأثير النفسي . فالشيخ أدخل في روع المعلم أنه سيصاب بالعجز الجنسي . وأن ذلك سيكون الى ما لا نهاية . وعندما عاد المعلم الى بيته بعد أن طلق عروسه ، نجح الشيخ مرة أخرى في اقناعه بأن قدرته الجنسية قد عادت اليه . وفي الحالتين كان الايحاء يتم عن طريق المواجهة ، أو بعد الانذار المباشر ، وكان قوياً الى الدرجة التي جعلت له تأثيراً عضوياً !

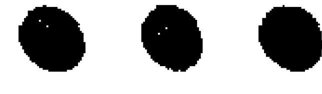
ذلك ما يمكن أن يقوله العلم . ولكن هذا ينهار تماماً عندما نعلم أن الشيخ سلامة كان يقوم بربط بعض الأشخاص ـ أي سلبهم قدرتهم الجنسية ـ دون علم من جانبهم . وكان يكفي لاتمام ذلك أن يتمتم ببعض الكلمات ، ثم يلمس الشخص المقصود في أي موضع من جسده ، كان يصافحه أو يربت على كتفه ، أو يمسكه من ذراعه !. .

وكان يفعل ذلك استجابة لطلب بعض أصحاب الورش أو تجار الوكالة ، عندما يريدون مداعبة واحد منهم . وكان تأثير الربط يستمر لمدة أسبوع أو عشرة أيام ، ولا يدرك الضحية سبب ما يعانيه الا بعد أن يرى الغمزات واللمزات في عيون أصدقائه ، ويسمع تلميحاتهم وضحكاتهم . وعندما يستغيث بالشيخ سلامة ، يضحك هو الآخر ، ويخبره بأن فلاناً وفلاناً قد طلبوا منه أن يفعل هذا بقصد المداعبة . ورغم ذلك لا يفك رباطة الا بعد أن يأخذ منه « الحلاوة » !!

وعملية الربط هذه ، منتشرة في ريف مصر . والذين يقومون بها ليسوا أشخاصاً عاديين . إنهم معروفون في قراهم وبين أهليهم بقدرتهم على الاتصال بالجن . وهم لا يسمحون لأحد بدخول بيوتهم التي يعيشون فيها

بمفردهم ، ويمارسون بين جدرانها طقوساً غريبة . . مثل الاغتسال باللبن الحليب بعد قضاء حاجاتهم ، والنوم على الأرض عرايا تماماً ، وتلاوة بعض النصوص المكتوبة أو المحفوظة ، والقيام بأشياء أخرى أقل ما يمكن أن توصف به أنها كفر !

إن هؤلاء الأشخاص يعيشون دائماً حياة خالية من كل الوان المتعة . ويلبسون العادي من الثياب . وتستطيع ان ترى بسهولة ، في عين أي واحد منهم ، الزهد ، وعدم الاكتراث ، واللامبالاة . ويتساوى عندهم الوزير والخفير . الغني والفقير . لا يبهرهم جاه ، ولا يغريهم مال ، ولا يخيفهم سلطان !



ومن أشهر أصحاب القدرة على الاتصال بالجن ، الذين عرفتهم القاهرة في الثلاثينات والأربعينات ، الشيخ سليم الطهطاوي . كان رجلاً معمماً حافظاً للقرآن الكريم . وكان صديقاً لأشهر رجال السياسة والأدب والفكر في مصر . . منهم محمد محمود باشا رئيس الوزراء عام ١٩٢٨ . . وأنطون باشا الجميل ، أحد أصحاب جريدة « الأهرام » . . وعبد العزيز فهمي باشا الذي كان رئيساً لمحكمة النقض ، ثم عضواً بمجلس الشيوخ ، ثم عضواً بعد ذلك بعد المجمع اللغوي . .

وكان حفني محمود ـ شقيق محمد محمود باشا ـ وأصدقاؤه يأخذون الشيخ سليم الطهطاوي الى مقهى البرلمان بميدان العتبة الخضراء ليسري عنهم بداعبة الجالسين فيها على طريقته .

من تلك المداعبات مثلاً ، أن ينادي الشيخ أحد الجالسين . وعندما يجيء ، يسأله أين نظارته ؟ . . ويتحسس الرجل جيوبه بحثاً عن النظارة فلا يجدها !! . .

ثم يطلب منه أن يذهب ليأخذها من جيب رجل آخر ـ لا يعرفه ـ يجلس في الجانب الثاني من المقهى ، يشرب قهوته في هدوء ووقار . ويذهب

صاحب النظارة مندفعاً . ويتطور الأمر بينه وبين الرجل الآخر الى مشاجرة بعد أن يجد النظارة في جيبه . بينما حفني محمود وأصدقاؤه يضحكون حتى تدمع عيونهم من كثرة الضحك !

وفي أحيان أخرى كان الشيخ سليم الطهطاوي يدخل المقهى . ويمر على الجالسين واحداً بعد الآخر ، ليقول له بصوت مرتفع ، أمك اسمها كذا . . ويكون الاسم مضبوطاً !!

وذات يوم ، كان عبد العزيز فهمي باشا في زيارة محمد محمود باشا في قصره بشارع الفلكي بالقاهرة ، وأصر على عدم تناول الغداء معتذراً بأنه مضطر للسفر الى المنوفية لاحضار ملف قضية ، كان قد أخذه الى بيته هناك لدراسته ، لكنه نسيه في درج مكتبه . وعندما طلب منه محمد محمود باشا تأجيل السفر الى الغد ، أخبره أن القضية سوف تنظر للحكم في جلسة بعد غد ، ولا بد أن يكون الملف موجوداً !

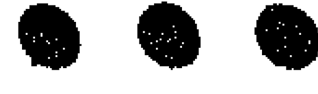
عندئذ أصر محمد محمود باشا على استبقاء ضيفه ، وأخبره أن الملف سيجيء دون حاجة به للسفر !

وبينما كان عبد العزيز فهمي يعيد شرح الموقف ، طلب محمد محمود باشا من شقيقه حفني استدعاء الشيخ سليم الطهطاوي . وعندما جاء الشيخ سأله محمد محمود باشا اذا كان يستطيع احضار الملف من المنوفية ، فأجاب بأنه يستطيع . وطلب مفتاح البيت ومفتاح درج المكتب ، وعنوان الملف والبيت مكتوباً على ورقة !

وتصور عبد العزيز فهمي باشا ان الأمر كله لا يخرج عن كونه مداعبة يراد بها استبقاؤه لتناول الغداء . . لكنه اضطر أمام اصرار محمد محمود باشا الى كتابة عنوان البيت وعنوان الملف على ورقة ، وأخرج المفاتيح من جيبه . . فأخذها الشيخ سليم الطهطاوي ، وألقى بها جميعاً من نافذة الحجرة !

وغضب عبد العزيز فهمي باشا من سلوك الشيخ ، ولكن قبل أن

ينطق بكلمة ، مد الشيخ يده من النافـذة ، فاذا بـه يمسك الملف والمفـاتيح ، وورقة العنوان !!



وواحدة أخرى من نوادر الشيخ سليم الطهطاوي .

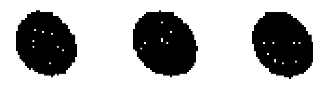
الزمان : الساعة السادسة مساء .

المكان : غرفة الاستقبال في قصر محمد محمود باشا بالقاهرة .

المنـاسبة : اجتمـاع دعـا اليـه محمـد محمـود بـاشـا عـدداً من الـوزراء والسياسيين بعد توليه رئاسة الوزارة لبحث عدد من القضايا .

وبعد انتهاء الاجتماع ، تناول الحاضرون الحلوى . فقال احدهم وهـو يتذوق قطعة كنافة ، أنه أكل ، أثناء وجوده في تركيا في العام الماضي ، كنافـة بالقشدة عند حلواني اسمه « سولت » ، لا تعلو عليها أية كنافة أخرى . .

وكان الشيخ سليم الطهطاوي موجوداً في القصر بالمصادفة ، فاستدعـاه محمـد محمود بـاشا ، وأخبـره بأن ضيـوفه يـريدون كنـافة بـالقشـدة من محـل « سولت » باستانبول . فطلب الشيخ جنيهاً ذهبياً ،وطلب كتـابة اسم المحـل وصنف الكنـافة عـلى ورقة . وبعـد أن تم له مـا أراد ، لف الجنيه في الـورقة وتوجه الى النافذة ، وبعد أقل من دقيقة استدار ، فـاذا به يحمـل لفافـة كبيرة وفـوقها بـاقي الجنيه ، وفـاتورة تحمـل اسم محل « سـولت » ، وفتح صـاحب القصر اللفافة . وأكل الجميـع الكنافـة الفاخـرة ، أما بـاقي الجنيه فكـان من العملة التركية !!



وهناك حكايات أخرى كثيرة عن نوادر الشيخ سليم الطهطاوي وأفعاله الخارقة . ولأنـه كان وثيق الصلة بعـدد كبير من رجـال الأدب والفكر ، فقـد كتب عنـه الكثيرون . وفي مقـدمـة الـذين كتبـوا عنـه ، الشيـخ عبـد الحليم محمود ، وأنطون باشا الجميل . أما محمود رمزي نظيم أبو الوفاء ، وهو شاعر وزجال . ودارس لعلم الكف ، فقد أفرد صفحات كتابه « بساط الريـح » ،

لذكر وقائع عديدة عن الشيخ سليم الطهطاوي ، التي كان يقوم بها على مرأى ومسمع من الناس ، في الشوارع والمقاهي والبارات ، وفي البيوت والقصور أيضاً !

والساحة ليست مقفلة على الشيخ الطهطاوي والدكتور داهش والشيخ سلامة ، فأسماء ونوادر الذين لديهم مثل هذه القدرة لا تتسع لذكرها صفحات هذا الكتاب ، ولكن لا بد لنا هنا من الاشارة الى واحد منهم ، شغلت قضيته الرأي العام في مصر طوال شهر ابريل عام ١٩٨٠ وما بعده . هذا الرجل كان يقوم بتشخيص الأمراض التي يعاني منها بعض الناس ، ويصف لهم العلاج والدواء الذي يشفيهم ويريحهم من آلامهم ، وهو الذي يكاد يكون أمياً .

فمن هو ذلك الرجل ؟ . . وماذا كان يفعل ؟ . . وكيف ؟!

اسمه عبد العزيز مسلم شديد أبو كف ، وشهرته أبو كف . عمره ثلاثون سنة . انقطع عن الدراسة وهو في الصف الثاني الاعدادي ، والتحق بالقوات المسلحة . وفي عام ١٩٦٩ أصابته شظية طائشة في العمود الفقري أثناء حرب الاستنزاف على جبهة قناة السويس . وأسفرت الاصابة عن شلل في ساقيه ، فترك القوات المسلحة ، وعاد الى قريته ليعيش مقعداً مع والدته واخوته .

وذات ليلة ، كان أبو كف يعاني من الضيق والأرق ، عندما فوجىء بامرأة ترتدي جلباباً أبيض ، وتلف رأسها بطرحة بيضاء . بدت المرأة في أول الأمر ، كأنها صورة من الدخان مرسومة على الحائط . . ثم لم تلبث تلك الصورة أن تجسدت ، وخطت ببطء نحو فراشه ! . . قالت له : « أنا الحاجة . سأشفيك من الشلل ، ولكن بشرط » !

لم يرد . عقد الرعب لسانه فلم ينطق . وتصبب العرق من جبينه وصدره حتى بلل ملابسه . ولكن المرأة كررت قولها ثانية . . وقبل أن تعيد القول للمرة الثالثة ، طلبت منه ألا يخاف . وأخبرته أنها جنية مؤمنة تمد له

يد المساعدة. . . ثم تلاشت في الحائط الذي خرجت منه !

وخشي أبو كف أن يخبر أحداً من أفراد اسرته فيتهموه بالجنون . فطوى سره بين ضلوعه !. .

وفي الليلة التالية ، عادت الحاجة مرة أخرى . وفي الليلة الثالثة سألها عن شرطها ، فقالت أن يقبل الزواج من ابنتها ، لأنها وحدها التي تستطيع اسعاده ، فطلب منها أن تمهله ليفكر .

وحرص أبو كف بعد ذلك على أن يأوي الى غرفته مبكراً كل ليلة ، ويغلق بابها من الداخل بالمفتاح . وكانت الحاجة وابنتها تخرجان اليه من الحائط ، وتظلان معه حتى الفجر . يأكلون معاً ويسمرون . كانت الأبنة جميلة الصورة ، رشيقة الجسم ، متفجرة الأنوثة ، هادئة ، ناعمة ، رقيقة ، دافئة . وأخبر أبو كف الحاجة أنه قبل شرطها. وفي الليلة التالية تم الزواج . وصدحت الموسيقى في أركان الغرفة . وزفت العروس الى العريس على دقات الدفوف . ولم يكد العريس يعانق عروسه في الفراش ، بعد أن غادرتهما الحاجة ، حتى أحس بالحياة تسري في ساقيه المشلولتين .

وفي اليوم الثاني فرحت أم أبو كف واخوته بشفائه ، عندما شاهدوه يمشي على قدميه . لكنه لم يبح بسره لأحد . لكن الفرحة لم تتم . لقد تغير سلوك الشاب تماماً . أصبح دائم العزلة في غرفته لا يغادرها الا نادراً . كان يأكل فيها . ويستحم فيها . ويقضي نهاره وليله خلف بابها . وعندما لاحظ اخوته أنه يتحدث مع أشخاص لا يرونهم ، ظنوا أنه فقد عقله . أما هو فقد كان سعيداً بعروسه الجميلة . وفي خلال سنتين أنجب منها طفلين . ومع أن زوجته وطفليه كانوا يعيشون معه في غرفته ، إلا أنه كان وحده فقط الذي يستطيع رؤيتهم وسماع أصواتهم !

وذات ليلة ، زارته الحاجة ، وأخبرته أنها قررت أن تتخذ منه وسيطاً يعاونها على شفاء المرضى من بني الانسان . وطلبت منه الانتقال الى بيت آخر ، لأن والدته واخوته يحدون من حرية زوجته وطفليه .

وبعد ثلاثة أيام استأجر أبو كف شقة صغيرة في مدينة شبرا الخيمة ، وبدأ يمارس منها نشاطه الجديد في علاج المرضى . واستطاع أن يشفي حالات من العقم والشلل ، وأمراض الكبد والكلي والصدر . وأجرى عمليات جراحية ناجحة ، مثل عملية الزائدة ، واستئصال سرطان الثدي . كان يأخذ من المريض خمسة وعشرين قرشاً نظير الكشف عليه . وكان الكشف يتم بمجرد النظر الى المريض . أما العلاج والدواء والجراحة فبالمجان . وكان يعالج مرضاه بالأعشاب أحياناً وفي أغلب الأحيان بأدوية يقوم بشرائها على نفقته من الصيدليات !

وعندما ذاع صيت أبو كف ، واتسع نطاق نشاطه ، تقدم أحدهم ببلاغ الى الرائد محمد عادل الطلاوي رئيس مباحث قسم أول شبرا الخيمة ، الذي قام أولاً بجمع التحريات ، التي دلت على أن الشيخ أبو كف يزاول الطب بدون ترخيص ، فاستصدر اذناً من النيابة بالقبض عليه .

وأمام أحمد الحسيني وكيل نيابة شبرا الخيمة ، اعترف أبو كف بأنه يقوم بالكشف على المرضى وعلاجهم واجراء العمليات الجراحية لهم بأمر الحاجة ، وأنه لا يستطيع عدم تنفيذ الأمر خشية ان يتعرض للأذى ، وعندما سأله وكيل النيابة عن اسم الحاجة وعنوانها لالقاء القبض عليها ، فوجىء بأنها ليست بشراً .. وأنها جنية مؤمنة !!

وأنهى وكيل النيابة التحقيق ، وأمر بحبس أبو كف أربعة أيام ، واحالته الى محاكمة سريعة . ولم يكد وكيل النيابة ينهي التحقيق ، حتى شعر بصداع حاد في رأسه ، اضطره الى مغادرة مكتبه ليلازم الفراش في بيته !

وفي يوم الثلاثاء ١٥ من ابريل ١٩٨٠ ، عقدت محكمة شبرا الخيمة جلستها برئاسة القاضي رفعت عكاشة . وجاء أبو كف . واعترف بكل ما نسب اليه . وأراد القاضي أن يختبر قدرة المتهم فطلب منه تشخيص الأمراض التي يعاني منها ستة من المحامين ، كانوا موجودين في الجلسة . ونجح أبو كف في الامتحان نجاحاً مذهلاً . فقد ذكر لكل واحد من المحامين الأعراض

التي يعاني منها ، وشخص له مرضه . ووصف له الدواء ! ثم جاء الدور على القاضي ، ومن بعد الجمهور الموجود في القاعة .

وكان الحوار بين القاضي والمتهم مثيراً . وصيحات الله أكبر تتعالى في أرجاء المحكمة . ورغم ذلك فقد أمرت المحكمة باحالة أبو كف الى مستشفى الخانكة للأمراض العصبية ، لتوقيع الكشف الطبي عليه ، مع استمرار حبسه لحين نظر القضية في جلسة الأحد ٢٢ من ابريل ١٩٨٠ .

ونشرت صحيفة « الجمهورية » كل تفاصيل القصة في عددها الذي صدر صباح الأربعاء ١٦ من ابريل ١٩٨٠ ، وأثار ما نشر جدلاً كثيراً . وانبرى عدد من رجال الدين والأطباء وعلماء النفس والروح ، كل برأي . وقال بعضهم أن أبو كف دجال . وقال البعض الآخر أنه على اتصال بقوى خفية . أما الدكتور أحمد عكاشة ، أستاذ الأمراض النفسية ، فقد كتب في تقريره أن أبو كف مصاب باختلال واضطرابات في التفكير ، وأن حالته تدخل ضمن حالات جنون العظمة !

ووسط كل هذا الدوي لم يقو أحد على تفسير نجاح الشيخ أبو كف في علاج بعض الناس حتى الشفاء ، ولا اجرائه عمليات جراحية ناجحة للبعض الآخر .

وفي صباح الأحد ٢٢ من ابريل ١٩٨٠ . عقدت محكمة شبرا الخيمة الجزئية جلستها برئاسة القاضي رفعت عكاسة الذي أعلن براءة الشيخ أبو كف من جميع التهم الموجهة إليه !

وجاء في حيثيات الحكم :

« لقد ذكر المتهم أنه مسير ، ولا يملك حرية الاختيار . وأنه لا يستطيع معارضة القوى الخفية التي تسيطر عليه وتستخدمه في تنفيذ أوامرها ، وإلا تعرض للأذى .

وإن التشريع العقابي قد خلا من نص يجرم ما أسندته النيابة للمتهم من اتهام . لأن الاتهام المسند للمتهم هو الاستجابة لقوى خفية غير منظورة .

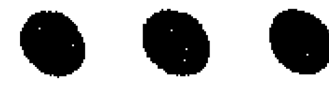
وإن المحكمة ، وإن كان قد ثبت لديها أن ما قام به المتهم من تشخيص للمرض لدى بعض المرضى ، صحيح، رغم أنه ليس دارساً للطب ، إلا أنها لا تستطيع أن تؤكد بيقين اتصال الجان بالمتهم ، لأن ذلك أمر يخرج عن قدرتها وقدرة أي شخص .

ولما كان التشكك يفسر لصالح المتهم ، ولأن الأصل في الانسان البراءة ، فإن المحكمة تتشكك في إسناد الاتهام الى متهم يسنده هو الى القوى الخفية التي لا يستطيع معارضة أمرها ، وتستخدمه كآلة ، وإلاَّ تعرض للأذى . . » . .

وهلل أبو كف عند سماع الحكم . وقال للصحفيين أن الحاجة كانت حاضرة أثناء الجلسة . وأنها كانت تقف خلف القاضي وهو يقرأ حيثيات الحكم !!

وعندما سأله أحد الصحفيين عن أوصاف الحاجة واسمها ، قال أن ذلك محظور عليه . وإن كل ما يستطيع قوله أنها من الجن . وأنها مؤمنة . . طاهرة . . خيرة !

أما محمد عبد الباسط مدير نيابة شبرا الخيمة ، فقد أعلن أمام الصحفيين بعد صدور حكم البراءة ، أن أبو كف أجرى العديد من التجارب أمام النيابة اثناء التحقيق معه ، وكانت كل التجارب ناجحة !



وبالمقارنة بين الشيخ أبو كف ، والشيخ سليم الطهطاوي ، نجد أن أبو كف مأمور مسخر . ينفذ ما يريده الجن . إنه مسلوب الارادة ، واقع باستمرار تحت سيطرة آمره غير المادي ، لا يقوى على عصيانه . بينما نجد الطهطاوي سيداً آمراً يطلب من الجن فعل الشيء فيطيعه . والفارق كبير بين الاثنين !

ولما كان الجن غير مادي بالمقاييس العادية ، وغير خاضع لقدرات الانسان العادية ، أي أنه غير محسوس أو ملموس أو مرئي ، فان وجود

اشخاص مثل أبو كف والطهطاوي وسلامة وداهش ، وغيرهم . . يعتبر دليلاً كافياً على أن الانسان لديه قدرة غير عادية تمكنه من النفاذ الى ما وراء المادة . وهو في هذه الحالة يكـون قادراً عـلى الرؤ يـة والسمع أبعـد وأعمق من حدود سمع وبصر العاديين من الناس .

وفي القـرآن الكريم أكـثر من دليل عـلى وجـود عـلاقـات بـين الانس والجن . وحسبنا ما سقناه في بداية هذا الفصل من آيات قـرآنية تؤكـد وجود هذه العلاقـة ، بغض النظر عـما تنطوي عليـه من مخاطـر ، أقلها أن يصـاب الانسـان بمس يفقده صـوابه . ولكن الايمـان بوجـود عـلاقـة مـا بـين الأنس والجن ، يفرض علينا التسليم بأن الانسان لديه من القدرة غير العـادية ، مـا يمكنه من لمس غير الملموس . والحس بغير المحسوس !

والشبح قد يظهر ويختفي دون استدعاء من أحد .. وقد يظهر بناء على استدعاء من يمتلك القدرة على ذلك من بني الانسان ، الذين ما زالوا على قيد الحياة .. وحين يتم استدعاء الشبح ، فانه قد يجيب ، بطريقة ما ، على بعض الأسئلة التي توجه اليه ، وقد يرفض الاجابة على أي سؤال ،ويلح على الاذن له بالانصراف .. أو ينصرف بغير اذن !!

الأشباح ..
تتحدث وتتجسد !!

إذا كـان العامـة ، في عصرنـا الحديث ، يقـولـون ان « روح » الميت » تـظل ترفـرف فوق قبـره وبيته مـدة اربعين ولـو بعد حـين . . فان الفـراعنـة والاغريق والهنود والصينيين القدماء ، قد قالوه أيضاً !

والناس قالوا ذلك واستـراحو . . أو لعل قـالوه ليستـريحوا . . أو ربمـا تـوارثوه ـ ككـل الأقوال الحكيمـة ـ عن أجيال ، عـاشت على الأرجـح عصراً موغلاً في القدم ، ازدهرت فيه الحضارة ، وبلغ أهله درجات عالية من العلم والمعرفة !

فليس صدفة ، أن نجد الآن المسلمين والمسيحيين واليهود ، وأصحاب ديانات أخرى ، يقيمون الشعائر الدينية في ذكرى أربعين موتاهم وأن النفس الشيء ـ في نفس المناسبة ـ كان يفعله أناس عاشوا فوق بقاع متباعدة من هذه الأرض منذ ألوف السنين ، اعتقاداً منهم بأن الصلوات والتراتيل تساعد نفـوس موتـاهم على اجتيـاز الحاجز الكثيف ، الذي يفصل بين الدنيا والآخرة !

ولو تأملنـا ما كـان يقولـه انسان الصـين القديم ، من أن نفس القتيـل تظل قلقة معذبة حتى يقتل قاتلة فتهدأ وتستريح . . فسوف ندرك لماذا يرفض الهنود الحمر ، وأهـل صعيد مصـر ، حتى الآن ، تلقى العزاء في قتيلهم ، أو الاحتفـال دينياً بـأربعينه ، قبـل أن يأخـذوا بثأره من قـاتله . . انهم ما زالـوا يؤمنون بأن الثأر للقتيل يريح روحه ، فترحل الى الحياة الأخرى راضية قانعة برد اعتبارها !

ومن الخـطأ ، النـظر الى هـذه المعتقـدات ، عـلى أنها هـراء ، أو خـزعبلات ، أو أنها مجـرد خرافـات . . فمن غير المعقـول أن تتـوحـد أفكـار الناس ومعتقداتهم بفعل الخرافات وحدهـا . . وإذا افترضنـا أن هذا ممكن في العصـر الحديث الـذي انعدمت فيـه المسافـات بين القـارات ، بعـد اختـراع الراديو ووسائل النقل السريعة ، فكيف يمكن أن نفسر وجود تلك المعتقدات ، في وقت واحـد ، عنـد الهنـدي الأحمـر والمكسيكي ، والصيني والهنـدي ،

والافريقي والمصري والأوربي ، عندما كانوا جميعاً يعيشون في عصر لم يعرف الراديو ولا الطائرة ، ولا السفينة ، ولا القطار ، ولا السيارة ، ولا حتى الدراجة ؟!

ولعل هذا التساؤل هو الذي دفع عدداً كبيراً من علماء ومفكري وفلاسفة العصر الحديث ، إلى اعادة النظر فيما كنا نسميه بالخرافات الى عهد قريب . . وهؤلاء قرأوا ، ونقبوا ، وبحثوا . وبعد دراسات طويلة شاقة ، قالوا كلمتهم المبدئية . فماذا قالوا عن النفس الانسانية بعد أن تغادر ، أو تفقد ، جسدها المادي ؟

قالوا أن النفس ، عندما تكون في عالم الغيب ، تسعى جاهدة لعشرات وربما مئات ـ السنين ، ليؤذن لها بالمجيء الى الحياة الأرضية في جسد عادي . وحين يتحقق لها ذلك ، تشتعل فيها جذوة الأمل ، وتتهيأ بكل مالها من حواس . . لتكتسب ، عن طريق أجهزة الجسد ، ما كانت تصبو اليه من معرفة تؤهلها للارتقاء الذي يعينها على بلوغ هدفها المنشود في الاقتراب من الذات الإلهية .

وحين يفسر العلم حب البقاء ، عند سائر المخلوقات بأنه غريزة . . فانه الانسان ، مثل كل المخلوقات ، يحرص على الحياة ويتشبث بها . . ولا يشتهي الموت الا اذا وجد فيه الحل الوحيد ، الذي يخلصه من جسده حين تنهكه الشيخوخة ، أو يتلفه مرض عضال .

ولكن يحدث أحياناً ، أن تباغت النفس بموت جسدها المادي احتراقاً ، أو غرقاً ، أو خنقاً ، أو ذبحاً بنصل سكين ، أو طعناً بخنجر ، أو اغتيالاً برصاصة . . وفي هذه الحالة يملؤها احساس بالهزيمة ، ويستبد بها شعور بالغدر ، أمام المفاجأة التي سلبتها فرصة حياة جاهدت طويلاً للفوز بها . . فتظل معلقة ، معذبة ، قلقة ، هائمة فوق المكان الذي فقدت فيه جسدها . . لا تغادره الا بعد أن تستوعب الحقيقة ، وتدرك أن لا مفر من العودة خائبة الى عالم الغيب الذي جاءت منه ، شأنها شأن مسافر فاته آخر قطار !

ومهما كان الرأي في مسألة بقاء نفس القتيل هائمة على الأرض متشبثة بالوجود عليها ، فاننا لا نستطيع انكار شعورنا بالخوف والرهبة ، عندما ترتاد أماكن وقعت فيها جرائم قتل !

إن الكثيرين بيننا ، أحسوا بالانقباض . . أو اقشعرت جلود رؤوسهم . . أو أسرعت دقات قلوبهم ، وهم يمرون بمكان ما . . ثم قيل لهم فيما بعد أن شخصاً قد قتل في ذلك المكان أو أن فلاناً قد مات فيه بعد أن اشتعلت النار في جسده !

إن الخوف ، أو الرعب ، الذي يعترينا في مثل هذه الحالات ، هو شعور ، تترتب عليه آثار عضوية مادية سريعة . . كأن يصاب الواحد منا باسهال مفاجىء ، أو بمغص حاد ، أو يتصبب بدنه عرقاً . . وفي بعض الحالات يبول الخائف دون أن يشعر ، أو يكتشف بضع شعرات بيض في رأسه ، لم تكن موجودة من قبل !

والتفسير العلمي يقول أن الرعب يحدث نتيجة لاضطراب الخلايا الأثيرية في الجسد ، وارتفاع معدل ذبذبتها بشكل مفاجىء . وأن هذا يكون نوعاً من رد الفعل لأسباب كثيرة ، من بينها التعرض لاشعاعات قوية صادرة عن أجسام أثيرية أخرى .

فاذا كان المكان الذي نشعر فيه بالرعب أو الانقباض خالياً من الأجساد الحية ، فلا بد أن تكون فيه أجساد أثيرية ، غير مادية ، لا نراها بأعيننا ، ولكن نشعر بها عن طريق أحاسيسنا غير العادية ، ونتأثر بالاشعاعات والذبذبات الصادرة عنها !

وكل واحد من بني الانسان يستطيع ، في لحظة ما ، استخدام قدراته غير العادية ، فيرى ويسمع ما لا يستطيع رؤيته أو سماعه بحواسه العادية . أنه يرى حينئذ أشياء غير عادية . . من بينها نفوس الموتى الهائمة على الأرض ، والجن أيضاً !. . فاذا انقضت تلك اللحظة ، فان الانسان لا يرى شيئاً من ذلك !.

وليس معنى هذا أن نفوس الموتى ، والأجساد غير المادية الأخرى ، قد اختفت أو تلاشت . . ولكن معناه أن القدرات غير العادية ، التي استيقظت داخل الانسان فجأة ، سرعان ما خبت ، أو ضعفت ، أو تراجعت ، أو عادت الى حالة الكمون التي كانت عليها :

وإذا كان الانسان يتمكن ، في لحظات توهج قدراته غير العادية ، من رؤية نفوس الموتى ، فان هذه النفوس يعن لها هي الأخرى أن تعلن عن وجودها أحياناً فتتجسد جزئياً أو كلياً . . والجن أيضاً يحلو له أن يتجسد هو الآخر :

ولكن هناك فرقاً بين تجسد النفس الانسانية ، وتجسد الجن . فالأولى لا تملك غير الصورة التي كانت تعيش عليها قبل أن يموت جسدها المادي في آخر حياة لها على الأرض . أما الجن فيستطيع أن يتجسد في صورة انسان ، أو حيوان ، أو نبات ، أو جماد !

ولقد أدرك بنو الانسان ـ في كل أنحاء الدنيا ـ هذه الحقيقة ، قبل أن يقول العلم والدين كلمتهما فيها بألوف السنين . . وتوارثوا جيلاً بعد جيل ، تحذير أبنائهم من ضرب الحيوانات ليلاً ، خوفاً من أن يكون بينها جن يمسهم ، فيصابون بالصرع ، أوالبلة ، أو الجنون الذي يؤدي بهم الى موت محقق !

ورغم أن بني الانسان قد عجزوا في العصور الأولى ، عن ايجاد تفسير لظهور تلك الأجساد غير المادية ، إلا أنهم تقبلوا وجودها وسلموا به ، واكتفوا بأن أطلقوا عليها اسم « الأشباح » . . فما هي الأشباح ؟!

التعريفات كثيرة . . والأوصاف أكثر . . ومع أن هناك إجماعاً على أن الأشباح ذات أجسام دخانيةأو شفافة ، وأن من يحاول إمساكها يطبق أصابعه على لا شيء ، إلا أن هناك من يؤكد أنها قابلة للمس أحياناً . . ويقول بعض من لمسوها أنها باردة كالرخام ، ويقول بعضهم الآخر أنها دافئة كان الدم يسري في أوصالها !

والأشباح لا تدخل الى البيوت من أبوابها ، وفي حالات نادرة تقوم بفتح الأبواب لتدخل ، وهي تكون هادئة وديعة أحياناً . . عنيفة متمردة في أحيان أخرى .

وقد يظهر الشبح ويختفي دون أن ينطق بكلمة واحدة . . وقد يقول كلاماً بلغة غير مفهومة . . أو بلغة مفهومة . . وقد يكون ما يقوله خبراً يهمك . . . أو تحذيراً يقلقك . . أو نبوءة قد تتحقق !!

وقد يتجسد الشبح في صورة رجل يرتدي ملابس الرجال . . أو في صورة امرأة ترتدي ملابس النساء . وهو يظهر لمن يريد أن يراه بصورة مفاجئة . . وأحياناً يكون الظهور تدريجاً ، كأن يبدو الشبح أولاً كسحابة من الدخان الأبيض ، ثم تتشكل شيئاً فشيئاً حتى تصبح جسداً كاملاً ! .

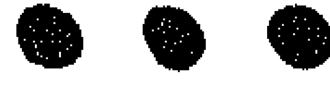
وفي أحيان كثيرة يكون وجه الشبح بغير معالم واضحة ، أو بمعالم واضحة ولكن بغير عينين . . وحين يخطو الشبح بالقرب منك قد لا تسمع لخطوه صوتاً . . وقد تسمع لأقدامه وقعاً كوقع أقدام الانسان الحي !!

ولكن مرة أخرى . . ما هي الأشباح ؟!

العلم الحديث يجيب على هذا السؤال بأنها أكثر من نوع . ومنها ما هي نفوس انسانية رحلت عن الدنيا ، ولكنها تشعر بالحنين اليها ، فتتجسد جزئياً أو كلياً كلما أحست برغبة في ذلك ، ويستطيع أن يراها ، أثناء فترات تجسدها ، بعض الناس ممن لديهم قدرات غير عادية ، كالجلاء البصري ، أو من تستيقظ في داخلهم هذه القدرات للحظات خاطفة ، عندما يكونون على درجة معينة من الصفاء الذهني ، أو الشفافية . . سواء كان ذلك إرادياً أو غير إرادي من جانبهم !

وهذا النوع من الأشباح ، قد يظهر ويختفي دون استدعاء من أحد . . وقد يظهر بناء على استدعاء ممن يمتلك القدرة على ذلك من بني الانسان ، الذين ما زالوا على قيد الحياة . وحين يتم استدعاء الشبح ، فانه قد يجيب

بطريقة ما ، على بعض الأسئلة التي توجه اليه . وقد يرفض الاجابة على أن سؤال ، ويلح على الاذن له بالانصراف . . أو ينصرف بغير اذن !!

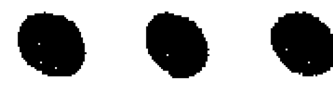


ومن الأشباح ما هي نفوس انسانية أيضاً . ولكنها فقدت أجسادها المادية في حوادث قتل ، أو غرق ، أو خنق ، أو احتراق ، أو اغتيال .

والشيخ في هذه الحالة يكون قلقاً عنيفاً . . عنيداً متمرداً ، يعلن عن وجوده باستمرار بالدق على الأبواب ، أو بفتحها وغلقها بشدة ، أو باطفاء الأنوار ، أو بالعبث بالاثاث ، أو بالأنين ، أو باختلاق الصرخات وسع سكون الليل ، أو بالسير في أرجاء المكان محدثاً وقعاً مسموعاً لخطواته الثقيلة ، أو بارسال ريح شديد يتأرجح بفعلها كل ما في المكان ، أو بالتحسد كلياً أو جزئياً ، خلف ستار أو تحت ملاءة للحظات خاطفة !

ولا يهدف الشبح بكل ذلك الى اخافة الناس أو ادخال الرعب الى قلوبهم . . ولكن هدفه يكون دائماً تحقيق شيء يريده ، ولا يستطيع أن يفعله بغير مساعدة أحد من الأحياء !

وفي حالات كثيرة استطاع شبح أن يرشد أحد الأحياء الى هدفه . . وعندما تحقق الهدف ، هذا واستراح . . ثم اختفى بعد ذلك تماماً !!



ونوع ثالث من الأشباح . . يستطيع أن يتجسد في صورة انسان ، أو حيوان ، أو نبات ، أو جماد . . وذلك هو الجن .

وتراث الشعوب مليء بالأساطير والحكايات حول الجن . . ومليء أيضاً بالذين شاهدوه ، أو تحدثوا اليه ، أوأصابهم منه أذى ، أو استعانوا به وسخروه لأداء مهام لا يستطيعون أداءها بغير مساعدته .

ولسنا نريد الآن أن نناقش وجود الجن أو عدم وجوده . فتلك مسألة حسمها القرآن الكريم حين أكد قدرة الانسان على الاتصال بالجن . وقدرة

الجن على الاتصال بالأنس . وأكد القرآن أيضاً قدرة الجن على أن يتشكل في أي صورة يشاء . وفي سورتي « سبأ » و« الجن » وغيرهما من سور القرآن الكريم أكثر من دليل على ذلك .

ولكن كيف يتجسد الجن ولماذا ؟!

الاجابة صعبة جداً ، لأنها فوق طاقة العقل البشري حتى الآن . وربما تمضي ألوف السنين قبل أن يصبح الانسان قادراً على معرفتها . . غير أن جهلنا بالاجابة لا يمنعنا من الاعتراف بحالات كثيرة لتجسد الجن في صور شتى ، أتيح لبعض الناس رؤ يتها .

وفي شهر ديسمبر من عام ١٩٨٠ ، ذهبت مع عدد من الزملاء الصحفيين والاذاعيين الى مدينة سوهاج ، لحضور ندوة دعانا إليها قسم الصحافة في كلية الآداب هناك .

كانت الساعة قد جاوزت النصف بعد السابعة مساء بقليل عندما توقف القطار بنا على رصيف محطة مدينة سوهاج . وكان في استقبالنا الدكتور م.ح . المدرس في قسم الصحافة فصحبنا الى استراحة كبار الزوار مباشرة . . وهي فيللا من طابقين تقبع في حضن نهر النيل من الجانب الشرقي ، لا يفصلها عن مياهه سوى حديقة صغيرة جميلة ، وتطل على كوبري أخميم المتلألىء بأضوائه الفسفورية الصفراء فوق صفحة النهر الهادئة . وبعد أن تناولنا العشاء ، جلسنا في الشرفة المطلة على ذلك المشهد الرائع ، وطالت بنا السهرة التي شاركنا فيها الدكتور م.ح . حتى الثانية بعد منتصف الليل ، ثم نهضنا الى النوم ، وانصرف الدكتور الى مسكنه .

وفي الصباح ، التقينا بطلبة وأساتذة الصحافة في مبنى كلية الآداب المواجة للاستراحة تماماً . وحضرنا الندوة بعد الظهر . وعندما حان الليل عدنا الى الاستراحة ومعنا الدكتور م.ح. الذي بقي معنا حتى الثامنة . . ثم وقف مستأذناً في الانصراف :

قلت له :

ـ كيف والسهرة لم تبدأ بعد ؟

قال في حرج :

ـ أما أن أذهب الآن ، وأما أن أبقى معكم حتى الصباح .

ورحبنا جميعاً ببقائه . فقد كنا خمسة أفراد فقط . وفي الاستراحة ثماني غرف للنوم . .

وفي السهرة دار الحديث في أكثر من موضوع . في التاريخ . . والسياسة . . وشئون الجامعة . . وذكريات بعضنا عن الحرب . تحدث الجميع ما عدا الدكتور ، فقد كان صامتاً أغلب الوقت . وحين تكلم فجأة قال :

ـ لم يسألني أحدكم لماذا طلبت الانصراف مبكراً أو المبيت معكم ؟

فقلت له ضاحكاً :

ـ ها انا ذا أسألك ؟

قال بعد أن نظر الى كل واحد منا بعد اخّر :

ـ بشرط ألا يسخر مني أحد !

وخيم علينا صمت ودهشة ، فقد كان على وجه الرجل ، وفي عينيه ، ما ينبىء ما سيقوله جد لا هزل فيه . وكان واضحاً أنه يحاول التغلب على حرج يعاني منه . ثم قال بعد تردد :

ـ عندما تركتكم قبل فجر أمس ، اجتزت الباب الخارجي للاستراحة ، وسرت بضع خطوات . وكان الشارع خالياً تماماً . . مضيئاً تماماً . . وريح باردة خفيفة تداعب غصون الأشجار القليلة الواقفة حول مبنى نادي الشرطة ، الذي يبعد عن مبنى هذه الاستراحة ببضعة أمتار . وفجأة ، تراءى لي مشهد غريب . . حصان أبيض رشيق ، ضخم الجسم ، يسير في خيلاء وتؤدة فوق أسفلت الشارع ، محدثاً بحوافره وقعاً منتظماً كأنه نفر على جلد طبلة . وكان يحيط بالحصان صفان من الكلاب السود تسير بخطوات ثابتة كأنها حسرف شرف في موكب مهيب !

وسكت الدكتور م.ح . لحظات اشعل خلالها سيجارة ، ثم عاد يقول :

ـ وقف شعر رأسي من شدة الرعب . وتسمرت قدماي في الأرض ، وأنا أتابع ذلك المشهد الغريب بينما الحصان والكلاب يواصلون سيرهم الرصين في اتجاه النيل ، فيما بين مبنى الاستراحة ومبنى نادي الشرطة . . واجتاز الموكب الأرض الواقعة بين الشارع والنهر الصامت . . ثم تابع سيره فوق صفحة الماء وأنا لا أزال واقفاً أرقبه بذهول . .

وفجأة اختفى كل شيء . . فانطلقت أعدو وأنا أتلو آيات مختلفة من القرآن . . كل ما تذكرته من آيات، تلوته . . حتى وصلت الى مسكني . ولم أنم منذ تلك الساعة حتى الآن !

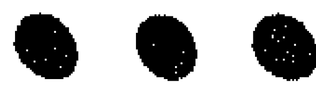
وانتهى الدكتور من سرد حكايته المثيرة ،وبقيت عيوننا جميعاً معلقة عليه . ولما طال صمته سأله أحدنا:

ـ هل تؤمن بوجود العفاريت ؟

فقال :

لم أر شيئاً منها قبل ما رأيته بالأمس . وذلك الذي وصفته لكم ليس وهماً ولا خيالاً . . فماذا يمكن أن يكون ؟

وسكتنا جميعاً . . لم يرد أحد على السؤال !

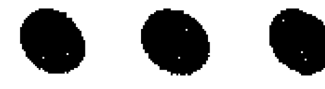


وحكاية أخرى ، رواها زميل صحفي يعمل في جريدة « « الأهرام » . عاد ذات ليلة الى منزله في الثانية بعد منتصف الليل . فوجد أمام باب العمارة قطاً أسود أكبر بكثير من الحجم المؤلوف . . فتردد في مواصلة السير . . ثم وقف . . ثم عاد الى ناصية الشارع وطلب من شرطي الحراسة مرافقته متذرعاً بأنه يخشى من كلب مسعور دأب على الاختباء خلف باب العمارة . ولم يتردد الشرطي في مرافقته حتى بداية السلم الداخلي . . لكنه لم يجد للقط الأسود أي أثر !

وفي اليوم التالي ، انتهى الزميل من عمله قبل منتصف الليل بقليل . وعندما أصبح على بعد خطوات من باب العمارة شاهد شيئاً يتحرك . . وأمعن النظر فتبين مخلوقاً آدمياً أسود يزيد طوله على طول المسطرة ، يمسك في يده عصاً في طول القلم الرصاص !

وتوقف الصحفي في مكانه مذعوراً . وقبل أن يهم بالرجوع عاجله ذلك الآدمي القصير قائلاً بصوت رجل : « ادخل ولا داعي للاحتماء بالعسكري كما فعلت بالأمس . . فليس بيني وبينك ما يدعو الى ذلك » !

وازداد رعب الصحفي ، ولكنه خطا بأقدام مرتعشة نحو باب العمارة . وحين وصل الى بداية السلم ، صعد درجاته قفزاً حتى وصل الى شقته في الطابق الثالث . وأدار المفتاح في الباب . واتجه مباشرة الى النافذة . وحين أطل على الشارع كان الرجل القصير لا يزال أمام العمارة يعبث بطرف عصاه في الأرض كأنه يبحث عن شيء فقده في الظلام . . ثم لم يلبث أن تلاشى . . وتلاشت معه عصاه !



وحكاية ثالثة . .

طالبان في الثانوية العامة من حي شبرا ، اعتادا الاستذكار معاً . وقبل الامتحان بعشرين يوماً ، قررا الهرب من الحر والضجيج بالنوم نهاراً وقضاء الليل في مراجعة دروسهما وحل نماذج الامتحانات .

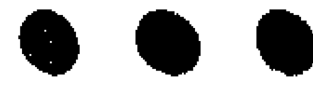
وذات ليلة . . دهمهما النعاس أثر وجبة دسمة ، فنزلا الى شارع شبرا يتمشيان أملاً في استعادة نشاطهما . كانت الساعة قد جاوزت الثانية والنصف بعد منتصف الليل وكان الشارع مضيئاً خالياً ، إلا من أفراد قلائل ، أو سيارة مسرعة تمر من آن لآخر في أحد اتجاهيه . . بينما الشابان يسيران على مهل وهما يتبادلان الأسئلة والاجابات .

وفجأة توقف الاثنان . . فقد رأيا قدمي انسان على قدر هائل من الضخامة . . ونظر كل منهما الى الآخر دون أن ينبس بكلمة كأنه يستوثق من

أن زميله يرى نفس ما يراه ثم ارتفعا ببصرهما فوق القدمين الكبيرين ، فرأيا ساقين طويلين ثم جسداً له ذراعان كبيران . . وفي نهاية الجسد رأس ضخم ولكن الوجه بغير معالم واضحة . . أنه جسم انسان ، قدماه على الأرض ورأسه عند نهاية الطابق الخامس ويبدو عمود النور بجانبه كقزم صغير ! .

وأسلم كل من الشابين ساقيه للريح ، والرعب والهلع يملآن قلبيهما . ولم يتوقفا عن الجري حتى وصلا الى المنزل .

وحكاية هذين الشابين لم تنته عند حد الاحساس بالرعب فقد أصيب أحدهما بحالة من الاكتئاب ، وظل حابساً نفسه في غرفته ، ولم يدخل الامتحان . . أما الآخر فقد امتحن ورسب في جميع المواد !



وحكاية رابعة . . رواها اللواء المتقاعد حسن ابراهيم الجارحي ، وهو ضابط شرطة أحيل الى المعاش عام ١٩٤٨ ، ويقضي بقية عمره يروي ذكرياته المثيرة لرفاق مجلسه على مقهى بشبرا ، إلى أن مات في يناير عام ١٩٥٦ .

كانت ليلة من ليالي شهر رمضان ، حين تجمع الرفاق حول منضدة أمام المقهى . . اللواء الجارحي ، ومفتش بوزارة المعارف ، ومدرس ثانوي ، ومدير سابق بوزارة الأوقاف . . ودار الحديث عن ذكريات الصبا والشباب . وعندما جاء دور اللواء الجارحي أفرغ البقية الباقية من كوب السحلب دفعة واحدة في فمه . وقال وهو يمضغ فتافيت الفول السوداني :

ـ عندما تخرجت في مدرسة البوليس ، عينت ضابطاً في مركز طوخ . وفي عصر يوم من أيام الشتاء الباردة ، تعطل وأبور قطار بضاعة قادم من الاسكندرية ، فتوقف على الخط الرئيسي قبل محطة طوخ بثلاثة كيلومترات . ولم يكن قد بقي على موعد مرور الأكسبريس المتجه الى القاهرة سوى عشر دقائق ولكن سائق قطار البضاعة تمكن من تنبيه سائق الاكسبريس الذي خفف من سرعته حتى توقف . . ثم دفع قطار البضاعة أمامه حتى أدخله على

خط فرعي في المحطة . . وواصل الأكسبريس سيره بعد ذلك الى محطة معبر بسلام . . وتقرر تخزين قطار البضاعة على الخط الفرعي حتى صباح اليوم التالي ، انتظاراً لمجيء وأبور آخر من القاهرة لجره . .

وسكت اللواء لحظة ثم قال :

ـ كانت أول مشكلة صعبة تواجهني منذ أن تسلمت عملي كضابط في مركز طوخ. فقد كلفني المأمور بحراسة قطار البضاعة ، ولم يكن لدي سوى أربعة عساكر . وكانت عربات القطار الطويل محملة بألوف أجولة القمح . . فقررت المبيت في غرفة ناظر المحطة لأتولى الحراسة بنفسي . .

وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، وسمعت بعدها وقع أقدام تهرول على رصيف المحطة ، دون أن أرى مخلوقاً على الرصيف !

وتملكني رعب حقيقي . . فعدت إلى أقرب العساكر وسألته :

ـ هل سمعت صراخاً ؟ . .

فقال العسكري بصوت له نبرة ذات مغزى :

ـ نعم ولا تعبأ بذلك !

فقلت على الفور :

ـ ماذا تعني ؟!

فقال العسكري :

ـ بعد لحظات ستسمع ما سمعته مرة اخرى ، وبعئذ ستمضي الليلة بسلام !

ولم يكد العسكري يتم آخر كلمة ، حتى دوت الصرخة الثانية أشد وأعنف من الأولى . . وتبعها صوت الأقدام تهرول على الرصيف . . ثم خيم الصمت المخيف !

تظاهرت بعدم الخوف مستتراً بالظلام . وجمعت العساكر الأربعة وحذرتهم من مغبة أن يكون أحدهم قد أطلق الصرختين على سبيل المزاح السخيف ، وهددتهم بسجن من يثبت عليه فعل ذلك اذا تكرر مرة

أخرى . . لكنهم جميعاً أقسموا ببراءتهم . وقال العسكري الأول انه سمع ما وقع في ليال سابقة عندما كان يتواجد للخدمة في المحطة في مثل هذه الساعة . . وأكد أنه شبح ولكنه لا يظهر !

ونظر اللواء الجارحي الى وجوه رفاق مجلسه ،عندما توقف عن الكلام ريثمان يشعل سيجارة . . ثم عاد يقول :

نهرت العساكر ، وطلبت من كل منهم العودة الى نقطة حراسته . وتوجهت الى غرفة ناظر المحطة وقد سيطر على الاضطراب والخوف . ومضى نصف ساعة عانيت خلاله من وطأة الاحساس بالرعب . . ولكن أحاسيسي تجمدت تماماً عندما انفتح باب الغرفة ببطء ، ليدخل منه جسد انسان بغير رأس . . يرتدي جلباباً متسخاً ، لا هو أبيض ولا رمادي وتقدم نحوي بخطوات ثابتة واثقة حتى توقف قبالتي . . وامتدت يده ذات الأصابع العظمية ، وتناول قلماً من فوق المكتب ، وكتب على ورقة . . « أنا عبد التواب أحمد مصيلحي من أهالي طوخ . . ذبحني لصان ملثمان منذ ثلاثة أشهر ، وسرقا مني ثلاثة آلاف جنيه ، كنت مسافراً لايداعها في البنك ببنها . ودفنا رأسي على بعد ستة أمتار من نهاية هذا الرصيف من الناحية القبلية ، ووضعا جثتي فوق القضبان ، وهربا قبل أن يراهما أحد . إن رأسي لا يزال مدفوناً في مكانه . . أما جثتي فقد دفنت في الجبانة الواقعة شرق المحطة . . إنني أعاني عذاباً مضنياً سوف ينتهي بمجرد دفن رأسي مع جثتي » !

ووضع الشبح القلم ، وانصرف بنفس الخطوات الثابتة ولم يكد يخرج من باب الغرفة حتى دوت صرخة تبعها صوت أقدام تهرول باتجاه الناحية القبلية !

بقيت في مكاني خلف مكتب الناظر لا أقوى على الحركة أو الكلام . . ومع أول خيوط الفجر ، أمسكت الورقة بأصابع مرتجفة . . كانت بعض الكلمات مكتوبة بخط واه رديء . وبعضها الآخر بحروف مرتعشة . ولكنها جميعاً مقروءة !

وسكت اللواء الجارحي برهة ، ثم عاد يقول لرفاق مجلسه الذين تسمرت عيونهم على شفتيه :

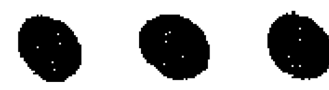
ـ كان من المستحيل أن أقوم بنبش الأرض بحثاً عن الرأس المدفون . . وكان مستحيلاً أن أبلغ النيابة بما جاء في ورقة كتبها شبح . . وكان مستحيلاً أيضاً أن أرفض تصديق كل ما حدث .

وبقيت أياماً أعاني من الحيرة قبل أن أهتدي الى حل . . وكان الحل أن أكتب على الآلة الكاتبة بلاغاً غير موقع ، الى النائب العام ، وآخر الى مأمور مركز طوخ ، ورسالة إلى أهل القتيل ، أخبرهم فيها بمكان الرأس المدفون . .

وكتبت البلاغين والرسالة ، وأخذت أتابع من بعيد كل التطورات وعندما ذهب رجال المباحث مع وكيل النيابة للبحث عن الرأس المدفون ، كنت حريصاً على الذهاب معهم بصفة ودية . . وكانت أولى المفاجآت العثور على جمجمة في نفس المكان الذي حدده الشبح . أما المفاجأة الثانية ، فكانت تقرير الطبيب الشرعي الذي أثبت أن الجمجمة لجثة القتيل عبد التواب أحمد مصيلحي ، التي عثر عليها منذ ثلاثة أشهر ، ملقاة على قضبان السكة الحديد ، بالقرب من محطة طوخ . وتم التعرف عليها حينئذ عن طريق الوشم المكتوب على ساعدها الأيمن !

وأذنت النيابة ، بعد انتهاء التحقيق لأسرة القتيل بدفن جمجمته مع جثته في قبرها !

ومنذ ذلك اليوم لم يسمع أحد صراخاً ، أو صوت أقدام تهرول على رصيف محطة طوخ !



وإذا كان هذا الحادث الغريب قد وقع في مدينة طوخ المصرية فان باريس قد شهدت حادثاً مشابهاً له ، في أعقاب الثورة الفرنسية مباشرة . .

وقصة الحادث الذي شغل فرنسا بأسرها ، بدأت عندما رأى فلاح فرنسي جماعة من الرجال والنساء يسيرون في مظاهرة صامتة . . وقد لف كل منهم جسده بملاءة بيضاء ، ولكنهم جميعاً بغير رؤوس !

ووقف الفلاح الفرنسي مذهولاً . . وظل يتابع المسيرة المرعبة حتى انحرفت بمقدمتها نحو النهر . . ثم تلاشى جميع أفرادها تحت صفحة مائة الهادئة . . وعندئذ انطلق الرجل يعدو بكل قوته ، حتى وصل الى بيته !

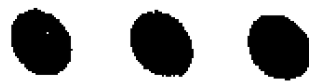
وفي الليلة التالية شاهد آخرون المظاهرة . . وفي الليلة الثالثة حدث نفس الشيء . . وتكرر كثيراً بعد ذلك .

وتناقل الباريسيون القصة . واهتم كل الفرنسيين بها وقال أحد القساوسة أن المقصلة قطعت أثناء الثورة رؤوساً نبيلة ورؤوساً غير نبيلة . . وأن الثوار دفنوا جثث القتلى في حفر ، ورؤوسهم في حفر أخرى . . ولا بد أن النبلاء الموتى يؤرقهم افتقاد رؤوسهم ، ويريدون بهذه المظاهرة الصامتة الاعلان عن العذاب الذي يعانون منه لعل أحداً يساعدهم !

وقرر عدد من الرهبان الكاثوليك أن يأخذوا على عاتقهم دفن الرؤوس مع أجسادها . لكن حماسهم فتر ، حين تبين لهم أن المقصلة كانت تقطع عشرات الرؤوس في كل يوم . . وأن الجثث والرؤوس كانت تواري في حفر عديدة ، ومحاولة التوفيق بينها عملية مستحيلة !

وخطر لأحد الرهبان ، أن دفن كل الرؤوس والجثث في حفرة واحدة سيحل المشكلة ، ويخلص النبلاء الموتى من عذابهم . فاشتعل حماس الرهبان من جديد، وبدأوا عملهم فأخرجوا كل الجماجم وكل الجثث من كل الحفر . وأعادوا دفنها معاً في حفرة واحدة كبيرة .

وبعد ذلك لم ير أحد من سكان باريس المظاهرة الصامتة على ضفة نهر السين !



وقصة أخرى وقعت أحداثها في قلب مدينة القاهرة ، ونشرت تفاصيلها المثيرة جريدة « البلاغ » المصرية ، في عددها الصادر يوم السبت ١١ من ابريل عام ١٩٥٣ .

المكان : احدى شقق عمارة الأوقاف بشارع فؤاد (٢٦ يوليو) ، حيث يسكن عبد السميع لطفي مفتش التحقيقات بمصلحة الضرائب ، وتقيم معه شقيقاته الأربع ، وخادمة لم يتجاوز عمرها الثالثة عشرة .

الزمان : الساعة لسادسة مساء الاثنين ٦ من ابريل عام ١٩٥٣ .

كل شيء هادىء داخل الشقة . والأستاذ عبد السميع جالس على مقعد وثير في الصالة ، يستمع الى موسيقى هادئة ، تنساب من جهاز راديو قابع فوق ترابيزة صغيرة في ركن قريب . . وبين آن وآخر كان ينظر الى ساعته بكسل ، فبعد قليل سوف يرتدي ملابسه ويغادر منزله ، لقضاء حاجة عائلية . . ولولا الضرورة لما فكر في الخروج في ذلك اليوم . . فقد كان الجو عاصفاً مترباً ، وكان الغبار يتسرب من شقوق النوافذ رغم إحكام اغلاقها .

وفجأة سرت الى الصالة رائحة قوية لقماش يحترق ، وصرخت الخادمة صرخة ملؤها الفزع ، وهي تشير الى غرفة نوم سيدها !.

نهض الرجل مذعوراً من فوق مقعده ، واندفع نحو الغرفة ليجد النار مشتعلة في الجانب الأيمن من سريره . . مضت دقيقتان من الحيرة والاضطراب ، ازدادت النار خلالهما ضراوة ، فامتدت الى سجادتين على أرض الغرفة أتت عليهما . لكن الرجل والخادمة ، وشقيقتاه ، اللتان هرعتا اليهما من المطبخ ، تمكنوا جميعاً من إخماد الحريق في الدقائق الخمس التالية ، وساعدهم على ذلك قرب الحمام ، ووجود بعض الآنية فيه . .

أخذ الرجل يتفحص المواضع المحترقة ، وعشرات الأسئلة تتزاحم في رأسه . . كيف اشتعلت النار ؟ . . ولماذا ؟ . ومن الذي أشعلها ؟ . . ربما الخادمة ؟! . . أو لعله عقب سيجارة ؟! لكنه تذكر على الفور أنه لا يدخن ، وأن كل من في البيت لا يدخنون !!

ورمق الخادمة بنظرة ، فرأى البؤس ، والحزن ، والمرارة ، والتخاذل ، مختلطة على نسمات وجهها الممتقع . . بريئة لا شك في ذلك . .

عاد الرجل الى مقعده في الصالة ، وتهالك فوقه من فرط الاعياء والتعب ، ولم تكد تمر خمس دقائق ، حتى صرخت شقيقته !. . فقد اشتعلت النار في الغرفة المقابلة ، وهي غرفة نوم اثنتين من شقيقاته . . السرير أيضاً . . وبنفس الطريقة . . وفي الجانب الأيمن منه بالذات !!

وتعاون الجميع من جديد . وبعد أن تمكنوا من اخماد النار ساد الاعتقاد بينهم بأن الشرر قد تطاير من الغرفة الأولى الى الغرفة الثانية ، وربما ساعد الهواء على ذلك ، عندما فتحوا النوافذ أثناء صراعهم مع نيران الحريق الأول ؟. لكن الذهول أصاب الجميع عندما رأوا الدخان يتسرب من تحت باب غرفة ثالثة ، فاندفعوا نحو الباب وفتحوه، ليجدوا النار مشتعلة في السرير الموجود في الغرفة ، الجانب الأيمن أيضاً ، وراحوا يخمدون النار ، يساعدهم الجيران الذين خفوا لنجدتهم ، مستعينين بكل ما توفر لديهم من آنية كبيرة لنقل المياه . . ومرة أخرى صرخت الشقيقات بصوت هستيري لتعلن أن النار قد اشتعلت في الملابس المعلقة على الشماعة في الغرفة الرابعة !! . . . وأعقب ذلك عودة اشتعال النار في الجانب الأيسر من سرير الأستاذ عبد السميع ، الذي بدأت أولى الحرائق في جانبه الأيمن !!

كانت الساعة قد جاوزت الثامنة مساء بقليل . . وكان الجميع قد تملكهم رعب حقيقي ، واستبد بهم الذهول والخوف ، ومرت دقائق من الهدوء فخيل لهم انهم سيطروا على الموقف ، وأخمدوا كل الحرائق ، لكنهم فوجئوا بالدخان يخرج كثيفاً من بين ضلف دولاب الملابس في احدى الغرف . . وفتحوا الدولاب ليجدوا أن بعض الفساتين قد اشتعلت فيه النار ، وبعضها الآخر لم تصل اليه النار بعد . فأخرجوها جميعاً ، واستبعدوا الفساتين السليمة ، وعلقوها على شماعة ، ثم عادوا ونقلوها الى الحمام ،وبللوها بالماء خشية أن تشتعل هي الأخرى . . ورغم ذلك وقعت المفاجأة التي أذهلتهم وعقدت ألسنتهم ، لقد اشتعلت النار في الفساتين المبللة

وأتت عليها جميعاً !!

وأصبح واضحاً للجميع أن قوة خفية تقوم باشعال النار في المفروشات والملابس فقط .. فتعاونوا على نقل المراتب ، واللحف ، والبطاطين ، والسجاجيد ، والستائر ،وبعض الملابس التي لم تمسها النار ، الى الشرفات .. ونقلوا المقاعد المكسوة بالقماش الى شقة الجيران المقابلة لشقتهم .

وعندما فرغوا من ذلك ، هدأت نفوسهم بعض الشيء ، لكن هالهم اشتعال النار ، فجأة ، في الشرفات ، وفي شقة الجيران في وقت واحد !!

وكان لا بد ، بعد كل ذلك ، من ابلاغ الشرطة والمطافىء.. فقام بذلك الأستاذ عبد السميع مستعيناً بتليفون الجيران . وسرعان ما وصلت قوة من رجال الاطفاء برئاسة الصاغ (الرائد) ابراهيم علي . ولم تكد القوة تنتهي من إخماد الحريق في الشرفات ، حتى اشتعلت النار في مفرش على إحدى الترابيزات ، ومنه الى خشبها . وأيقن قائد القوة أنه أمام حادث غير عادي ، فأبلغ قائد المطافىء ابراهيم سيد أحمد القلش ، الذي حضر على الفور ومعه عدد من المهندسين والفنيين وخبراء الحرائق ..

عاينوا كل الغرف والشرفات :. فحصوا كل التوصيلات الكهربائية .. تأكدوا من سلامة مواسير الغاز .. وبعد أن أثبتوا كل ذلك في محضر رسمي ، انصرفوا ، وتركوا اثنين من رجال الأطفاء مع مضختين مع عائلة الأستاذ عبد السميع البائسة .

وفي الساعة الثالثة من فجر الثلاثاء ، خيم الهدوء بعد تسع ساعات من الرعب .. ومضت ساعة .. ثم مضت ساعة أخرى، لكن الأستاذ عبد السميع وأفراد أسرته لم يحاولوا النوم . ظلوا جالسين على المقاعد يستبد بهم القلق والخوف .. وفي الساعة الثامنة صباحاً بدأت الحرائق في الاشتعال من جديد ولكن بالجملة . اشتعلت النار ، في وقت واحد ، داخل الحقائب المغلقة . وفي الدواليب ، وفي كومة من الملابس الموضوعة فوق ترابيزة وسط

الصالة ، وفي معطف معلق على شماعة ، وفي حقيبة يد نسائية موضوعة موق مقعد خشبي . . واضطر الأستاذ عبد السميع لمعاودة الاستغاثة برجال الأطفاء مرة أخرى، فوصلوا اليه على الفور . وكانوا اذا انتهوا من اخماد حريق ، شب حريق آخر ، حتى بلغ عدد الحرائق أربعين حريقاً ، أتت النار خلالها على كل المفروشات والملابس الموجودة داخل الشقة . . لم يبق في الشقة كلها شيء آخر من النسيج ليحترق !!!

وعند ظهر الثلاثاء كان خبر الكارثة قد انتشر ، فتوافد أقارب الأسرة واصدقاؤ ها للاستفسار والاطمئنان . وكان بينهم الكثير من رجال القانون .

قال أحدهم أن علم النفس الجنائي تحدث عن مرض اسمه « الاجرام العاطفي » وهو نوع من الجنون النفساني . . . وقد تكون الخادمة مصابة به ، فأقدمت في غفلة من أهل البيت على اشعال كل تلك الحرائق !!

لكن الأستاذ عبد السميع وأفراد أسرته نفوا ذلك واستبعدوه ، وقرروا أن الخادمة كانت معهم وتحت بصرهم طول الوقت ، وأنها كانت تفاجأ معهم بالحريق تلو الحريق ، وكانت تشاركهم في مقاومة النار . .

وقال آخر :

ـ اذن فهذا البيت مسكون . ولا بد أن وراء كل هذه الحرائق شبح يلهو باشعال النار ، ليجبر الأسرة على ترك الشقة فينفرد بها !!

فلم يعلق أحد . . ويبدو أنه لم يكن هناك من تفسير آخر لكل ما جرى ، فلاذ الجميع بالصمت !

وبعد فترة من السكوت أشار واحد من الحاضرين بضرورة الاتصال بالعالم الروحي أحمو فهمي أبو الخير . . وعندما اتصلوا به تليفونياً ، سألهم اذا كان بين المقيمين في المنزل فتاة في سن المراهقة ، فأجابوا بأنه لا يوجد سوى « مبروكة » الخادمة ، فهي في الثالثة عشرة من العمر ، وهي مريضة بالصرع منذ صغرها . ولم تنجح كل محاولات علاجها !

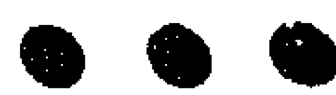
وكانت المفاجأة فيما قاله لهم أحمد فهمي أبو الخير عبر سماعه التليفون !. قال : « إن هناك فتيات في سن المراهقة يمتلكن قدرة وساطية تجذب اليهن الأرواح الشريرة ، وأن هذه الأرواح يحلو لها أن تعلن عن وجودها بالعبث بالمكان ومحتوياته . . وأحياناً يكون العبث باشعال النار !!. وان الاحتمال الأكبر أن تكون « مبروكة » من ذلك النوع من الفتيات . . وإذا كانت كذلك ، فان وجودها في المنزل سوف يتسبب في مزيد من الحرائق . . وأن هناك خطراً يهدد حياتها !! » .

وطلب أبو الخير من محدثه احضار « مبروكة » إلى منزله للتأكد من هذا الافتراض !!

وأخذوا اليه « مبروكة » . وبعد يومين من بقائها تحت ملاحظته ، عقد أحمد فهمي أبو الخير جلسة في منزله بالروضة ، حضرها عبد السميع لطفي ، صاحب الشقة المنكوبة ، وابراهيم على ضابط المطافيء ، ومهندس خبير في الحرائق من المطافيء أيضاً . . وقال وسيط الجلسة حامد أبو الخير « أن خمسة من الأرواح الشرير المشاغبة ، يتسلطون على جسد مبروكة ويلازمونها . . وأن هؤلاء الخمسة قاموا باشعال كل الحرائق التي وقعت في شقة مخدومها ، وأتت على كل ما فيها من مفروشات !!! » .

واستمرت الجلسة لمدة ساعتين ، وبعد انتهائها كانت « مبروكة » قد شفيت من مرض الصرع ، ومن تسلط القوى الخفية على جسدها . . وعادت مرة أخرى الى بيت مخدومها . ومنذ ذلك اليوم لم يحدث أن اشتعلت النار في شيء من محتويات الشقة !!

انتهت تفاصيل القصة الغريبة ، التي شغلت الرأي العام المصري عام ١٩٥٣ ، وعادت مرة أخرى الى ساحة الجدل عندما نشرها أحمد فهمي أبو الخير في كتابه . الذي صدر في سلسلة كتب للجميع عام ١٩٥٤ تحت عنوان « أرواح وأشباح » .



ما هذا ؟!

إنها حقيقة ولكنها مخيفة . وما أكثر الحقائق التي نرفضها بسبب خوفنا منها . والموت مثلاً ، إحدى تلك الحقائق ، والاحساس بالخوف حقيقة أيضاً !

ومن الحقائق التي يخافها الانسان ، أن يسمع بأذنه صوتاً لا يرى مصدره . . أو أن يرى بعينه جسماً يتلاشى قبل أن يلمسه . . أو أن يلمس شيئاً فيتبدد تحت اصبعه !

ونحن نتابع ، باهتمام وفضول ، أي حكاية غريبة مخيفة ومن ذلك كل ما يروى عن الأشباح ، وحين تنتهي الحكاية يرسم الواحد منا على وجهه إمارات الاستخفاف . . أو يتظاهر بأنه لا يصدق . . وعندما يخلو إلى نفسه ، فانه يجهد فكره في البحث عن المبررات التي تبدد خوفه . . واذا لم يجد تلك المبررات ، يخلقها . . . ويحاول الاقتناع بها !

والسبب هو الخوف . . .

وخوف الانسان من الخوف ، يدفعه الى اتخاذ موقف التحدي ، لعله يستعيد بذلك ثقته وتوازنه . . ورغم يقينه من أن رفض الحقائق لا ينفي وجودها ، فإنه يمعن في المغالطة والتحدي !

وفي أحيان كثيرة ، يسأل الخائف محدثه : هل رأيت شبحاً بعينك ؟! . . ثم يتنفس الصعداء اذا كانت الاجابة « لا » . . ويقذف بعشرات الأسئلة الأخرى اذا كانت الاجابة « نعم » !

ولكن . . .

من يستطيع رؤية الشبح ؟ . . ومتى وكيف يراه ؟!

العلم يقول أن معظم الناس يستطيعون رؤية الأشباح كل المطلوب منهم هو شيء من التركيز ، والصفاء الذهني !

والأشباح لا تظهر في الضوء المبهر . الضوء الخافت ، أو الضوء الأحمر

الباهت ضروري . . ويستحسن عدم وجود ضوء مطلقاً . . لأن الاشعاعات الصادرة عن الجن ، أو نفوس الموتى المتجسدة ، تكون ضعيفة واهية الى حد كبير . وعندما تكون هذه الاشعاعات على درجة كبيرة من القوة ، فان رؤية الشبح تصبح ممكنة في الضوء العادي !

وبعض الناس لديهم القدرة المتفوقة ، التي تمكنهم من رؤية الأشباح حين يريدون ذلك ، وهؤلاء هم الوسطاء . . وهم على قدر كبير من الشفافية ، وقوة الإرادة . والصفاء الذهني . . . ويملكون القدرة على التركيز ، وهم يستجيبون بسرعة الى تأثير التنويم المغناطيسي ، الذي يساعدهم على التحرر من أغلال أجسادهم المادية . .

وحين تنطلق نفوس الوسطاء الى الآفاق الرحبة ، فان كل قدراتهم تصبح على درجة عالية من التوهج ، عندئذ تكون الرؤية عمق ، والسمع أبعد ، ويدرك الوسيط فيما حوله ما لا يستطيع رؤيته أو سماعه غيره من أصحاب القدرات العادية !

وقد تكون أنت من بين هؤلاء الوسطاء ، دون أن تعلم ، ربما لأنك لم تحاول ! . . ولكنك في كل الأحوال تستطيع الاحساس بوجود الشبح في لحظة ما . . وهذه اللحظة لا تكون الا اذا تهيأت لها كل الظروف المناسبة . وبعض تلك الظروف في داخلك . . وبعضها الآخر من حولك .

ويقول العلم ان الانسان في مرحلة سن المراهقة ، تكون قدراته على درجة كبيرة من التوهج ، ويكون ذهنه أكثر صفاء ، ويكون قادراً على التركيز الشديد . . . ولذلك فان أغلب المراهقين وسطاء . .

ويحدث في أوقات كثيرة أن بعض النفوس البشرية ، التي فقدت أجسادها المادية في ظروف غير طبيعية ، تجد ضالتها في أحد المراهقين ذوي الأجساد المادية الضعيفة ، فتتسلط عليه لتحقق عن طريقه بعض ما كانت تصبوا اليه وحال الموت دونها ودون تحقيقه . . وقد تتزاحم كثرة من النفوس الهائمة على جسد مراهق واحد ، كل منها تريد أن تستأثر به . وعندئذ يعاني

ذلك المراهق مر العناء . ويكون شأنه شأن قطعة المغناطيس الصغيرة أمام مغناطيس كبير قوي . كل قدراته تخفت قوتها . . وينعكس ذلك على تصرفاته ، فيفقد السيطرة عليها . .

ونحن نطلق تسميات وأوصاف كثيرة على مثل هؤلاء ، منها البلة . . أو « العبط » . . أو « ضعف الشخصية » . . وفي أحيان أخرى نقول انهم مرضى بالتخلف العقلي ، أو بالصراع . . وفي حقيقة الأمر هم ضحايا لنفوس اناس عاشوا قبل ذلك على هذه الأرض ثم اضطروا لمغادرتها قبل الأوان بعد أن احترقت أجسادهم ، أو تقطعت في حادث ، أو غرقت في بحر أو نزف دمها بعد طعنها بسكين . . إلى آخر ما سبق وذكرناه في صفحات سابقة . . .

وعندما نعيد النظر في حادث احتراق منزل عبد السميع لطفي مفتش التحقيقات ، نجد أن الخادمة « مبروكة » واحدة من المراهقات قد وقعت ضحية لنفوس هائمة تسعى الى العودة الى الحياة ولا تستطيع ، وأمام هذا الفشل لجأت تلك النفوس الى التعبير عن غضبها باشعال الحريق تلو الحريق ، لعل ذلك يضعف من اشعاعات جسد « مبروكة » بعد أن يصيبه الانهاك والارهاق الشديد .

ومن حسن الحظ أن عالماً مثل أحمد فهمي أبو الخير قد تدخل في الوقت المناسب . . وكل الذي فعله ، هو أنه استطاع ـ عن طريق الوسيط المدرب حامد أبو الخير ـ أبعاد النفوس المتسلطة عن جسد « مبروكة » ، مستخدماً قدراته الأكثر توهجاً ، والأكثر تدريباً . . .

أما مرضَ الصرع الذي كانت تعاني منه الخادمة فما هو الا نوع من الخلل والضعف في البناء الأثيري لنفس « مبروكة » حدث نتيجة تعرضها لاشعاعات أثيرية قوية صادرة عن النفوس المتسلطة عليها . . وحين ابتعدت تلك النفوس وانصرفت عنها ، شفيت من ذلك المرض !

ونلاحظ في حادث « مبروكة » أيضاً ، أن النفوس المتسلطة لم تتجسد .

ولو كانت قد تجسدت لقال أفراد أسرة عبد السميع لطفي أنها الاشباح تعبث بهم . . . لكن المؤكد الذي حدث هو انهم جميعاً قد أحسوا بالخوف . . وارتجفوا من شدة الرعب وهم يرون الحرائق تشتعل ولا يرون من يتشعلها . . .

وللعلم رأي في شعور الانسان بالرجفة والأسباب التي تحدثها . . وأيضاً له رأي في احساس الانسان بالانقباض أو القشعريرة المفاجئة . . .

فأحياناً يكون الواحد منا سائراً في طريق . الظلام من حوله . والسكون يحيط به ، فيشعر كأن أحداً يسير خلفه وحين يلتفت الى الوراء لا يرى شيئاً !

وفي أحيان أخرى يكون الواحد منا جالساً بمفرده . . شارد الذهن . . ثم يشعر برجفة أو قشعريرة مفاجئة كما لو أن أحداً أيقظه من غفلته !

والعلم يقول أن الرجفة ، والقشعريرة المفاجئة ، والاحساس بالانقباض ، هي في الحقيقة أدلة على وجود اشعاعات صادرة عن أجسام غير مادية تحيط بنا ، أو تعيش بيننا . . واذا رفضنا الاعتراف بذلك بسبب الخوف منه ، فاننا لن نستطيع انكار وجود الجن والملائكة التي حدثتنا عنها كل الكتب المقدسة . فكيف نؤمن بوجود الجن والملائكة ، دون أن نراها ، ونرفض الاعتراف بوجود الأشباح التي نشعر بها وتؤثر فينا ؟!

غريب جداً هذا الانسان ، الذي كان ، ولا يزال ، وسيبقى لعدة ألوف من السنين ، لغزاً غامضاً مغلقاً . .

وأغرب من الانسان قدراته الكامنة ، تلك القدرات التي لا يعوقها عائق ولا تقف عاجزة أمام حاجز .

والحديث عن قدرات الانسان كثير كثير . . . لا تتسع له صفحات هذا الكتاب الصغير . . وأرجو أن أتمكن من العودة الى هذا الموضوع في كتاب آخر جديد .

الفهرس

مؤلف هذا الكتـاب . . صحفي يعيش بكل كيـانه على أرض الواقع المادي الملموس . .

ولكنـه قرر ألا يغـرق تماماً في هذا الـواقع . . والا يستسلم للمـظهر الخارجي للحياة . . وأن يحلق بعيداً عن كل ذلك في عالم آخر . .

عالم أبعد من الجسد المادي ومن الأشياء الملموسة . . عالم أثيري . . لا يخضع لنفس القوانين التي تحكم عالمنا . . ولا يفتح أبوابه إلا لمن يتجـرد من أثقال جسده المادي ، ويسمو إلى جوهر النفس الانسانية .

وهـذا الكتـاب هـو حصيلة اهتمـام سعيـد اسمـاعيـل بهـذا العـالم الأثيري . . وبين سطوره إجابات عن أسئلة تحيرنا جميعاً . .

هل هناك قدرات لدى بعض الناس لرؤية المستقبل ؟؟. وهل يستطيع الانسان أن ينتقل من مكان إلى آخر بنفسه دون جسده ؟؟. . وما هي علاقـة عـالم الانسان بعـالم الجن ؟؟. . وما هي حقيقـة ما يـروى عن عـالم الأشبـاح واتصال الانسان به ؟؟. .

ما الفرق بين السحر والشعـوذة ؟. . . . وما الفـرق بين الاثنين وبين الدجل ؟. .

هل السحر حقيقة ؟. . أم هو خزعبلات ، وخرافات ، وضحك على عقول السذج والأغبياء ؟

وإذا كان السحر حقيقة . . فإلى أي مدى تمتد قدرة الساحـر ؟. . وما هي أدواته ووسائله ؟. .

هل يؤثر الساحر في نفسـه ؟. . هل يؤثـر في غيره ؟. . وكيف يكـون هذا التأثير ؟. .

هل يتمكن الساحر من معرفـة ما يخفيـه المستقبل ، ومـا ينطوي عليـه الماضي ؟. . وإذا عرف . . فهل يكون ذلك بالصدفة أم بالقدرة ؟. .

هل يقيم الساحر علاقة مع الشيطان ؟. . وإذا قامت هذه العلاقـة . . فمن منهما يكون الآمر ، ومن يكون المأمور ؟. . من منهما يكون المعين ومن يكون المستعين ؟. . من منهما يكون السيد ومن يكون المسود ؟. .

هل يستطيـع الساحـر الاتصال بـالموتى ؟. مـاذا يقول لهم ؟. . ومـاذا يقولون له ؟. .

ما هو الحجاب ؟. . وما هي التعويذة ؟. . وما هي التميمة ؟. .

وما هي الطلاسم ؟. . ومـا هو السحـر الأبيض ؟. . وما هـو السحر الأسود ؟. . بل ما هو السحر ؟. . إن الكاتب الصحفي سعيـد اسماعيـل ، الذي سبق أن قدم تحليلاً داخل أغـوار النفس البشريـة من خلال كتـاباتـه ، يقدم لنا بأسلوبه المتميز الرشيق إجابات على هذه الأسئلة على صفحات هـذا الكتاب مستنداً إلى آخر ما توصل إليه العلماء من التفسيرات التي ألقت بعض الضوء على هذا العالم الغامض الغريب . .